أزمة سياسية بلا حل في تونس

ص6

أندري أزولاي

مغربي يجتمع فيه ما تفرق في غيره

ص8

أوجاع المكان وأشباح التاريخ في معرض نحت قاهري

ص14

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/11/18

10 ربيع الأول 1440

السنة 41 العدد 11173

Sunday 18/11/2018

41st Year, Issue 11173

إيران تضع العراق في مواجهة ترامب

• روحاني يأمل في مضاعفة التبادل التجاري مع بغداد رغم العقوبات

❑ **طهران** – تراهن إيران على دور عراقي فعال في كسر الحظر الأميركي المفروض على قطاع النفط، وخاصة على مصارفها، وهو ما سيجعل بغداد في مواجهة غضب أميركي كبير، خاصة أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب سبق أن هدد بمعاقبة أي جهة، أيا كانت، تعمل على مساعدة إيران في التهرب من العقوبات.

وقال الرئيس الإيراني حسن روحاني، السبت، إن حجم التجارة الثنائية بين إيران والعراق يمكن أن يرتفع إلى 20 مليار دولار سنويا من 12 مليار دولار في الوقت الحالي على الرغم من المخاوف بشأن التأثير الاقتصادي لتجدد العقوبات الأميركية.

وأدلى روحاني بتصريحاته بعد اجتماع مع الرئيس العراقي الزائر برهم صالح وتأتي بعد نحو أسبوعين من إعادة واشنطن فرض عقوبات تستهدف قطاع النفط الإيراني وكذلك القطاع المصرفي والنقل.

ويعتقد متابعون للشأن العراقي أن روحاني يبالغ في توقعاته بشأن ازدهار العلاقة مع بغداد من وراء رغبة الولايات المتحدة، مشيرين إلى أن المسؤولين العراقيين سيعملون على عدم إثارة غضب ترامب وفريقه في البيت الأبيض، وأنهم قد يغمضون الأعين على التهريب والأنشطة الاقتصادية الموازية، لكن من الصعب أن تتولى الحكومة العراقية الجديدة قيادة تحدي العقوبات.

وتبدي بغداد قلقا من تلك العقوبات التي ستكون لها تبعات اقتصادية في حال الالتزام بها، كما لن تخلو من إشكالات سياسية نظرا للارتباطات القوية بين إيران والأحزاب الحاكمة في العراق، ولذلك سيعمل رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي على الموازنة في إرضاء كل من واشنطن وطهران.

ولا تزال الولايات المتحدة حليفا قويا للعراق، خصوصا بعد دعمها له في دحر تنظيم داعش من البلاد. كما أن لها المئات من الجنود والمستشارين المنتشرين في مناطق عدة من العراق.

وقال روحاني في تصريحات بثها التلفزيون الرسمي على الهواء "بفضل الجهود الثنائية يمكننا زيادة هذا الحجم (للتجارة الثنائية) إلى 20 مليار دولار في المستقبل القريب".

وأضاف "أجرينا محادثات بشأن التجارة في الكهرباء والغاز ومنتجات وأنشطة البترول... في مجال التنقيب عن النفط واستخراجه".

العراق مع روحاني ومع ترامب

وقال مسؤولون عراقيون، الأسبوع الماضي، إن العراق اتفق مع إيران على مبادلة المواد الغذائية العراقية بإمدادات الطاقة والغاز الإيرانية.

ونفى مسؤولون في قطاع التجارة الإيراني أن يكون هناك أي برنامج لتبادل الغذاء مقابل الغاز، إذ أن إيران مصدّر للغذاء إلى العراق.

ونقلت وكالة إيلنا للأنباء عن رئيس غرفة التجارة الإيرانية العراقية يحيى آل إسحاق قوله "العكس صحيح، حيث أن إيران توفر المواد الغذائية للعراق... لقد صدرنا بأكثر من ستة مليارات دولار للعراق في الأشهر السبعة الماضية ويمكننا أن نستورد السلع مقابل هذا المبلغ لكن ليس المواد الغذائية".

واشنطن تضغط لضمان نفط سعودي أوفر في السوق

❑ **واشنطن** – تظهر الولايات المتحدة أكثر من وجه في تعاطيها مع مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي، فهي من ناحية تظهر ثقتها في أن التحقيق الرسمي السعودي في القضية على الطريق الصحيح، لكنها من ناحية أخرى تستبقي هذه الورقة للضغط على الرياض وثنيها عن خفض معروضها النفطي في السوق والحفاظ على الأسعار في الحدّ الذي يتماشى مع مصلحتها.

ويقول مراقبون إن الإدارة الأميركية انضمت إلى جوقة التسريبات التركية ووسائل الإعلام الأميركية لإبقاء الضغط على الرياض ومنعها من التحرك لتعديل وضع الإنتاج والأسعار، مشيرين إلى تسريبات وكالة المخابرات المركزية الأميركية "سي. آي.أي" التي تهدف إلى الزج بولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في القضية.

ونقلت واشنطن بوست تسريبات عن أنّ "سي.آي.أي" قامت بتقييم معطيات استخبارية عدّة، بينها خصوصا اتّصال هاتفي بين جمال خاشقجي والأمير خالد بن سلمان، شقيق وليّ العهد السعودي، والذي يشغل منصب سفير المملكة في واشنطن.

وبحسب الصحيفة، فقد نصح خالد بن سلمان خاشقجي بالتوجّه إلى القنصليّة السعوديّة في إسطنبول للحصول على المستندات التي كان بحاجة إليها، مؤكدا له أنّه لن يتعرّض لأذى، وأن هذا الاتصال تم بناء على طلب من شقيقه ولي العهد.

وسارع الأمير خالد إلى الردّ عبر تويتر على هذه الاتّهامات التي رفضها بشدّة. وكتب "هذا اتّهام خطير، ويجب ألّا يُترك لمصادر مجهولة"، مُرفقا تغريدته ببيان قال إنّه أرسله إلى واشنطن بوست.

وجاء في هذا البيان أنّ "الأمير خالد لم يُناقش في أيّ وقت من الأوقات مع جمال أيّ شيء يتعلّق برحلة إلى تركيا".

وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أنّ مسؤولين أميركيين حذروا من أنّ وكالتيْ الاستخبارات الأميركيّة والتركيّة لا تملكان دليلا واضحا يربط وليّ العهد السعودي بقضيّة قتل خاشقجي.

ويعتقد المراقبون أن واشنطن تمتلك المعطيات الكافية عن مسعى تركي لتسييس القضية والزج بالأمير محمد بن سلمان، وهي وإنْ كانت ترفض هذا التسييس لكنها تستثمره في الضغط على السعودية للاستمرار في ضخ كميات إضافية من النفط، ليس للتغطية على غياب المنتوج الإيراني الذي ظل بالسوق في سياق إعفاءات أميركية غير مبررة، ولكن لضمان تراجع لافت للأسعار، وهو ما ترفضه الرياض.

وقالت مصادر بأوبك إن السعودية لم تتلق تحذيرا مسبقا عندما تراجع ترامب عبر منح إعفاءات سخية تُبقي المزيد من النفط الإيراني في السوق بدلا من دفع صادرات المنافس اللدود للرياض إلى الصفر.

وقالت مصادر لرويترز هذا الأسبوع إن السعودية، التي أغضبها التحرك الأميركي الذي أثار مخاوف بشأن فائض في المعروض، تدرس حاليا خفض الإنتاج مع أوبك وحلفائها بنحو 1.4 مليون برميل يوميا أو ما يعادل 1.5 بالمئة من الإنتاج العالمي.

وقال مصدر بارز مطلع على سياسات الطاقة السعودية "السعوديون غاضبون جدا من ترامب. هم لن يثقوا به بعد الآن ولديهم قناعة قوية بإجراء خفض. لم يتم تحذيرهم بشأن الإعفاءات".

وتقول واشنطن إن الإعفاءات هي امتيازات مؤقتة لحلفاء يستوردون النفط الإيراني وربما واجهوا صعوبات في العثور سريعا على موردين آخرين حين بدأ سريان العقوبات الأميركية في الرابع من نوفمبر الحالي.

وقال وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو في الخامس من هذا الشهر الجاري إن خفض الصادرات الإيرانية "إلى الصفر على الفور" سيحدث صدمة في السوق. وأضاف قائلا "لا أريد أن ترتفع أسعار النفط".

وقال مصدر أميركي مطلع على المسألة "السعوديون كانوا سيغضبون في كلا الحالين في ما يتعلق بالإعفاءات، سواء أحيطوا علما قبلها أم بعد الإعلان عنها".

وقال مصدر ثان على دراية بالتفكير السعودي بشأن النفط "السعوديون يشعرون بأن ترامب خدعهم تماما. قاموا بكل شيء لزيادة الإمدادات مفترضين أن واشنطن ستدفع باتجاه عقوبات قاسية للغاية على إيران. ولم يتلقوا أي تحذير من الولايات المتحدة بأن إيران ستتلقى عقوبات أضعف".

ومنذ الصيف، تقود الرياض منظمة البلدان المصدرة للبترول (أوبك) وروسيا ومنتجين آخرين لزيادة الإمدادات بأكثر من مليون برميل يوميا بهدف كبح الأسعار مع تطبيق العقوبات الأميركية.

وارتفع خام برنت فوق 86 دولارا للبرميل في أكتوبر بفعل مخاوف من شح في الإمدادات، لكن الأسعار هبطت منذ ذلك الحين إلى 66 دولارا جراء مخاوف من فائض الإمدادات.

دوائر الظل تخلط الأوراق قبل الاستحقاق الرئاسي في الجزائر

• قيادة جماعية لإدارة شؤون الحزب الحاكم إلى ما بعد الانتخابات • تسريبات عن إقالة أويحيى لقطع الطريق على ترشحه للرئاسة

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – قالت مصادر جزائرية مطّلعة إن دوائر الظل المرتبطة بقصر المرادية تحركت في الأيام الأخيرة لإعادة ترتيب المشهد، خاصة في الحزب الحاكم، حزب جبهة التحرير الوطني، بعد استقالة مفاجئة لأمينه العام جمال ولد عباس، كاشفة عن تغييرات جديدة قد تتخذ في الفترة القادمة بينها خاصة إقالة رئيس الوزراء أحمد أويحيى وقطع الطريق أمام رغبته في الترشح للانتخابات الرئاسية المقررة العام القادم.

وذكرت تقارير محلية أن قيادات سابقة وحالية في حزب جبهة التحرير الوطني تلقت دعوات من مؤسسة الرئاسة، وقد تم استقبال بعضها من طرف مسؤولين كبار خلال الأيام الأخيرة. ولم تستبعد المصادر أن يكون بحث مستقبل الحزب هو محور الدعوة، والرغبة في تفادي تداعيات الرحيل المفاجئ لجمال ولد عباس.

وأضافت أن عدة شخصيات على غرار عبدالعزيز بلخادم، وعبدالمالك سلال، وعبدالمجيد تبون، وعمار سعداني، وعبدالرحمن بلعياط، وجهت لهم الدعوة لاجتماعات غير معلنة في مقر الرئاسة. لكنها لم تحدد بشكل دقيق موضوع الدعوة، ولو أنها رجحت فرضية التركيز على معالجة أزمة الحزب الحاكم. كما لم تستبعد أن تتصل اللقاءات بتوزيع أدوار جديدة، خاصة في ظل الحديث عن تغيير حكومي، يطيح برئيس الوزراء الحالي".

وأفاد مصدر قيادي سابق في جبهة التحرير الجزائرية لـ"العرب"، أن "خيار القيادة الجماعية للحزب إلى غاية انعقاد مؤتمر استثنائي بعد الانتخابات الرئاسية، صار حتمية لتفويت الفرصة على المناورات التي تستهدف الضغط والتأثير على المسؤول المؤقت معاذ بوشارب، بسبب افتقاده للتجربة اللازمة، رغم شغله لمنصب نائب برلماني لثلاث دورات متتالية، ورئاسة البرلمان بعد الإطاحة بالرئيس السابق سعيد بوحجة".

وفقد مشروع الولاية الرئاسية الخامسة للرئيس بوتفليقة، عرابه الأول، باستقالة أمين عام جبهة التحرير الوطني، وهو ما قد يسمح بسيناريوهات أخرى على غرار خوض السلطة للاستحقاق القادم برئيس الوزراء الحالي، بدلا من الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة، خاصة بعد المكاسب التي حققها الرجل مؤخرا في الجبهتين الداخلية والخارجية.

ومع ذلك يبقى الطريق غير معبّد أمام أويحيى، في ظل الغموض الذي يكتنف المشهد، وتصاعد سيناريو إقالته من الحكومة في قادم الأيام، في إطار سلسلة تغييرات شاملة ما زالت ماهيتها مبهمة، ولم يطمئن أنصاره إلى حد الآن، بسبب عدم حظوته لدى قيادة أركان الجيش، ووجود تيار قوي مناوئ له داخل السلطة.

وما زالت الانتقادات اللاذعة التي وجهها مؤخرا وزير العدل الطيب لوح، لرئيسه المباشر أحمد أويحيى، في مدينة وهران بغرب البلاد، تثير أسئلة المتابعين لشؤون السلطة، فأمام حضور شعبي ووسائل الإعلام، اتهمه بتلغيم شعبية الرئيس بوتفليقة عبر تبني سلة ضرائب مستفزة للاستقرار الاجتماعي، وبتوظيف القضاء في مطلع التسعينات لتصفية حسابات سياسية، في إطار ما عرف حينها بـ"حملة الأيادي النظيفة".

واعتبر التصريح بمثابة رسالة سياسية تلمح إلى تحرك جناح داخل السلطة يمثله طيب لوح، من أجل قطع الطريق على طموحات أويحيى لخلافة بوتفليقة.

وتبقى التعليمات المجهولة هي الدائرة الحاسمة في القرار الجزائري في الآونة الأخيرة، في ظل غياب دور المؤسسات الرسمية، وهيمنة ما أسماه أويحيى بـ"سياسة الأمر الواقع"، فالذي أقال ولد عباس، عبر اتصال في منتصف ليل الأربعاء الماضي، فعلها قبل ذلك مع الكتل النيابية التي أطاحت برئيس البرلمان سعيد بوحجة، ويمكن أن يكرر الاتصال بالسلب أو الإيجاب مع أي من رموز النظام، سواء كان أويحيى أو غيره.

القطار المغربي السريع... المرتبط بالتنمية

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

مصر تسدّ ثغرات ملف حقوق الإنسان بتشكيل لجنة وزارية

الحكومة تسرع في تحسين مناخ الحريات تجنبا لانتقادات الكونغرس الأميركي

تتجه الحكومة المصرية إلى تأسيس لجنة عليا دائمة لحقوق الإنسان، برئاسة وزير الخارجية، وتأتي الخطوة كمراجعة لطريقة تعاطي الحكومة مع الحالة الحقوقية، وتأمل من خلالها في تجنب سيل الانتقادات الخارجية التي طالتها في هذا المجال، وقد سبق للإدارة الأميركية أن حجبت مساعدات لمصر احتجاجا على قانون الجمعيات الأهلية.

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – أصدر مصطفى مدبولي رئيس الوزراء المصري، الجمعة، قرارا بتشكيل لجنة حكومية دائمة لحقوق الإنسان، برئاسة سامح شكري وزير الخارجية، وعضوية ممثل عن كل من وزارات: الدفاع، والتضامن الاجتماعي، والعدل، وشؤون مجلس النواب، والداخلية، بالإضافة إلى المخابرات العامة، وهيئة الرقابة الإدارية، ما يشير إلى أن هناك رغبة لتشكيل ما يشبه الحكومة المصغرة لإدارة الملف، هدفها التعامل المباشر مع الانتقادات الخارجية الموجهة إلى القاهرة في هذا المجال.

وعلمت "العرب" أن هذه اللجنة كان مقررا أن يرأسها وزير شؤون مجلس النواب، باعتباره نقطة الربط الرئيسية بين الحكومة والبرلمان في هذا الملف، غير أن الرغبة السياسية في التعجيل بتحسين صورة القاهرة والتفاعل مع الجهات الخارجية والهيئات الدولية التي تراقب أوضاع حقوق الإنسان، حسما اختيار الوزير شكري لرئاسة اللجنة، بعد تصويت داخلي أجراه رئيس الحكومة قبل إصدار القرار.

> التوجهات التي تتبعها القاهرة في ملف حقوق الإنسان كافية لتحسين صورتها الخارجية، لكنها لا تزال تتطلب جهدا على مستوى إتاحة المزيد من الحريات العامة في الداخل

وتتولى اللجنة إدارة آلية التعامل مع ملف حقوق الإنسان، والردّ على الادعاءات المثارة ضد الحكومة المصرية، وصياغة رؤية موحدة يتم التعبير عنها في المحافل الدولية، وإعداد ملف مصر الذي يعرض على آلية المراجعة الدورية الشاملة أمام مجلس حقوق الإنسان بالأمم المتحدة، ومتابعة تنفيذ التوصيات التي تقبلها القاهرة في إطار عملية المراجعة الدورية واقتراح الحلول اللازمة لتنفيذها.

ويرى مراقبون أن الحكومة تدرك جيدا أنها تواجه ضغوطا متصاعدة في ملف حقوق الإنسان بفعل تطورات خارجية متسارعة، منها التغير الذي حدث في الكونغرس الأميركي، وأفرز سيطرة الديمقراطيين على مجلس النواب، ما يؤدي مستقبلا إلى تصعيد ضد حالة حقوق الإنسان بمصر، في ظل عدم الرضا عن سياسة الإدارة الأميركية الحالية تجاه مصر، وانتقادها بسبب عدم ممارسة ضغوط عليها لتحسين مناخ الحريات بشكل عام. وما يدعم هذا الاتجاه أن قانون الجمعيات الأهلية كان سببا مباشرا في وقف صرف 195 مليون دولار من المساعدات العسكرية السنوية، قبل أن تعلن الولايات المتحدة الإفراج عنها في يوليو الماضي، بعد وعد القاهرة بتعديل القانون وتحسين حال الحريات.

ويبدو أن الحكومة المصرية أدركت أن التعامل بشأن الحالة الحقوقية وفقا لمفاهيم الخصوصية ومواجهة الإرهاب، أضحى غير ملائم مع تصاعد الانتقادات التي تواجهها من منظمات مختلفة، وأن المحاولات السابقة التي خاضتها جهات رسمية ومستقلة لتحسين صورتها لم تحرز نتائج جيدة.

وشهدت الأيام الماضية حراكا مصريا مكثفا للتعامل مع أزمات حقوق الإنسان، وأصدر الرئيس عبدالفتاح السيسي قرارا بتعديل قانون الجمعيات الأهلية، الذي قيد عملها بشكل كبير.

وشكل البرلمان المصري مجموعات عمل مع عدد من المنظمات الحقوقية للاستماع إلى وجهة نظرها بشأن تعديل القانون، وأعلنت لجنة حقوق الإنسان داخله عن استراتيجيها المستقبلية بشأن تحسين أوضاع حقوق الإنسان.

وقال محمد الغول، وكيل لجنة حقوق الإنسان بالبرلمان المصري لـ"العرب"، "تشكيل اللجنة جاء ضمن عدة توصيات صادرة من مجلس حقوق الإنسان بالأمم المتحدة للقاهرة في سبتمبر الماضي طالبت بمنح استقلالية أكبر لمجلس حقوق الإنسان (استشاري حكومي) لإعداد التقارير الداخلية عن حالة حقوق الإنسان، وتقديمها في شكل استشارات للجهات التنفيذية". وأضاف أن الحكومة تسعى لعدم تلقيها انتقادات لاذعة بشأن المراجعة الدورية الشاملة لحالة حقوق الإنسان داخلها المقرر مناقشتها في مارس المقبل.

مساع حكومية لتوسيع نطاق الحريات

وأشار الغول إلى أن البرلمان سيذهب باتجاه إعادة تشكيل مجلس حقوق الإنسان قبل تقديم المراجعة الدورية الشاملة. ولعل ما واجه العديد من المنظمات الحقوقية التي توقف عملها في مصر بعد إصدار قانون الجمعيات الأهلية والتضييق على البعض الآخر، تكرر مع مجلس حقوق الإنسان، الذي يعاني من تجميد أدواره، بعد أن أقر البرلمان في يونيو من العام الماضي تعديلات على قانون عمله، نصت على وجوب تشكيل مجلس جديد بعد شهر من بدء العمل بالقانون، غير أن ذلك لم يحدث، ما اضطر الحكومة إلى تكليف أعضاء المجلس بتسيير أعماله إلى حين تشكيل آخر.

وشدد حقوقيون على أن تشكيل الحكومة للّجنة كان أمرا ملحا، لأن القاهرة لم تقدم ردودا على الكثير من التقارير الدورية الصادرة بشأن حالة حقوق الإنسان، ما أضر بصورتها، خاصة مع غياب ممثلها (مجلس حقوق الإنسان) عن حضور دورة الأمم المتحدة الأخيرة في جنيف.

وترى دوائر حكومية أن التوجهات التي تتبعها القاهرة كافية لتحسين الصورة الخارجية، لكنها لا تزال تتطلب جهدا على مستوى إتاحة المزيد من الحريات العامة في الداخل، وتطوير بيئة عمل منظمات المجتمع المدني.ويتخوف البعض من أن يكون تشكيل اللجنة الحكومية عنصر تقويض جديدا لعمل مجلس حقوق الإنسان الذي يتمتع باستقلالية أكبر من اللجنة الوزارية الرسمية.

وأوضح حافظ أبوسعدة، عضو المجلس القومي لحقوق الإنسان لـ"العرب"، أن اللجنة لن تكون بديلا عن المجلس، ومهمتها تنفيذ التوصيات التي يرفعها إليها بشأن حالة حقوق الإنسان، وطريقة الرد على التقارير الدولية.

هل تحيي المبادرة المغربية مشروع اتحاد المغرب العربي المعطل

الحبيب مباركي
كاتب تونسي

❑ فتحت دعوة المغرب إلى الحوار مع نظيرته الجزائر باب النقاش واسعا أمام المحللين، بين من يرى أنها تحمل رسالة جادة من الرباط للتوافق وحلحلة الملفات العالقة، ومن يعتبر أنها لا يمكن أن تتجاوز حدود التذكير بأنه آن الأوان للخلاف أن ينتهي، فيما يذهب شق ثالث إلى التأكيد على أنه طالما لم يكشف الطرفان عما يريد كل واحد منهما من الآخر، فإن تصحيح مسار العلاقة بين البلدين لا يزال بعيد المنال.

عموما لا يمكن تصوّر أي رؤية لحلّ المسائل الخلافية التي عطلت مسارات التفاوض بين المغرب والجزائر، ومنها مشروع اتحاد المغرب العربي، دون الجلوس على طاولة الحوار. وهي قاعدة أساسية ينطلق منها المغرب لحلحلة الجمود الذي يطبع علاقته بجارته الجزائر منذ سنوات.

في هذا الإطار يمكن اسكتناه رؤية المغرب للحوار والتي لخصها خطاب العاهل المغربي الملك محمد السادس هذا الشهر ودعا فيه الجزائر إلى تأسيس لجنة مشتركة لبحث الملفات "الخلافية" العالقة. وقال الملك في خطابه بمناسبة الذكرى الـ43 لـ"المسيرة الخضراء"، إن الرباط "مستعدة للحوار المباشر والصريح مع الجزائر الشقيقة لتجاوز الخلافات الظرفية والموضوعية".

ويقول محللون إن دعوة الرباط إلى الحوار مع الجزائر لتجاوز القضايا الخلافية بما في ذلك فتح الحدود المغلقة من شأنها أن تحرّك المياه الراكدة في العلاقات الثنائية بين البلدين الجارين وتؤسس لإحياء مشروع اتحاد المغرب العربي المركون في الرفوف.

لكنّ هؤلاء المحللين يتساءلون عن الإطار الضامن لهذا الحوار ووفق أي أسس وأي قاعدة يمكن لهذه المبادرة المغربية أن تنجح في كسر الجمود بين البلدين. فيما الأهم وفق رؤية بعض الخبراء ماذا جهّز المغرب من حلول لطلب النقاش مع الجزائر؟ في المقابل ما هي مقترحات الجزائر للحل، وبصورة أوضح ما هي طلبات الجزائر لإنهاء هذا الخلاف الذي عمّر طويلا بين البلدين؟ أسئلة وسيناريوهات تستدعي من طرفي المصالحة تحديد برنامجهما مسبقا قبل المرور إلى طاولة النقاش.

بين المغرب والجزائر لا توجد حدود للصراع الدائر على جميع الصعد، بدءا بالسياسة فالاقتصاد، مرورا بملف الهجرة وأزمة الحدود وليس انتهاء بأمّ القضايا والموقف الدبلوماسي الجزائري المتلون وتأزيم الوضع حول ملف الصحراء المغربية.

> دعوة الرباط إلى الحوار مع الجزائر، من شأنها أن تحرك المياه الراكدة في العلاقات بين البلدين وتؤسس لإحياء مشروع اتحاد المغرب العربي المركون في الرفوف

لكن الدعوة إلى المصالحة وفتح حوار مباشر مع الجارة الجزائر التي طرحها العاهل المغربي، جاءت لتضع كل هذه القضايا جانبا وفق رؤية تشاركية يمكن تطويرها لتشمل مناحي عدة مستقبلا.

عناصر عديدة في الملف الأصلي لا يكتمل تفصيلها إلا بوضعها جميعا على طاولة التشريح وتفكيك الألغام التي تحوّطها من كل اتجاه لفهم رؤية المغرب من إصلاح العلاقة مع الجزائر ودفعها للنزول إلى أرض الواقع ورؤية الأمور من زاوية أخرى غير تلك المغالية في الهروب إلى الأمام والتنصّل من مسؤولياتها، خصوصا في ظل ظرفية متقلبة كالتي تمر بها دول المغرب العربي حاليا وخصوصا ليبيا وبدرجة أقل تونس.

يتحرّك المغرب انطلاقا من فهم واع ومدروس للقضايا التي أضحت تؤرق البلدين في السنوات الأخيرة وأساسا آفة الإرهاب ومشكلة الهجرة السرّية عبر الحدود. فَهْم ملكي مدروس واستشعار للخطر الذي أضحت تمثله الكيانات المتربّصة بالمملكة كما أزمة الحدود الجزائرية التي يتدفق منها الآلاف من المهاجرين للتراب المغربي ومنه إلى بلدان أوروبا، فرضا تنسيق الجهود وطلب الحوار كأداة لتفعيل العمل المشترك بين البلدين.

إضافة إلى القضايا المصيرية الملحة، يبدو تركيز المغرب منتصرا لقاعدة تنويع شركائه وفتح حدود الشراكة مع الجميع بما في ذلك جيرانه. وهو منطق يسيّر رؤية المغرب الجديدة بعدم الارتهان إلى جهة بعينها أو طرف بعينه، بما يعزز دوره في تذليل الهوّة بين دول اتحاد المغرب العربي ويسمح بردم هامش النقاش حول قضايا يمكن تجاوزها. قراءة موقف الرباط لا يمكن فهمها إلا في إطار مسعى نحو الحل يهمّ أم القضايا وهي قضية الصحراء. رؤية جادة يسير فيها المغرب منذ الإعلان عن استراتيجيته الاقتصادية المعتمدة على تنويع الشركاء والالتفاتة نحو جيرانه.

كما في أفريقيا التي أعاد المغرب تجديد عضويته فيها بعد غياب دام 33 عاما وقد اختزل العاهل المغربي حينها واقع منطقة المغرب العربي بأنها "الأقل اندماجا في القارة الأفريقية إن لم يكن في العالم". يحافظ المغرب على شراكته الواسعة مع العديد من الدول في الشرق الأوسط وخصوصا دول الخليج، ويعمل وفق تراتبية واسعة لتجديد الثقة في شركائه. كذا الأمر مع الأطراف الغربية والدول المصنعة الكبرى التي لا تغيب على رؤية الرباط التنموية والاستراتيجية. وهي مسألة يقول عنها العمراني بوخبزة الخبير في العلاقات الدولية، إن المغرب "اختار منهجية تقوم على أساس تبادل المصالح إعمالا لشعار التعاون 'جنوب-جنوب' القائم على أساس أن الكل رابح". ورأى بوخبزة أن "المبادرة المغربية تأتي لخلق أجواء جديدة تمكن من الانطلاقة نحو المستقبل".

يجد هذا الكلام صدى له في الأشواط المتقدمة التي قطعها المغرب اقتصاديا والتركيز المنصب للمملكة على النهوض بتجاربها التنموية نحو أفق أرحب على مستوى البنى التحتية وفي المجال التصنيع المتطور. آخر الشواهد ما سجلته المملكة هذا الأسبوع من تدشين لخط السكك الحديدية الجديد فائق السرعة الذي يربط الدار البيضاء بطنجة على مسافة 350 كلم بحضور الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون وغيرها من المشاريع العملاقة التي يفاجئ المغرب العالم بإطلاقها.

على النقيض من هذا التمشي تجد الجارة المدعوة للتحاور نفسها في أتون من الأزمات التي تحوّطها من كل الاتجاهات، وإن بدرجات متفاوتة مع بقية بلدان المغرب العربي على غرار تونس التي تعاني أزمة سياسية واقتصادية خانقة والجارة ليبيا التي لم يجن فاعلوها السياسيون غير الوعود الدولية على كثرة مؤتمراتهم في الخارج وداخل منهك على وقع فوهات بنادق الميليشيات المنفلتة في كل اتجاه.

معلوم الظرفية الخانقة التي تمر بها الجزائر حول أزمة الرئاسة ولغط الولاية الخامسة للرئيس عبدالعزيز بوتفليقة وملفات الفساد والإقالات التي طالت العديد من الشخصيات والرموز الحساسة في جهاز الدولة ومازالت ارتداداتها متواصلة. يضاف إلى ذلك الاحتقان الذي تعيشه البلاد على وقع تفاقم الأزمات الاجتماعية ووصولها سقفا لا يمكن تحمله مما يوحي بتفجر الأوضاع في كل لحظة.

سيناريو الحل لا يمكن أن يكون إلا بتوافق الرؤى بين جميع الأطراف الفاعلة في ملف المغرب العربي، والجزائر هي العنصر الضاغط الذي يتوجب إيجاد صيغة مرضية وقنوات تواصل معها في هذا الخصوص. في المقابل يتحرك المغرب انطلاقا من وضعية مريحة يتمتع بها وأهلته للعب دور المحاور.

سياسة الحوار المفتوح مشروع ضامن للحل لكل الأطراف المتصارعة على خلافات مرحلية يمكن تذليلها وفك عقدها، والتي إن وضعت على طاولة النقاش الجاد ستفضي حتما إلى مخرج ليس فقط للمغرب الماد يده للجميع بل أيضا لبقية الدول المغاربية للخروج من أوضاعها المتأزمة.

اتحاد الشغل في تونس متمسك بالإضراب العام

❑ **تونس** – أعلن الاتحاد العام التّونسي للشغل، أكبر نقابة عمالية في البلاد، السبت، تمسكه بالإضراب العام على مستوى المؤسسات الحكومية، المقرر الخميس المقبل، للمطالبة بزيادة في الأجور. جاء ذلك على لسان نورالدين الطبوبي الأمين العام للاتحاد، في تجمّع للمئات من العمال والموظفين أمام مقر الاتحاد بساحة "محمد علي الحامي" في العاصمة تونس.

وقال الطبوبي "متمسكون بحقوقنا ومكاسبنا وبتحقيق الزيادات في أجور الوظيفة العمومية والقطاع العام". وأوضح أن "700 ألف شخص يعملون في قطاع الوظيفة العمومية ويعيلون أكثر من 3 ملايين".

وتابع "الإرادة الشعبية هي الأساس لتحقيق ذلك (..) وسنواصل مسيرة النضال والدفاع عن خيارات شعبنا".

وأشار المسؤول النقابي إلى أن البلاد تشهد ارتفاعا في الأسعار وتراجعا في قيمة الدينار 40 بالمئة أمام العملات الأجنبية.

وفي مارس الماضي، قال رئيس الحكومة يوسف الشاهد إن الإصلاحات الاقتصادية يجب أن تمضي قدما وبسرعة، حتى لو كلفه ذلك منصبه، خصوصا في ما يتعلق بالمؤسسات العامة. وأضاف الشاهد أن بيع عدد من تلك المؤسسات سيكون حلا لعجز الموازنة، وهو ما يرفضه نقابيون إذ اعتبر الطبوبي أنهم يخوضون "معركة على أكثر من جبهة"؛ منها الدفاع عن المرافق العمومية، كما انتقدوا في أكثر من مناسبة رضوخ الحكومة للمانحين الدوليين.

ويعاني الاقتصاد التونسي من صعوبات رغم تسجيل نمو بواقع 2.6 بالمئة خلال الأشهر التسعة الأولى من 2018. ولوّح الاتحاد العام التونسي للشغل منذ فترة بالدخول في إضراب عام، يوم 22 نوفمبر، في القطاع العمومي، في حال لم يتم التوصل إلى اتفاق مع الحكومة بزيادة الأجور.

وحسب بيانات حكومية، فإنّ الأجور في القطاع الحكومي تشكل، وفق مشروع موازنة الدولة لعام 2019، نحو 14.1 بالمئة من الناتج الإجمالي، مقابل 14 بالمئة من موازنة العام الجاري.

حملة على الإنترنت احتجاجا على ارتداء العباية في السعودية

السعوديات يتجاوبن مع المشروع الإصلاحي لولي العهد

تؤمن المرأة السعودية بأن تطور المملكة مرتبط بإحداث التغيير في المجتمع، لذلك شاركت العديد من النساء السعوديات في حملة إلكترونية جديدة احتجاجا على إلزامية ارتداء العباءة في المملكة، وهو ما يعد تجسيدا لتجاوب السعوديين مع مشروع ولي العهد الأمير محمد بن سلمان الإصلاحي.

❑ **الرياض** – شاركت نساء سعوديات في حركة احتجاج على ارتداء العباءة من خلال نشر صورهن عبر شبكات التواصل الاجتماعي ارتدين فيها العباءة بالمقلوب، وتعد هذه الحملة الإلكترونية تجسيدا لتجاوب السعوديين مع مشروع ولي العهد الأمير محمد بن سلمان الإصلاحي.

وكان ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان قال في مارس 2018، إن ارتداء العباءة ليس إلزاميا في الإسلام. لكن في الممارسة لم يتغيّر شيء في هذا المجال في المملكة ولم ينشر أي قرار رسمي بهذا الخصوص.

والسعودية تعد من بين أشد الدول محافظة بشأن حريات وحقوق النساء، حيث يمنعن في الأماكن العامة من ارتداء أي لباس آخر غير العباءة السوداء التقليدية التي تغطي كل الجسم.

واستخدمت العشرات من السعوديات وسم (هاشتاغ) "العباية المقلوبة" لنشر صور لهن وهن يرتدين العباءة بالمقلوب.

وكتبت الناشطة نورا عبدالكريم في تغريدة هذا الأسبوع "لأن النساء السعوديات يملكن إبداعا بلا حدود، فقد أبدعن شكلا جديدا من الاحتجاج". وأوضحت "إنهن ينشرن صورا لهن وهن يرتدين العباية بالمقلوب احتجاجا على الضغط الذي يجبرهن على ارتدائها".

وقالت امرأة أخرى على تويتر إن الحملة عبر الإنترنت التي بدا أنها تتسع منذ إطلاقها هذا الأسبوع، هي "احتجاج مدني".

> السعوديات أبدعن شكلا جديدا من الاحتجاج من خلال إطلاق الحملة الجديدة التي تتمثل في نشر صور ارتدين فيها العباءات بالمقلوب

وفي مقابلة في مارس مع قناة سي.بي.أس الأميركية قال الأمير محمد بن سلمان إن "القوانين واضحة جدا وهي تنص بموجب الشريعة على واجب أن ترتدي النساء ملابس لائقة ومحترمة مثل الرجال". وأضاف "لكن ذلك لا يعني ضرورة عباية سوداء والأمر متروك بالكامل للمرأة لتقرير أي نوع من الثياب اللائق والمحترم تريد ارتداءه".

السير على نهج التغيير

وكان الشيخ عبدالله المطلق، العضو البارز في هيئة كبار العلماء بالسعودية، قد قال في فبراير الماضي، إن المرأة ليست ملزمة بارتداء العباءة تحديدا ما دامت تستر نفسها بملابس محتشمة. وتابع "ما نلزم الناس بالعباءات.. إذا سترت المرأة نفسها بعباءة أو بغير ذلك.. فالمقصود الستر".

كما قال الشيخ الذي يحظى بتأثير كبير أحمد بن قاسم الغامدي، إنه ليس شرطا أن يكون الأسود لون العباءة.

وبدأت سعوديات في السنوات القليلة الماضية في ارتداء عباءات بألوان فاتحة أو زاهية في تناقض صارخ مع الأسود التقليدي. وفي بعض المناطق، بدأت تنتشر العباءات المفتوحة التي توضع على تنورات طويلة أو على سراويل من الجينز.

وتمثل هذه السلوكيات تغيّرا كبيرا خلال السنتين الماضيتين في المملكة. ففي 2016 احتجزت امرأة لخلعها العباءة في شارع رئيسي في الرياض، وذكرت وسائل إعلام محلية وقتها أنها احتجزت عقب بلاغ تلقته هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويشار إلى أن المملكة السعودية ألغت في يونيو 2018 منع النساء من قيادة السيارات الساري منذ عقود. كما سمح للنساء بدخول الملاعب الرياضية.

وتوجّه أيضا انتقادات إلى المملكة لنظامها القائم على قوامة الرجال على النساء، والتي تتيح للرجل ممارسة سلطة اتخاذ قرارات باسم نساء الأسرة. لكن المملكة قامت بتعديلات على "نظام ولاية الرجل" على المرأة، فقد مكنت "رؤية 2030" التي أطلقها الأمير محمد بن سلمان من حصول المرأة في السعودية على حقوق كانت محرومة منها في السابق ومن بينها حقها في الحصول على رخصة التوثيق للقيام ببعض مهام كتابات العدل وحقها في استخراج وثائق الهوية بنفسها.

كما منحت المرأة السعودية حق الحضانة التلقائي. واعتبر الكثير من المراقبين أن إلغاء الوصاية هو بداية لإلغاء الولاية على المرأة.

كما ألغت السعودية في عام 2017، مطالبة المرأة بالحصول على موافقة ولي أمرها عند تقديم الخدمات لها أو إنهاء الإجراءات الخاصة بها.

وجسّد ولي العهد خطته للعبور إلى مرحلة ما بعد النفط في رؤية 2030 التي تولي اهتماما أكبر لمشاركة المرأة في المجتمع والاقتصاد، وتتبنى هذه الرؤية سياسة التغيّر بروية في مجتمع محافظ. ويعتبر مراقبون أن خطة الأمير محمد بن سلمان تمثل فرصة هامة للاستفادة من اليد العاملة النسائية المحلية، واستثمار طاقاتها في تحقيق تنمية المجتمع والاقتصاد. ويأخذ النهج الانفتاحي الذي بدأت السعودية في سلوكه منذ صعود القيادة الشابة الممثلة في ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، في الاعتبار خصوصية المجتمع السعودي المحافظ والذي هيمنت عليه لعقود عقلية رجال الدين المتشددين.

وتمتلك هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تمثل الشرطة الدينية في المملكة، سلطات واسعة طيلة عقود من الزمن، إذ تسيّر دوريات في الأماكن العامة لمراقبة سلوك السعوديين من الجنسين والذي قد يكون بحسب تقييم أفراد الهيئة "غير محتشم" مثل المظهر الخارجي للمرأة أو محاولة الاتصال بالجنس الآخر بالنسبة للرجال.

لكن السلطات السعودية تمكنت من تقليص صلاحيات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال مجموعة من الإصلاحات التي أطلقتها. كما قلّص الأمير محمد بن سلمان الدور السياسي لرجال الدين المتشددين في إطار الإصلاحات التاريخية في المملكة.

بريطانيا ترجئ مشروع قرار جديد متعلق باليمن

صالح البيضاني

❑ **عدن** – أكدت مصادر دبلوماسية مطلعة لـ"العرب" تأجيل بريطانيا تقديم مشروع قرار جديد متعلق باليمن إلى الاثنين القادم، لتوفير توافق أكبر على صيغته.

ويتمحور القرار وفقا للمصادر حول دعم جهود المبعوث الأممي إلى اليمن مارتن غريفيث، والدعوة لانخراط الأطراف اليمنية في جولة المشاورات المزمع عقدها أواخر نوفمبر في العاصمة السويدية ستوكهولم. كما يتضمن عدم وضع العراقيل أمام مساعي إحلال السلام، إضافة إلى إجراءات ذات طابع إنساني.

وحملت إفادة المبعوث الأممي إلى اليمن التي قدمها إلى مجلس الأمن الدولي الجمعة، ملامح رؤيته للحل في اليمن والتي يبدو أنها تحظى بدعم كبير من قبل دول دائمة العضوية في مجلس الأمن وخصوصا بريطانيا.

وأشار إلى اقتراب التوقيع على اتفاق وشيك لتبادل الأسرى والمعتقلين بين الحكومة اليمنية والحوثيين.

ولفت غريفيث إلى أن مشاورات السويد ستتمحور حول التوصل إلى صيغة اتفاق انتقالي لاستئناف عملية انتقالية جديدة، يجب أن تحظى بدعم جميع اليمنيين.

وشدّد، في كلمته أمام مجلس الأمن، على أنه تلقى "تأكيدات من قيادات الأطراف اليمنية، بالالتزام بحضور المشاورات".

وكشف المبعوث عن زيارة مرتقبة سيقوم بها لصنعاء الأسبوع المقبل، مشيرا إلى أنه سيرافق الوفد الحوثي إلى المشاورات، في تأكيد على أن الذرائع التي عرقلت حضورهم مشاورات جنيف 3 لن تكون مقبولة في هذه المشاورات.

وفي تصعيد حوثي يتكرر مع اقتراب كل جولة مشاورات، تحدثت مصادر سياسية عن قيام الحوثيين بحملة مداهمات جديدة لمساكن مسؤولين في الحكومة الشرعية في صنعاء. وفي المقابل، تشهد الحديدة هدوءا نسبيا في ظل سريان قرار وقف إطلاق النار، غير أن مصادر محلية قالت لـ"العرب" إن الحوثيين لازالوا يستخدمون قذائف الهاون والقناصة في استهداف الأحياء التي تسيطر عليها قوات المقاومة المشتركة جنوبي وشرق المدينة.

ولفتت المصادر إلى قيام الحوثيين بحملة اعتقالات غير مسبوقة للمدنيين الذين تشكّ في انتمائهم. وقال الصحافي اليمني همدان العليي لـ"العرب"، إن أنباء الحديدة تؤكد استمرار ميليشيا الحوثي في تفخيخ المؤسسات الحكومية والطرقات والمصانع وحتى مخازن الغذاء والوقود مستغلة الهدنة. وأضاف "قيادات بارزة في الميليشيا الحوثية هدّدت بأنها لن تترك الحديدة إلا كومة من الدمار".

الأناضول التركية تدافع عن تحيّزها في تغطية قضية خاشقجي

❑ **إسطنبول** – حاولت وكالة الأنباء التركية الأناضول الدفاع عن تحيّزها الواضح في تغطية قضية مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي في تركيا.

وقال مدير عام الوكالة شنول قازانجي السبت، إن الأناضول "لم تتهم أحدا بالمسؤولية عن جريمة لم ترتكب، وإنما بحثت عن الحقيقة دون كلل"، أثناء تغطيتها لتطورات القضية. وأفاد، خلال اجتماع مع ممثلي أعضاء اتحاد وكالات أنباء البلقان وجنوب شرقي أوروبا بإسطنبول، بأن "الأناضول لم تلق على عاتق أحد مسؤولية أي جريمة لم ترتكب، فهي بحثت عن الحقيقة دون انقطاع، ولن تتوقف عن البحث بأي شكل من الأشكال قبل الوصول إليها".

لكن أي تفحّص لطريقة عرض الأناضول للتقارير عن الأزمة الأخيرة والسعودية بشكل عام يروي قصة مختلفة غير تلك التي يحاول التسويق لها قازانجي.

ففي نفس اليوم الذي حاول رئيس الوكالة الدفاع عن نفسه، نشرت الأناضول تقريرا موجّها لا يبدو مهموما بأي حياد، ويتناول هذا التقرير سيرة سعود القحطاني، المستشار السابق لولي العهد السعودي والذي تم عزله من منصبه بعد مقتل خاشقجي، وهو واحد من بين 17 مسؤولا سعوديا فرضت عليهم الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية الخميس "لدورهم في مقتل خاشقجي".

ويقول مراقبون إن الأناضول لم تظهر خلال تغطية قضية مقتل خاشقجي كوسيلة إعلام مستقلة بقدر ما بدت أكثر كناطق باسم الدوائر التي تتولى بث التسريبات، ولذلك غلب على تغطيتها الاعتماد على المصادر المجهولة التي ترفض الكشف عن اسمها، وهي في الأغلب مصادر أمنية واستخبارية، ما يثير السؤال بشأن هوّية الوكالة والجهة التي تقف وراءها، خاصة أن المصادر المجهولة كانت تخصها بالسبق في التسريبات.

وتساءل المراقبون كيف يقول قازانجي إن وكالته لم تلق على عاتق أحد المسؤولية وهي التي تورد تسريبات موجهة عملت على ربط تنفيذ الجريمة بولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بالرغم من أن مسؤولين أميركيين، بينهم الرئيس دونالد ترامب، ومسؤولين أوروبيين وروس استمعوا إلى التسريبات التي روّجت لها الأناضول والرئيس التركي رجب طيب أردوغان بشأن عملية مقتل خاشقجي، ونفوا أن تكون فيها أي إشارة مباشرة لولي العهد السعودي.

وجاء تقرير الأناضول السبت عن سعود القحطاني بعيدا عن الحياد وعن التعاطي الموضوعي مع أي شخصية مهما كان الخلاف معها. واستهلت الوكالة تقريرها بتغريدة نشرها القحطاني على حسابه على تويتر قبل نحو عام جاء فيها "تعتقد أني أقدح من رأسي دون توجيه؟ أنا موظف ومنفذ أمين لأوامر سيّدي ولي العهد (الأمير محمد بن سلمان)" في محاولة لتوريط ولي العهد الأمير السعودي في إصدار الأمر بقتل خاشقجي رغم نفي النيابة العامة السعودية المكلفة بالتحقيق في القضية.

وأورد تقرير الأناضول "للقحطاني ألقاب ومسميات كثيرة.. الإعلام القطري الذي تواجه بلاده بمقاطعة لا سيما سعودية قبل نحو عام، يصفه (القحطاني) بلفظ خليجي اسمه 'دليم'، وفيه تقليل من الشأن للغاية"، في عبارة توضّح بشكل واضح ومكشوف منهج التحيّز المفضوح الذي تتبعه الوكالة وهو تحيّز وتبن جلي للموقف القطري.

وتابع التقرير "كذلك ارتبط اسمه (القحطاني) مع الأزمة مع قطر، بأنه قائد جيش 'الذباب الإلكتروني' لمهاجمة خصوم المملكة، وكان حسابه بـ'تويتر' الذي يمتلك 1.3 مليون متابع منصة لهجوم شديد ضد الدوحة ومعارضي السعودية، وفق ما ذكرته تقارير إعلامية لا سيما قطرية". وذكر التقرير، الذي نشرته الأناضول في شكل بروفايل، محطات وتجارب مهنية في سيرة القحطاني أوصلته ليتولى منصب مسؤول كبير في المملكة السعودية.

وكان تحيّز الأناضول للموقف التركي واضحا في تقريرها بشأن القحطاني الذي تساءل فيه كاتبه "يبقى السؤال: هل سينال القحطاني جزاءه على فعلته؟ لا شك أنه بعيد عن التحقيقات والأدلة ومحاولة بعض الجهات إخفاء الحقائق.. فإن الدعوات التي تنهال على القحطاني وشركائه في هذه الفعلة الشنعاء ستفتح لها يوما أبواب السماء لتقتصّ من الظالمين. ويبدو أن قائمة الظالمين لن تقتصر على القحطاني ومن في مستواه بل ستشمل 'سيده' أيضا".

وقال مدير عام وكالة الأناضول إن "تركيا أبلغت الجهات التي تحاورها عن قلقها، وأطلعتها على ما لديها من أدلة".

ويسعى النظام التركي إلى توظيف تغطية وسائل الإعلام المحلية لقضية خاشقجي في شنّ حرب علاقات عامة على السعودية، حيث وظفها لغايات سياسية بحتة، أبعدت الإعلام عن قيم المصداقية والحياد التي من المفترض أنه يرتكز عليها بمختلف تغطياته الإعلامية. وبدا ذلك جليا بشكل خاص في تناول وكالة الأناضول لقضية خاشقجي.

وكان وزير الخارجية السعودي عادل الجبير، قد أشار الخميس إلى تغطية الصحافة التركية للقضية الخميس، عندما قال في كلمة بثتها وسائل الإعلام السعودية على الهواء مباشرة، إن الصحافة في تركيا، وكذلك في قطر، تشنّ "حملة موجهة وشرسة ضد المملكة"، مشيرا إلى أنه "من المؤسف محاولة تسييس هذا الأمر".

ويرى مراقبون أن النظام التركي اعتاد الاعتماد في كل المناسبات على الرسائل الإعلامية الموجهة التي تتضمن رسائل سياسية ليس بإمكان المسؤولين الحكوميين أن يصرحوا بها بشكل علني ورسمي.

مدير عام الوكالة يقول ما لا يفعل

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

ضائع في الترجمة

أسامة الرمضاني
رئيس تحرير العرب ويكلي

❑ يؤكد مؤشر إياف لكفاءة اللغة الإنكليزية، الذي نشرته مؤخرا مؤسسة "إي.إف إديوكيشن فيرست" في زيورخ، الحالة المؤسفة في المنطقة العربية حيث تم تصنيفها على أنها المنطقة الأقل كفاءة في اللغة الإنكليزية بين جميع مناطق العالم.

ولم يصنف المسح، الذي يجمع آراء 1.3 مليون متحدث للغة الإنكليزية من غير أبنائها من 88 دولة أو منطقة، أي دولة عربية من بين أعلى 30 دولة. وكانت الدولة العربية الوحيدة التي حققت تصنيفا مقبولا تقريبا هي لبنان، والتي حلت في المرتبة رقم 33، بمستوى كفاءة "متوسط".

> تصنيفات الدول العربية في مؤشر إياف لكفاءة اللغة الإنكليزية تنوعت بين «متدن» و«متدن جدا»، وهي حالة مؤسفة تكشف تخلف العالم العربي في ما يتعلق بالترابط مع باقي العالم

وتنوعت تصنيفات الدول العربية الأخرى ما بين "متدن" و"متدن جدا". وهي حالة مؤسفة تشرح وتقضي بأن العالم العربي يتخلف في ما يتعلق بالترابط مع باقي العالم، والانخراط في الاقتصاد العالمي، والإبداع التكنولوجي، وحتى في التقدم الاجتماعي.

وتوجد خمس دول عربية من بين الدول الأقل تصنيفا. وهناك دولتان من بين هذه الدول تحتلان قاع التصنيف. وهاتان الدولتان هما ليبيا والعراق الغنيتان بالنفط. ويعد البلدان مثالا صارخا على كيف أدت عقود من الصراع، وعدم الاستقرار، والسياسات غير الملائمة إلى منع حدوث تقدم تعليمي وتدريب لغة جاد.

وفي ليبيا، تعاني الكثير من الأجيال من عواقب الشك الممزوج بجنون العظمة في اللغات الأجنبية الذي كان يعاني منه رجل ليبيا القوي السابق معمر القذافي. وأدت سبع سنوات من الصراع والنزوح منذ الإطاحة بالنظام الليبي إلى منع إعادة بناء أنظمة اقتصادية اجتماعية وأنظمة تعليمية.

وفي العراق، أدت طرق تدريس اللغة الأجنبية، والتي عادة ما كانت هي نفس الطرق التي كانت تُستخدم في خمسينات القرن الماضي، إلى فشل ذريع وأدت إلى عقود من الحرب والصراع الباقي.

وفي أماكن أخرى كثيرة، مثل سوريا واليمن، فإن الحرب والنزوح ومعدلات التسرّب الدراسي المرتفعة أعاقت دراسة المراهقين العرب.

وتعد أوجه القصور في تدريس اللغة الإنكليزية جزءا من المشكلة الأكبر للأنظمة التعليمية التي تحتاج إلى إصلاحات مستميتة في معظم أنحاء العالم العربي. وتوضح الدراسات الحديثة أن عودة الأمّية تدق ناقوس الخطر.

ويشير تقرير "إديوكيشن فيرست" إلى أنه من غير المثير للدهشة أن الافتقار إلى كفاءة اللغة الإنكليزية واضح في شريحة عمرية محددة بين الشباب العرب: "تقع جميع المجموعات العمرية تحت المعدلات العالمية، لكن الفئات العمرية المتخلفة كثيرا هي للأسف أيضا الأكبر وهم البالغون الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 و20 عاما".

وتعد هذه الفجوة انعكاسا لا يمكن تجنبه لعدم كفاية التدريب على اللغة الإنكليزية في مستويات الدراسة الابتدائية والثانوية.

وهذا النوع من التدريب غير الكافي يُعد بصورة سيئة خريجي مدارس ثانوية لمتطلبات التدريس باللغة الإنكليزية السائدة في معظم الجامعات في الشرق الأوسط. وبالنسبة لأولئك الذين يدرسون في الخارج، فإن التحدي أكبر لأن الطلاب العرب لم يتم إعدادهم للتواصل واستخدام البحث باللغة الإنكليزية.

ويمكن لأوجه القصور في التدريب الجامعي أن تؤدي فقط إلى تراكم عدم التكافؤ المزمن بين الأنظمة التعليمية وسوق العمل الذي أصبحت فيه اللغة الإنكليزية مهارة مطلوبة بصورة كبيرة. وتعوق المشكلة توظيف خريجين من الشباب العرب يبحثون عن عمل في بلادهم أو في الخارج في سوق العمل العالمي بصورة كبيرة اليوم. كما أنها تحرم الأنظمة الاقتصادية التي تسعى لاجتذاب مستثمرين ورجال أعمال وسائحين أجانب ذوي إمكانيات ضخمة.

إنكليزية العرب من متدن إلى متدن جدا

وفي بلدان المغرب العربي، فإن كفاءة اللغة الإنكليزية يعوقها وضعها كلغة ثالثة. وتُدرك العائلات في المنطقة بصورة متزايدة الآثار السلبية على أطفالها جراء عدم كفاءتهم في اللغة الأجنبية. وبالتالي، تحاول تعليم أبنائها في مدارس خاصة، لكن مثل المدارس الخاصة مكلفة ومن ثم لا يمكن للغالبية العظمى من الطلاب الدراسة فيها. وحتى خريجي التعليم العام غالبا ما ينتهي بهم الحال بالحصول على دورات تدريبية تعويضية، وخاصة إذا ما كانوا يفكرون في الهجرة.

ويمكن فقط لسياسات تم تصميمها وتنفيذها بصورة صحيحة في أنظمة التعليم العامة في العالم العربي أن تضمن التدريب الكافي للأعداد الكبيرة من الشبان والشابات الذين يتخرجون سنويا.

كما أنه من غير المقبول أن يظل الشرق الأوسط هو المنطقة الوحيدة في العالم التي بها معدلات كفاءة الرجال في اللغة الإنكليزية أفضل من النساء. وعلى الرغم من معدلات تعليمهن العالية في الجامعات، فإن الشابات لا يبدين حماسا كافيا للانخراط في العالم الخارجي من خلال اللغات الأجنبية.

وسيتطلب تحسين معايير اللغة الإنكليزية للجنسين، وبخاصة الشابات، وعيا اجتماعيا أفضل ودعما لمعدلات كفاءة محسنة حيث لا ينشأ الشباب العرب في بيئات اجتماعية تضع قيمة عالية على الكفاءة في اللغة الإنكليزية. وربما يواجهون بيئات محافظة ثقافية يُنظر فيها إلى اللغة الإنكليزية أو أي لغة أجنبية على أنها ذات تأثير أجنبي إن لم تكن تمثل تهديدا للهوية.

وتبديد مثل هذه الأفكار المثبطة ينبغي أن يكون جزءا من عملية التحديث الاقتصادي في المنطقة. والتحدث باللغة الإنكليزية وبصورة جيدة هو أحد متطلبات هذه العملية.

إن الافتقار إلى الكفاءة في اللغة الإنكليزية يحرم المنطقة العربية من تقريب مهم بباقي أنحاء العالم. ولا يوجد أمل لتفاهم أفضل لحقائق المنطقة إذا كانت رسائلها تضيع دائما في الترجمة.

القانون 31 يكرس احتكار وزارة الأوقاف للشأن الديني في سوريا

رانيا مصطفى

❑ **دمشق** – أثار مشروع المرسوم 16 المنظم لعمل وزارة الأوقاف في سوريا، جدلا واسعا ضمن أوساط المعارضة والموالاة على حد السواء، وإن اختلفت التفسيرات.

وفي 10 أكتوبر الماضي، جرى نقاش حادّ تحت قبّة مجلس الشعب، ولأول مرة، حول مرسوم موقع من رئيس الجمهورية، المخوّل بإصدار المراسيم خارج دورات انعقاد المجلس. وتركزت حجج المعترضين على أن المرسوم يهدف إلى صبغ الدولة بالصبغة الإسلامية، ورُفض تحت قبة المجلس بأكثرية الثلثين. لكن في اليوم التالي صدر القانون 31، بعد إجراء تعديلات على بعض المهام والمسمّيات في المرسوم، وحَذف مواد منه، وتغيير صياغة أخرى. التعديلات وُصفت بالشكلية، وتتعلق بتهدئة المتخوفين من أسلمة الدولة. وكتب عضو مجلس الشعب، نبيل الصالح، الذي قاد حملة المعترضين داخل المجلس على صفحته على فيسبوك "التعديلات غير كافية بالنسبة إلينا كعلمانيين، ولكنها كانت كافية لتطمين عموم السوريين".

ورأى حقوقيون ونشطاء معارضون للنظام، أن هناك مبالغة في القول إن هدف المرسوم هو "أسلمة الدولة"، ويرون أنه تتويج لعمل وزارة الأوقاف طيلة عشر سنوات، في حصر الخطاب الديني بالمؤسسات البيروقراطية التابعة لها، ومكافأة لنفوذها في مناطق المصالحة، وأنه يعيد "قوننة" دور الوزارة في استثمار العقارات الوقفية.

وتنوط المادة 2/د بـ"المجلس العلمي الفقهي"، الذي يرأسه وزير الأوقاف محمد عبدالستار السيد، مهمة تحديد من هو التكفيري والإخواني "محاربة الفكر التكفيري المتطرف بتياراته ومشاربه.. كتنظيم الإخوان المسلمين وما يماثلها من الحركات والتنظيمات المتطرفة"، فيما تفرض المادة 16/أ عقوبات تأديبية على "كل من ينشر أفكارا تكفيرية متطرّفة كالأفكار الإخوانية أو السلفية أو يرتكب مخالفة جسيمة يقدرها الوزير"، وترفع عنه الصفة الدينية بقرار من الوزير، إضافة إلى الحرمان من المنح المالية المنصوص عليها في القانون.

وبرأي توماس بيريه، الباحث في الإسلام المعاصر، فإن النظام السوري عيّن محمد عبدالستار السيد وزيرا للأوقاف منذ 2008، بقصد "إنهاء استقلالية العلماء، بعد أن كان المنصب حكرا على الكفاتريين طيلة حكم حافظ الأسد". وفي 2009 تحول اسم وزارة الأوقاف إلى "وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد"، في نقلة لمهامها من الاقتصار على إدارة أملاك الوقف، إلى الاهتمام بكل ما يتعلق بالشؤون الدينية في سوريا. ورغم توالي ثلاث تشكيلات وزارية، فقد بقي "السيد" في منصبه طيلة 9 سنوات؛ إلى أن توّج مهمّته باستصدار القانون 31.

ويقول محمد حبش، النائب السابق والباحث الإسلامي الإصلاحي، إن "الوزارة ستحتكر الخطاب الديني، والغالب هو خطاب سلفي، ومنع أي فضاء من الحرية داخل الوزارة وخارجها وهو الأسوأ، وهذا سيقتل الإبداع والتجديد الديني الذي لا يتم إلا في فضاء من الحرية". ويضيف "حتى المفكر العلماني الذي يريد أن يكتب في الشأن الديني يمكن أن يتعرض لسؤال من الأوقاف". وتنص المادة 2/ط على الاعتماد على "العنصر الشبابي" في "تطوير الفكر الديني لدى الأئمة والخطباء ومعلمات القرآن الكريم"؛ حيث تجنب القانون 31 ذكر "الفريق الديني الشبابي"، بعد أن كان مذكورا صراحة في المرسوم 16، بسبب تعرّضه للانتقاد الواسع من الموالين المعترضين على المرسوم.

وتصدّر وزير الأوقاف ومشايخ آخرون يعملون معه، مشهد المصالحات التي بدأت في 2016، بعد التقارب الروسي- التركي؛ وأنشأ "الفريق الديني الشبابي" بقيادة ابنه الشيخ عبدالله السيد، والشيخ محمد سائر شعبان، مسؤول العلاقات والتدريب في المكتب المركزي، ومشايخ من مناطق خاضعة للنظام، وشخصيات نسائية من "القبيسيات"؛ وتم الترخيص له في بداية 2017.

وعمل الفريق الديني الشبابي منذ تأسيسه، على تغيير الخطاب الديني وجعله يخدم بقاء النظام، ودَعَمَ النظامَ ومعاركه ضد "الفئات الضالة"، وضد "الأفكار المتطرفة" حسب توصيف مشايخه.

وأجرى الفريق دورات تأهيل لخطباء الجوامع ومسؤولي الدروس الشرعية، وقام بحملة "تطهير" طالت الجوامع والمكتبات والثانويات الشرعية ومعاهد تحفيظ القرآن الكريم، بحثا عن مناهج ابن تيمية وغيره من الأفكار المتطرفة.

وتعرّض الفريق الديني الشبابي إلى انتقادات واسعة من موالي النظام، بسبب دوره في المصالحة وضم مشايخ كانوا قياديين في فصائل معارضة إسلامية؛ أبرزهم، وأكثرهم إثارة للجدل، الشيخ عمر رحمون، القائد والشرعي في فصائل إسلامية معارضة حتى 2016 حيث صَالح النظام، وكان عرّاب اتفاق خروج المعارضة من حلب الشرقية، وبات شخصية لها نفوذ كبير ضمن الفريق الديني الشبابي، بحماية شعبة الأمن العسكري بحماة، وهو يجول على مواقع ميليشيات النظام، وكانت له شبكة علاقات مع شخصيات ووجهاء محليين في إدلب وريف حماة.

وفي مناطق المصالحة، في الغوطة وريف حمص الشمالي والقلمون ودرعا، ظهر دور الفريق الشبابي، بتطمين الأهالي، وانضمام عدد كبير من المشايخ في هذه المناطق إلى صفوف الفريق الديني الشبابي، وفي درعا أرسلت وزارة الأوقاف أئمة ومشايخ موالين لإلقاء خطب الجمعة.

الباب الخامس من القانون مؤلف من 40 مادة، مخصّصة لتشكيل "مجلس الأوقاف المركزي"، برئاسة الوزير، تنحصر مهمّته في تنمية واستثمار العقارات الوقفية، وكل الشؤون المالية والقانونية، وما يتعلق باعتماد موازنات مديريات وشعب الأوقاف والمدارس الشرعية والمبرّات الإسلامية والمراكز الخيرية.

وبحسب المادة 53، فإن موازنة المجلس مستقلة عن الموازنة العامة للدولة، والمادة 57 تحدّد العقارات الوقفية. والعقارات الوقفية تشمل المساجد والمقابر والمقامات الدينية، إضافة إلى معظم الأسواق الأثرية في دمشق وحلب؛ ويقدر النائب حبش أن العقارات الوقفية تزيد عن نصف مساحة دمشق.

وفي يوليو الماضي اشتكى أصحاب محال تجارية تملكها مديرية أوقاف دمشق من رفع إيجار محلاتها إلى عشرين ضعفا. في خطوة يرى البعض أنها جاءت للضغط على أصحاب المحال القديمة للتنازل عن حق الإيجار لمستثمرين قادرين على الدفع، ما سيغيّر من القيمة الأثرية لتلك الأسواق. في حين أن المادة 86 تتيح لمجلس الأوقاف المركزي تأسيس شركات تجارية مملوكة له لاستثمار وإدارة الأوقاف.

ويرى الكاتب السوري مصطفى الولي أن المجلس العلمي الفقهي هو "بمثابة إعلان عن وجود سلطة دينية رسمية موازية للسلطات العسكرية والاقتصادية والسياسية، تمتلك استقلالية مالية تامة، وهي مأخوذة من فكرة المجلس الشيعي الأعلى في لبنان، الذي أسسه موسى الصدر عام 1967". فيما يختصر الخبير القانوني السوري المعارض محمد صبرة، ذلك بالقول إن "القانون هو لتشييع سوريا".

مخاوف من أسلمة الدولة وتشييعها

القطار المغربي السريع... المرتبط بالتنمية

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ يرمز القطار السريع الذي بات يربط بين الدار البيضاء وطنجة إلى المغرب في عهد محمّد السادس. يرمز عمليا إلى السرعة التي تسير فيها عملية التنمية والنهوض بالمملكة.

يوفر القطار الذي سمّي "البراق" دليلا آخر على أن قطار التنمية في المغرب لا يتوقف. الفارق الوحيد أنّ سرعة هذا القطار زادت الآن وستزداد أكثر مستقبلا.

لم يتوقف قطار التنمية في المغرب يوما منذ عشرين عاما. هناك عملية ربط بين كل المدن والمناطق المغربية ببعضها البعض من أجل أن يكون هناك تكامل في ما بينها في سياق النهوض بالاقتصاد على مستوى المملكة كلها.

لا فارق في المغرب بين منطقة وأخرى. هناك توسيع لعملية التنمية وتطوير لها كي تصل إلى أبعد منطقة مغربية وإلى الأقاليم الصحراوية في طبيعة الحال.

هناك بكل بساطة من يستوعب ما يشهده المغرب منذ سنوات وهناك العاجز عن استيعاب الواقع لأسباب مرتبطة أوّلا وأخيرا بعقد مستحكمة بعقول أولئك الذين يرفضون الاعتراف بالواقع والحقيقة.

الواقع والحقيقة هو لغة الأرقام التي تتحدث بنفسها عن ارتفاع مستوى المعيشة في المغرب وعن توسّع الطبقة المتوسطة التي باتت تحتل مساحة كبيرة على خارطة المملكة.

لم يكن ذلك ممكنا من دون تفكير في المستقبل واستشفاف له. ففي كلّ خطاب يلقيه محمّد السادس وكلّ عمل يقوم به يوجد تركيز على نقاط معيّنة. لكن المحور الدائم لأي خطاب يوجهه الملك إلى المواطنين هو الإنسان المغربي. يبقى الإنسان الثروة الحقيقية للمغرب حيث مؤسسات راسخة لدولة قديمة تعمل على تطوير نفسها بشكل دائم من خلال الاستثمار في الإنسان من دون عقد من أيّ نوع كان.

يتحوّل المغرب شيئا فشيئا إلى بوابة أوروبا إلى أفريقيا وبوابة أفريقيا إلى أوروبا في الوقت ذاته. ليس بعيدا اليوم الذي سيكون فيه ربط مباشر عبر القطار بين المغرب وإسبانيا لتأكيد عمق العلاقة المغربية – الأوروبية.

بعدما صار الربط بين فرنسا وبريطانيا عبر القطار السريع ونفق تحت بحر المانش حقيقة في مثل هذه الأيّام من العام 1994، لم يعد مستبعدا إقامة نفق تحت البحر المتوسط بين المغرب وإسبانيا في يوم من الأيّام. من كان يتصوّر في الماضي أن نفقا سيبنى تحت المانش وأن الرحلة من لندن إلى باريس لن تستغرق أكثر من ساعتين ونصف ساعة؟

استقل الملك محمّد السادس والرئيس إيمانويل ماكرون الرحلة الأولى لقطار "البراق" الذي عملت على إنجازه مجموعة من الشركات الفرنسية بالتعاون مع المؤسسات المغربية المختصة.

تطلع نحو أفق استثماري ضخم

يعطي القطار السريع بين الدار البيضاء وطنجة، المدينة ذات المستقبل الواعد بفضل بنيتها التحتية وميناؤها الجديد الذي سمّي "طنجة ميد"، فكرة عن مستقبل العلاقة المختلفة بين أوروبا ودول شمال أفريقيا. لا يوجد الآن بلد غير المغرب قادر على خلق علاقة مختلفة بين الجانبين بدل التباعد بينهما.

في أساس هذه العلاقة ما يستطيع المغرب توفيره من ضمانات لأوروبا في مجالي مكافحة الإرهاب والحدّ من الهجرة غير الشرعية وما تستطيع أوروبا توفيره للمغرب في مجال الاستثمارات. كلّ ما في الأمر أن المغرب استطاع إيجاد مصالح مشتركة بينه وبين أوروبا.

على سبيل المثال وليس الحصر، يوفّر المغرب بنية تحتية تستطيع الشركات الأوروبية الكبيرة استخدامها لإقامة مصانع في المغرب. هذه فرصة لا تعوّض للشركات الأوروبية التي تبحث عن يد عاملة رخيصة وتمتلك مهارات في الوقت ذاته.

ما تنتجه المصانع الأوروبية في المغرب بواسطة اليد العاملة المغربية لا يوفّر فرص عمل في المغرب فقط. هناك ما هو أكثر من ذلك بكثير. هناك إعادة تصدير للصناعات الأوروبية التي تنتج في المغرب في اتجاه أوروبا نفسها وفي اتجاه أفريقيا.

ليس سرّا أن فرنسا ليست جمعية خيرية. عندما تساعد في بناء القطار السريع في المغرب، فهي لا تروج لنفسها في هذا البلد فحسب، بل تعمل أيضا على الترويج لصناعاتها في أفريقيا كلّها التي تشهد في هذه الأيّام منافسة على أسواقها بين الصين والولايات المتحدة.

تكمن أهمّية المغرب في أنه استطاع أن يجد موقعا مميّزا له في أفريقيا. كشف خيار الملك محمّد السادس بالعودة إلى الاتحاد الأفريقي تفكيرا استراتيجيا بعيد المدى.

ينطلق هذا التفكير من عوامل عدة يستطيع المغرب تطويعها كي تلعب دورا مساعدا له. من بين هذه العوامل، الموقع الاستراتيجي للمغرب فضلا، بطبيعة الحال، عن حال الاستقرار التي تسود في المملكة والتي تميزها عن كلّ جيرانها وعن تلك الدول القريبة منها، خصوصا الجزائر وليبيا وتونس. الأهمّ من ذلك كلّه أن المغرب عرف كيف يطور الإنسان فيه. صحيح أنه لم يحقق بعد الهدف النهائي المطلوب، لكن الصحيح أيضا أن العاهل المغربي لا يترك مناسبة إلا ويؤكد فيها أهمية البرامج التربوية المتطورة مع تركيز خاص على إتقان اللغات الأجنبية والترويج لثقافة التسامح والاعتدال.

لم يحقق المغرب النجاحات التي حققها من دون إيجاد المناخ الملائم لتطوير المواطن. كان ذلك عبر نشر ثقافة التسامح والاعتراف بالآخر بعيدا عن أي نوع من أنواع التطرّف الديني. فوق ذلك، لا يترك محمّد السادس فرصة تمرّ إلا ويؤكد دور أمين المؤمنين المسؤول عن كل إنسان موجود على الأرض المغربية.

لعبت شبكة المواصلات، خصوصا شبكة السكة الحديد، دورا في غاية الأهمية في توحيد الولايات المتحدة ونجاحها كدولة صناعية عظمى يوجد تكامل بين الولايات الخمسين التي تتألف منها. ما يشهده المغرب منذ سنوات عدّة بدءا بإقامة شبكة طرقات حديثة، إضافة إلى تطوير السكة الحديد فيه، يشكل مساهمة في إنجاح تجربة مميزة على الصعيد الأفريقي. كلمة السرّ باتت معروفة، فإلى جانب الاستثمار في الثروة التي اسمها الإنسان، هناك هاجس التنمية الذي لا يفارق محمّد السادس. جعل هذا الهاجس ملك المغرب يقدم على خطوات طليعية باكرا جدا منذ صعوده إلى العرش في العام 1999. توجت تلك الخطوات الطليعية بالإصلاحات السياسية التي أمّنت للمغرب استقرارا سياسيا وأمنيا يحسد عليه، خصوصا بعد إقرار الدستور الجديد في استفتاء شعبي أجري في العام 2011 تلته انتخابات نيابية.

انطلق القطار السريع في المغرب. جاءت الانطلاقة لتتوّج جهودا تستهدف صنع الفارق بين المغرب والمنطقة المحيطة به. الأكيد أن المغرب لا يحبذ استمرار وجود هذا الفارق بينه وبين الآخرين. الأكيد أيضا أنّه يسعى إلى تكامل وتعاون بين دول الإقليم، لا لشيء سوى لأن مثل هذا التكامل والتعاون الذي يحلّ مكان المنافسة يخدم الاستقرار الإقليمي. يبقى هذا الاستقرار هدفا من الأهداف التي يسعى إليها محمّد السادس كي يصبح شمال أفريقيا كلّه فضاء للقطار الذي تتجاوز سرعته 300 كيلومتر في الساعة بدل أن تقتصر مهمّة هذه القطار على الربط بين الدار البيضاء وطنجة.

ذاكرة الأوروبيين بين الحربين دائما قصيرة

طارق القيزاني
صحافي تونسي

❏ ربما كان الرئيس الأميركي الشعبوي محقا في تفكير الفرنسيين بالدور الحاسم الذي لعبه الجنود الأميركيون عند دخول الولايات المتحدة الحرب الكونية الأولى، ما شكل منعرجا قلب موازين القوى ضد ألمانيا وحلفائها، وأبعد بذلك شبح تحول فرنسا من مهد للغة فولتير إلى بلد ناطق بالألمانية.

لا أحد يحتاج إلى تذكير فرنسا والعالم بالدور العسكري المهم الذي لعبته الولايات المتحدة في الحربين العالميتين الأولى والثانية، الأوروبيون أنفسهم لا ينكرون فضل الأميركيين عليهم في تخليصهم من الحكم النازي. وفي كل الأحوال كان لذلك ثمن بلا شك، فموازين القوى العالمية اليوم مازالت ملزمة بتبعات الحرب الأولى والثانية.

غير أن المشكلة أن ذاكرة الأوروبيين دائما قصيرة عندما يتعلق الأمر بتضحيات جيرانهم في الضفة الجنوبية من المتوسط. لا سيما من سقطوا في حرب لا تخصهم ولا تعنيهم من أجل تحرير أوروبا وأن تنعم أجيالها اللاحقة بالسلم والرفاه الاجتماعي والاقتصادي.

ففي فرنسا وألمانيا، وأوروبا عموما، يجري الحديث بفخر عن رمزية معركة "فردان" بشمال فرنسا كأطول المعارك التي شهدتها الحرب العالمية الأولى وأكثرها خسارة من حيث عدد الضحايا.

لكنْ، قليلون من تحدثوا عن رمزية معركة "فردان" من حيث أنها أكثر المعارك التي سقط فيها ضحايا من الجنود الذين جرت تعبئتهم من أفريقيا في كلا الجيشين، ولا سيما في الجيش الفرنسي الذي استعان بعشرات الآلاف من المغاربيين والأفارقة من المستعمرات لصد الاجتياح الألماني.

حتى اليوم لم تكشف فرنسا عن العدد الحقيقي للجنود الذين تمت تعبئتهم للمعركة لكن الإحصائيات المتداولة لدى المؤرخين تتحدث عن قرابة 600 ألف قتيل في المعركة التي امتدت على عشرة أشهر، معظمهم كانوا من جنود المستعمرات وقد أبلوا بلاء بطوليا بوجه جيش ألماني قوي وأكثر عتادا.

وإذا ما ألقينا الضوء كذلك على الحرب العالمية الثانية فإننا سنجد أن الكتائب الفرنسية المدججة بالآلاف من الجنود المغاربيين كان لها الفضل الأول في اختراق خط الدفاع الألماني الحصين غوستاف على الجبهة الإيطالية، الخط الذي ظل في تقدير العسكريين الألمان غير قابل للاختراق. لكن ما فشل في إنجازه الأميركيون والبريطانيون نجح المغاربيون في تحقيقه. وهو اختراق كان له أثر بالغ على وجهة الحرب.

من الجيّد استحضار كل ذلك في كل مناسبة يحضر فيها زعماء العالم إلى أوروبا لإحياء مراسم ذكرى الحرب وتخليد ذكرى الضحايا والاتعاظ مما حصل. لكن تذكر الماضي يلقي أيضا على عاتق الشعوب المتحررة مسؤولية كبرى في رد الجميل والالتزام بالقوانين الدولية في حماية اللاجئين وفتح الأبواب أمامهم والمساعدة في تنقل المهاجرين والأشخاص بين دول المتوسط كما كان الحال متاحا لأجدادهم أيام الضنك والمآسي.

هناك الكثير من الوثائق تتحدث عن هجرات جماعية للأوروبيين نحو دول الجنوب للاحتماء من ويلات الحرب والفقر والأزمات الاقتصادية. وقد وصل بالفعل الكثير من الإيطاليين والمالطيين في هجرات غير منظمة عبر البحر إلى الأراضي التونسية القريبة واستقروا بها لبدء حياة جديدة. وهنا تكشف مراسلات ووثائق من حكم البايات في تونس عن انتشار واسع للموالي من أصول أوروبية في البلاطات وفي النسيج الاقتصادي والمجتمعي التونسي، هذا بخلاف مئات الآلاف من الأوروبيين الذين استقروا في المنطقة ضمن برنامج الاستيطان الأوروبي حتى بلغ عددهم المليون نسمة في الجزائر.

لكن مثل هذه الشواهد المرتبطة بحياة نسبة مهمة من الأجداد الأوروبيين بشمال أفريقيا تسقط من ذاكرة إيطاليا وفرنسا وأوروبا اليوم عندما يتعلق الأمر بهجرة الشباب العاطل نحو جزيرة صقلية ووسط مشاعر معادية للأجانب عموما، وهو ما تنطبق عليه صفة التنكُر المشين للماضي.

لا يتعين أن تكون ذاكرة الأوروبيين قصيرة بهذا الشكل المخزي، وأن تتملص من مسؤولياتها بعد قرون من الاستنزاف المنظم لثروات واقتصادات العالم والتوسع الرأسمالي نحو الأسواق الجديدة.

فرنسا استنزفت مقدرات المستعمرات الأفريقية لأكثر من قرن وكذلك إيطاليا في ليبيا والقرن الأفريقي وبريطانيا. كما ارتكب الألمان بخلاف الهولوكوست فظاعات في ناميبيا وباقي المستعمرات الأفريقية.

على أوروبا اليمينية أن تستحضر هذه الكلفة الباهظة باستمرار مثلما تذكرها الدائم بمسؤولياتها التاريخية تجاه الهولوكوست، فلولا أفريقيا وشعوب العالم لما كان لها أن تبني اقتصادها وتنعم بالسلم بعد قرون من السباق المحموم نحو سرقة موارد العالم.

ليبيا ...

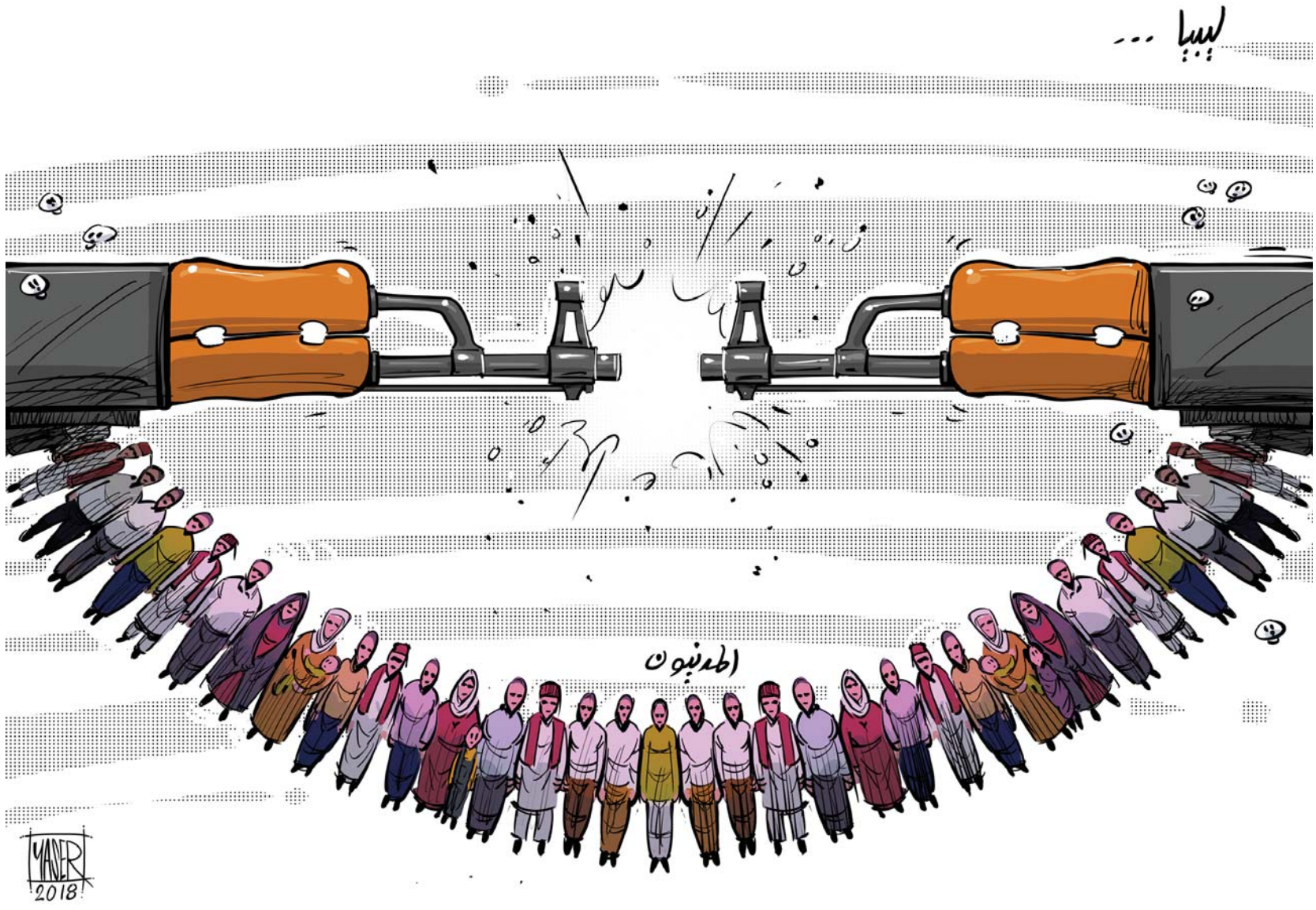

انتصر الشاهد.. لكن تونس لم تنتصر

● المعركة الحقيقية في القطع مع نظام مشلول وضع البلاد على سكة الأزمات

● عتبة الخمسة بالمئة خطوة على طريق مواجهة الفوضى السياسية

عــام يفصل تونس عن الانتخابات، لكن الأوضاع تبدو كما لو أننا مازلنا في ترتيبات ما بعد انتخابات 2014.. كل شيء مرتبك ويبحث عن حلول ورؤى بما في ذلك التعاطي مع الأزمــة الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما يبقى فــي محصلة أي حكومة. والأزمة الحقيقية تكمن في فوضى المشــهد السياســي والصراعات التــي تتوالد بين فترة وأخــرى، ما يجعل المواطن عاجزا عن التفريق بين هذه المجموعة وتلك، خاصة بعد ظاهرة التشــتت الناجمة عن صراع الأجنحة داخل نداء تونس، الحزب الحاكم، الذي اختار أن يكون في المعارضة احتجاجا على فوضاه الداخلية.

مختار الدبابي
كاتب وصحفي تونسي

❑ هدأ ضجيج التعديل الوزاري ونجاح رئيس الحكومة يوسف الشاهد في تمرير تشكيلته الوزارية بأغلبية مريحة بالرغم مما أحاط بالقصّة من تحويل وردود فعل صاخبة. لكن تتخفّى وراء هذا الهدوء أزمة سياسية عاصفة ستتضح معالمها خلال الأشهر التي تسبق الانتخابات، وتتغذى هذه الأزمة من عناصر عدة بينها النظام الانتخابي الهجين الذي وضع بشكل موجه لإدامة الأزمة وتعفينها، فضلا عن أزمة اقتصادية واجتماعية معقدة لم تجد الحكومات المتعاقبة الوقت والصلاحية، إضافة إلى غياب خارطة طريق واضحة، للتعاطي معها.

هناك قناعة في الساحة السياسية التونسية أن الشاهد انتصر في معركته الأخيرة مع مؤسسة الرئاسة ومع نداء تونس، الحزب الحاكم، الذي سبق أن جمّد عضويته مع أنه مرشحه في الحكومة ومنفذ سياسته. نجح الشاهد في أن يخرج من جلباب رئيس الوزراء كشخصية تنفيذية إلى رئيس حكومة كشخصية تفكر وتقترح وتبادر وتحلم بالاستمرار في السلطة إلى ما بعد الانتخابات الرئاسية والتشريعية 2019.

> أزمة سياسية عاصفة ستتضح معالمها خلال الأشهر التي تسبق الانتخابات، وتتغذى من عناصر عدة بينها النظام الانتخابي الهجين الذي وُضع بشكل موجه لإدامة الأزمة، فضلا عن أزمة اقتصادية واجتماعية معقدة لم تجد الحكومات المتعاقبة الوقت والصلاحية لوضع خارطة طريق واضحة، للتعاطي معها

ومن الواضح أن هدف الشاهد من معركة لي الذراع مع القصر، والتي حسمت في البرلمان، ليس فقط الخروج من تحت سلطة الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي، أو تحقيق نوع من رد الاعتبار في خلافه الشخصي مع حافظ قائد السبسي، نجل الرئيس، ولكن، وهذا هو الأهم تثبيت نفسه كشخصية مستقبلية في البلاد سواء من بوابة الترشح للرئاسة، وهو أمر ما يزال طي الكتمان، أو بالإعلان عن حزب يتولى رئاسته ويخوض من بوابته معركة الدخول للبرلمان كقوة وازنة.

مشروع كبير

استمعنا إلى سيل من التصريحات الحالمة، بعد جلسة البرلمان الثلاثاء التي فاز فيها الشاهد بثقة البرلمان، وسط حديث متزايد عن أن القيادات السياسية والبرلمانية الداعمة للشاهد تحلم بأن تشكل حزبا (مشروعا كبيرا) يحصل على أغلبية المقاعد في البرلمان المقبل.

وتقول النائبة ليلى الشتاوي إن "يوسف الشاهد الأكثر حظوظا لقيادة الحزب الجديد"، وهو أمر متوقع وإن تم التكتم عليه حتى يحصل على تزكية البرلمان.

لكن أوساطا سياسية تعتقد أن تفاؤل المحيطين بالشاهد مبالغ فيه وغير محسوب، وأن الأمر أعقد من ذلك بكثير، والأمر كله مبني على أن النداء انتهى وأن الساحة الوسطية تنتظر الحزب الجديد لتدعمه وتصطف وراءه كما اصطفت وراء نداء تونس في 2013 و2014.

والحقيقة أن الأوضاع الآن مختلفة تماما، فتيار الوسط الليبرالي تتنازعه أطياف عدة بينها حزب الحزب الدستوري الحر، برئاسة عبير موسى، والأحزاب الصغيرة المنشقة عن نداء تونس، فضلا عن أن النداء المتراجع لم يرم المنديل، وهو يتحرك لإعادة تنظيم نفسه واستقطاب جانب من التيار الليبرالي الذي يراهن عليه الشاهد. كما أن الرئيس الباجي قائد السبسي ما تزال لديه أوراق مهمة بعضها داخلي والآخر خارجي لإعادة التوازن لفائدة حزبه.

ودون استباق لمآلات تطور المشهد، فإن الحزب المنتظر (ربما أمل تونس) سيجد نفسه مطالبا بتجاوز أخطاء النداء لعل أبرزها القطع مع التجميع والبحث عن هوية واضحة وبناء مؤسسات حزبية كما في الأحزاب العريقة، فضلا عن تلافي شراكة مع النهضة سبق أن كانت سببا رئيسيا في تفتت النداء.

كما أن الشاهد سيظل في وضع غير مريح بسبب الخلاف مع مؤسسة الرئاسة، فضلا عن أن شراكته مع حركة النهضة قد تنفض في أي وقت، وهي مقبلة على وضع صعب مع بداية العام الجديد بسبب قضية الترشح للرئاسة في انتخابات 2019، وهي قضية خلافية قد تتفجر في أي وقت، ولن يستمر الهدوء لأكثر من بداية العام الجديد.

مربع الأزمات

يقول المراقبون إن الانتصار السياسي الذي حققه الشاهد، حتى وإن رشحه ليكون شخصية محورية في المستقبل، فإنه لن يعبّد له طريق الحكم إلا شيء واحد، هو تعاط مختلف لحكومته في إدارة الملفات الاجتماعية والاقتصادية، وهو ما لم يتحقق إلى الآن.

وهناك تقارير واستطلاعات كثيرة تقول إن لا مؤشرات إيجابية، ولا نوايا تطور، ذلك أن حل الأزمة لا يكمن فقط في تنفيذ الإصلاحات التي تطلبها الصناديق المالية الدولية، وممارسة تقشف صعب على الطبقات الضعيفة في مقابل التساهل مع المؤسسات التي تتهرب من دفع الضرائب، وسط حديث عن أرقام كبيرة يمكن، إن استعادتها الحكومة، أن تقلص من حجم المديونية الخانقة التي تعيشها البلاد.

وهناك أزمة أخرى أكثر تعقيدا، وهي العلاقة مع الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي يلعب دورا ضاغطا على الخيارات الاقتصادية المحدودة لدى الحكومات المتعاقبة سواء بالإضرابات أو بالاتفاقيات المتتالية للزيادة في الرواتب والعلاوات، وهي قضية لا تربك فقط الحكومة في الداخل بأن تظهر وعودها بشأن التشغيل أو سد الفجوة بين الطبقات بأنها مجرد وعود طالما أنها تركز جزءا كبيرا من خططها على استرضاء الطبقة المتوسطة في القطاع العام، ولكن أيضا بإظهاره بموقف الضعيف والمتناقض في وجه الصناديق المالية الدولية، بأن يتعهد بالتقشف ودفع الاستثمار وخلق مواطن عمل جديدة ويغدق في الآن نفسه الزيادات على قطاعات غير منتجة في سياق الترضيات السياسية.

وحث جهاد أزعور، مدير إدارة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى في صندوق النقد الدولي، تونس على إبقاء فاتورة الرواتب في القطاع العام تحت السيطرة لتجنب مشاكل خطيرة متعلقة بالديون، بعد أن اتفقت الحكومة على زيادة رواتب نحو 150 ألف موظف بالمؤسسات الحكومية في خطوة أولى.

نعم، انتصر الشاهد في معركته مع نداء تونس الذي يبحث عن صيغة لإنقاذ نفسه من بوابة مؤتمر قادم يعلق عليه كل الأماني، لكن الأزمة قد تستمر طويلا ما لم تكن هناك مقاربة وطنية للخروج منها في صيغة ميثاق وطني يستثمر اتفاقات قرطاج 1 و2 ويعمقها لتكون ملزمة للجميع.

نداء مرتبك لكنه لم ينته

يحاول نداء تونس أن يظهر تماسكا وقوة لتجاوز مخلفات الهزيمة في البرلمان، وهي هزيمة ليست فقط في نجاح الشاهد بتمرير تشكيلته الوزارية، ومن ورائه حركة النهضة التي يتهمها الحزب الحاكم (سابقا) بهندسة الانقلاب، ولكن في عجزه عن فرض قراره بالانسحاب من الحكومة على الوزراء المحسوبين عليه، والذين اختاروا البقاء مع الشاهد، وأيضا في إجبار نوابه على مقاطعة جلسة التصويت على التعديل الوزاري، لكن خمسة منهم شقوا عصا الطاعة فقام بتجميد عضويتهم في الكتلة.

اعترف نداء تونس أخيرا بأن سبب أزمته الرئيسية أنه لم يعقد مؤتمره رغم مرور 6 سنوات على التأسيس، وهو ما يفسّر حالة الفوضى داخله ما بعد فوزه بالانتخابات في 2014، حيث ظهر الصراع بين الرموز والروافد المتناقضة كل يريد فرض نفسه واجهة الحزب وواضعا لسياساته وراسما لعلاقاته، وحصلت انقلابات داخلية أخيرة انتهت إلى تصدر حافظ قائد السبسي للقيادة وهو ما دفع إلى مغادرة الكثيرين، وصار الحزب وكأنه جزء من ميراث رئيس الجمهورية وابنه.

فهل يضع المؤتمر المقرر لبداية العام الجديد حدا لأزمة الشرعية في الحزب، وهل أن المشكلة فقط في إضفاء الشرعية على الأشخاص الذين يريدون تثبيت سلطتهم عبر الانتخاب، أم أن الأمر يحتاج إلى أن يحل المؤتمر المشكلة الأصلية، وهي الاتفاق على هوية مكتوبة ومعلومة للحزب عبر لوائح يتم تبنيها بالتصويت وتصير ملزمة وتغلق الباب أمام عقلية التجميع العشوائي الذي أفضى للصراعات؟

تبدو قضية الهوية أولوية في المؤتمر، الذي تغير موعد انعقاده للمرة الثالثة وقد لا يكون الأمر مرتبطا بمسائل تنظيمية، وأن هناك مساعي لاستقطاب شركاء جديين ووازنين، ولم لا إعادة الشاهد إلى بيته القديم والاعتراف بالوزن الذي صار يمتلكه، وتجاوز الصراع الشخصي.

وحذرت النائبة عن كتلة نداء تونس فاطمة المسدي من أن إنهاء أزمة الحزب رهين عقد مؤتمر ديمقراطي توحيدي وأنه "إذا لم يتم تحديد موعده في أقرب وقت سيشهد النداء موجات استقالات جماعية"، مضيفة أن الغاية الأبرز للمؤتمر تتمثل في أنه "سيُحدّد الخط السياسي للحزب".

> حزب الشاهد المنتظر ، ربما أمل تونس، سيجد نفسه مطالبا بتجاوز أخطاء النداء لعل أبرزها القطع مع التجميع، والبحث عن هوية واضحة، وبناء مؤسسات تضفي شرعية على القيادة، وتقطع الطريق على الصراعات، وتقديم رؤية اقتصادية، وألا يحصر هويته وبرامجه في شخص رئيسه، حتى لا يعيد تجربة النداء والسبسي

وقال بوجمعة الرميلي، عضو اللجنة الانتخابية، إن "الاضطراب الذي حدث في البلاد جزء منه جاء بسبب أن حزب نداء تونس غير منظم"، وأن هدف المؤتمر هو أن يساهم "نداء تونس" بشكل هام في "إعادة بناء فكر الباجي قائد السبسي (مؤسس الحزب) الذي ضاع في الأثناء".

وأكد الرميلي، وهو أحد مهندسي الحزب في صورته القديمة، أي تعدد الروافد، أن "مشروعنا لم يسقط، خلافا لما يقوله البعض، هو تعثر وتعب وتناقض واضطرب ولكنه لم يمت".

ويراهن النائب عن الحزب فيصل خليفة على عودة المغادرين بسبب الخلافات مع حافظ قائد السبسي، متعهدا بعدم اتباع "سياسة الإقصاء وكل من غادر النداء بإمكانه العودة من خلال المؤتمر وعلى أسس صحيحة".

لكن هناك عقبات جديدة طرأت في طريق الحزب، وأهمها الحملة، التي تشن على نطاق واسع في مواقع التواصل، على أمينه العام الجديد رجل الأعمال سليم الرياحي بسبب الأزمة المالية التي يعيشها الفريق الرياضي الذي كان يرأسه (النادي الأفريقي)، وتوجّه له اتهامات بأنه أغرق الفريق في الديون لمنع أي كان من تسلم الفريق من بعده، وأن هذه الوضعية قد تزيد في إرباك وضع النداء خاصة أن الرياحي صعد إلى البرلمان بفضل جمهور هذا الفريق ذي الشعبية الواسعة، وأن الغضب عليه قد يقود إلى تضرر نداء تونس في الانتخابات القادمة. ومن الواضح أن قشة النجاة بالنسبة إلى قيادات النداء في جيب الرئيس السبسي.

أوراق السبسي

لازم السبسي الحياد في الأزمات السابقة وخاصة الانشقاقات داخل النداء طيلة السنوات الثلاث الأخيرة، لكن من المستبعد أن ينأى بنفسه هذه المرة عن أزمة قد تعصف بالحزب وحظوظه في انتخابات 2019.

وتشيع أوساط النداء تفاؤلا كبيرا بقدرة الباجي على رد الصاع صاعين لحركة النهضة بعد تخليها عن التوافق، مشيرة إلى أن السبسي الذي صنع جبهة الإنقاذ في 2013 من لا شيء قادر على أن يشكل جبهة إنقاذ جديدة مع القوى والشخصيات الوسطية التي تحتاج إلى من يخرجها من حالة التشتت والارتباك بسبب تغول النهضة.

ويقول هؤلاء إن الرئيس التونسي نجح في خلق حزام لنداء تونس من شخصيات غير معروفة في 2013، وساعدها على البروز، ثم انشق أغلبها لاحقا وكون أحزابا صغيرة، وإن باستطاعته أن يعيد بناء حزام جديد.

وبدأت ملامح جبهة إنقاذ جديدة تتشكل بعد اندماج الحزب الوطني الحر بزعامة سليم الرياحي، مع نداء تونس وتكليفه ظرفيا بالأمانة العامة، أشهرا قليلة قبل عقد مؤتمر نداء تونس. ويروج حديث عن التحاق مجموعات حزبية صغيرة وشخصيات مستقلة بنداء تونس ويجري التكتم عنها بانتظار أن يتحول الاتفاق إلى أمر نهائي، وهو ما قد يفتح الباب إلى التحاق بعض الشخصيات الأخرى التي مازالت تراقب الوضع والتوازنات بين نداء تونس والحزب الذي يروج أن الشاهد سيعلن عنه قريبا.

وتستبعد أوساط مقربة من نداء تونس أن يترشح السبسي لولاية رئاسية جديدة إذا تكللت جهوده في بناء جبهة مدنية جديدة، قد تكون مدعومة من الاتحاد العام التونسي للشغل، تضمن استمرار الانتقال الديمقراطي الذي يحافظ على هوية تونس المعتدلة والمنفتحة، لكنه قد يغامر بالترشح للرئاسة ثانية إذا أحسّ أن الخطر يتهدد صورة تونس التي أرادها الحبيب بورقيبة، ويريدها هو شخصيا، بالرغم من ميله إلى فسح المجال لغيره والاكتفاء بدور المنقذ الذي ساعد تونس على الخروج من أزمة عميقة وقطع الطريق أمام التشدد الديني بأشكاله وألوانه المختلفة.

مشكلة النظام الانتخابي

ليس مستبعدا أن تستمر الأزمة السياسية إلى ما بعد 2019، وقد تأخذ منحى على الطريقة الإيطالية بحيث لا تستمر أي حكومة لأكثر من سنة بسبب نظام انتخابي هدف الذين اقترحوه والذين تحمسوا له وتبنوه وضع البلاد على سكة الأزمات وارتهان أي تطور له طالما أنه يجعل من المستحيل أن يتفق النواب على نموذج اقتصادي واجتماعي يتم السير على خطاه. كما أنه يحول كل اهتمام الناس إلى الأزمة السياسية.

> الرئيس الباجي قائد السبسي لازم الحياد في الأزمات السابقة وخاصة الانشقاقات داخل نداء تونس طيلة السنوات الثلاث الأخيرة، لكن من المستبعد أن ينأى بنفسه هذه المرة عن أزمة قد تعصف بالحزب وحظوظه في انتخابات 2019... وما تزال لديه أوراق مهمة بعضها داخلي والآخر خارجي لإعادة التوازن لفائدة حزبه

هذا النوع من الحكم وُضع من البداية لاستيعاب الثورة وتحويلها إلى ما يشبه لعبة صغار، أي أن تأكل ذاتها بذاتها وهي تتوهم أنها تخترق العجلة. وبدا أن النظام الانتخابي الذي يعتمد طريقة أفضل البقايا هدفه منع تغول النهضة وسيطرتها على الحياة السياسية، لكنها نجحت في استثماره لتتخفى وراءه، وتصبح جزءا من السلطة دون أن تطالها الضغوط، وهي باقية وتتمدد.

المعركة الحقيقية التي على التونسيين أن يخوضوها هي تغيير هذا النظام المشلول الذي يفرض ثلاثة رؤوس في السلطة (رئيس الجمهورية، ورئيس الحكومة، والبرلمان) تتنازع في ما بينها دون أن يقدر أحد منها على أن يأخذ المبادرة.

وسيكون تطوير المشروع القاضي باعتماد عتبة بـ 5 بالمئة للانتخابات البرلمانية خطوة مهمة رغم أنه يلاقي غضبا واسعا من منظمات وجمعيات وشخصيات سياسية. وميزة هذا المشروع الذي اقترحته لجنة النظام الداخلي والحصانة والقوانين الانتخابية أنه يقلص أعداد الكتل البرلمانية وخاصة الترشحات المبنية على تحالفات ظرفية دون مشاريع أو رؤى لتطوير الوضع، ويدفع نحو تحالفات جدية في الانتخابات القادمة.

لكن الأهم أن المشروع الجديد يمكن أن يفضي إلى فوز حزب من الأحزاب الكبيرة بالأغلبية التي تسمح له بالحكم وحده ودون حاجة إلى تحالفات المصالح التي رأيناها بعد انتخابات 2011 و2014. كما أنه يحد من الفوضى التي عكستها "السياحة الحزبية" وانتقال النواب في البرلمان من كتلة إلى أخرى دون حرج، حتى وإن كان له "أثر سلبي على الانتقال الديمقراطي والتعددية الحزبية، كما يعد إقصاء صريحا لطيف هام من المستقلين"، كما جاء في بيان لائتلاف صامدون.

«مصل الحقيقة».. سلاح «سي.آي.أي» لاقتلاع اعترافات سجناء القاعدة

حقائق تكشف دور أطباء وكالة المخابرات المركزية الأميركية في التعذيب

كل الأساليب ممكنة لاقتلاع الاعترافات

❑ **واشنطن** – كشفت وثائق أميركية رفعت عنها السرية حديثا، أن محققي وكالة المخابرات المركزية "سي.آي.أي" سعوا للحصول على "مصل الحقيقة" لاستخدامه على سجناء تنظيم القاعدة بالإضافة إلى الإيهام بالغرق وأساليب تعذيب أخرى في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001.

ونشرت الوثائق التي جاءت ضمن تقرير يبلغ عدد صفحاته 90 صفحة عن مكتب الخدمات الطبية المسؤول عن التحقيقات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بعد معركة قضائية قادها الاتحاد الأميركي للحريات المدنية.

وقال الاتحاد الأميركي للحرية المدنية، إن التقرير بالكامل أوضح كيف كان للأطباء دور مهم في برنامج التعذيب وساعدوا على إضفاء الشرعية عليه. وكتب درور لادين، المحامي في مشروع الأمن الوطني للاتحاد الأميركي للحريات المدنية "آكلو"، قائلا "بفضل النصر الذي حققه الاتحاد الأميركي للحريات المدنية في محكمة اتحادية، فنحن نعلم الكثير جدا عن أطباء كانوا يعملون في المخابرات المركزية الأميركية انتهكوا قسم الأطباء بعدم إيقاع الضرر".

ويضيف لادين "والآن، فقد فزنا بالكشف عن رواية تتألف من تسعين صفحة عن الدور الذي لعبه مكتب الخدمات الطبية التابع لوكالة المخابرات المركزية الأميركية في برنامج تعذيب الوكالة، وهو تاريخ سرّي كتبه مسؤول طبي رفيع في وكالة المخابرات المركزية ظلت هويّته سرية".

ويكشف التاريخ أن أطباء وكالة المخابرات المركزية كانوا يبحثون عن "مصل الحقيقة" لاستخدامه على السجناء كجزء من الجهود السرية السابقة التي أطلق عليها برنامج الدواء.

ودرست وكالة المخابرات المركزية سجلات تجارب الأدوية السوفييتية بالإضافة إلى برنامج التجارب على البشر التابع لوكالة المخابرات المركزية "أم.كيه-ألترا" سيء السمعة والفاقد للمصداقية، والذي اشتمل على تجارب على البشر باستخدام عقاقير خطيرة على أفراد دون علمهم.

ويشير جوليان بورغر، مراسل صحيفة الغارديان في واشنطن، إلى أنه بعد اليأس في الحصول على معلومات عن هجمات مستقبلية محتملة من أحد كبار أعضاء تنظيم القاعدة أبوزبيدة، الفلسطيني الجنسية السعودي المولد، الذي يُعتقد أنه ساعد في التخطيط لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، عاد المحققون إلى عقود من الزمان إلى الوراء للتجارب التي أجرتها الوكالة في الخمسينات من القرن الماضي باستخدام عقاقير تسبب الهلوسة مثل ثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك (أل.أس.دي) وإلى الاختبار الروسي لأمصال الحقيقة المزعومة في عقد الثمانينات من القرن الماضي.

وقال درور لادين "دون مشاركة الأطباء لم يكن ليحدث أي من هذا.. لقد كانوا مشاركين ضروريين ومتواطئين بصورة كاملة". وكان أطباء وكالة المخابرات المركزية الذين شاركوا في برنامج الدواء يرغبون في استخدام فيرساد، وهو عقار له تأثير نفسي مماثل لتلك العقاقير المستخدمة في "أم.كيه-ألترا"، على السجناء.

وفي مشروع الدواء استخدم أطباء وكالة المخابرات المركزية الأميركية الباربيتورات مثل أميتال الصوديوم ومُحدث الذهان، الذي يتسبب في أعراض الذهان. وكانوا مهتمين بشكل خاص بعقار تجاري اسمه فيرسيد أو ميدازولام، وهو مهدئ يمكن أن يتسبب بفقدان الذاكرة عندما يكون تأثيره ساريا.

وجاءت الفكرة لمسؤولي مكتب الخدمات الطبية بوكالة المخابرات المركزية وسط حالة اليأس الناتجة عن أن "يبدي أبوزبيدة مرونة ملحوظة" على الرغم من خضوعه لمعاملة وحشية اشتملت على مواقف تعرض فيها للضغط والحرمان من النوم.

وقال التقرير إن "حدة وفترة استجواب أبوزبيدة مثلتا مفاجأة لمكتب الخدمات الطبية ودفعتا إلى المزيد من الدراسة لما يبدو أنه بديل غير خطير بصورة أكبر من المقابلات المبنية على العقاقير". لكنهم وجدوا افتقارا كاملا لوجود دليل تاريخي على أن العقاقير يمكنها أن تحث شخصا على الإدلاء بمعلومات. وقالت نشرة مخابراتية في عام 1961 "لا يوجد مثل هذا الشراب السحري كفكرة شهيرة لمصل الحقيقة".

وأضافت "يبدو أنه من المرجح أن أي شخص استطاع المقاومة خلال التحقيق المكثف العادي يمكنه تحمّل المخدر". ومازال المحققون يعتقدون أن العقاقير قد تخدع السجين ليفكر في أنه قد فعل ذلك.

ويرى المحققون أن "مثل هذه العقاقير، على الرغم من أنه يتم اعتبارها مصادر غير موثوقة لـ'الحقيقة'، فإنه يعتقد أنها يمكن أن تكون مفيدة كـ'حجة' قد تتيح للشخص أن يكون أكثر استعدادا للمساعدة في تقديم المعلومات في حين مازال يحتفظ بماء وجهه".

لكنهم واجهوا حظرا على البحث الطبي للوكالة على السجناء الذي جاء بعد برنامج أم.كيه.ألترا في عقد الخمسينات من القرن الماضي الذي كانت تستخدم فيه عقاقير هلوسة على البشر. وانتحر أحد الأشخاص من الذين تم إعطاؤهم أل.أس.دي بصورة سرية في ما بعد.

وتجاهلت وكالة المخابرات المركزية الدروس ولم تتعلم من تاريخها. ويشير لادين إلى أن مدير الوكالة في عام 1977 شهد قائلا "إن التفكير في استخدام البشر مثل الخنازير الغينية لشيء بغيض بالنسبة إلي". لكن بعد مرور عقود من الزمن، قررت الوكالة إجراء تجارب على البشر مرة أخرى، واختبرت نظريات علمية زائفة عن "العجز الذي يتم عمله" على سجنائها.

وفي حين أن برنامج الدواء لم يبدأ قط، فإن العاملين الطبيين ظلوا مشاركين بصورة حاسمة في التجارب على التعذيب. ومثلهم مثل محامي الحكومة الذين حاولوا إضفاء الطابع القانوني على التعذيب غير القانوني، فإن التاريخ السري يكشف عن أن أطباء وكالة المخابرات المركزية كان "لا غنى عنهم" للجهود المبذولة "لإضفاء الشرعية على البرنامج".

وربما يكون العنصر الأكثر إثارة في الوثيقة، وفق لادين، هو غض أطباء وكالة المخابرات المركزية الطرف بصورة متعمّدة عن حقيقة ما كانوا يفعلونه. وقرر أطباء الوكالة أن الإيهام بالغرق "يقدم راحة مؤقتة" في الواقع للسجين لأنه كان يمثل راحة من البقاء واقفا لأيام مع حرمانه من النوم.

وبالمثل، فإن أطباء الوكالة قرروا أنه عندما يتم وضع سجين مختلف في صندوق يبلغ حجمه حجم النعش، فإن هذا يُقدم "ملاذا آمنا غير خطير" من طرق تعذيب أخرى. ووصف أطباء الوكالة سجينا آخر، بكى وتوسل ونزف وتقيّأ وطلب الإنعاش الطبي بعدما تعرض للإيهام بالغرق، بأنه "قاوم بصورة مثيرة للدهشة الإيهام بالغرق".

ويقول لادين مستنكرا إنه "على نحو لا يُصدق، توصل أطباء الوكالة إلى أن برنامج التعذيب كان خاليا بصورة مطمئنة من التأثيرات النفسية أو البدنية الدائمة".

وتذكر الغادريان أنه في قضية خالد شيخ محمد، العقل المدبر لتنظيم القاعدة الذي يقف وراء هجمات الحادي عشر من سبتمبر والذي خضع للإيهام بالغرق 140 مرة، قال أحد العاملين الطبيين في وكالة المخابرات المركزية إن التعذيب، الذي يحاكي تجربة الغرق، "قدم راحة مؤقتة من الوقف مع الحرمان من النوم".

وفي قضية أخرى من قضايا أبوزبيدة، تم وضعه في صناديق نعش بحجة أن ذلك "يساعد في الهرب من تدابير أكثر صرامة".

وكان أبوزبيدة، الذي اعتُقل وأصيب في فيصل أباد في شهر مارس من عام 2002، هو أول أهداف تدابير الاستجواب القاسية التي صرحت بها إدارة بوش. ولم يتم تعريف المعسكر الذي تعرض فيه للتعذيب في التقرير، لكن كُشف عنه بعد ذلك وهو "دبتنشن سايت جرين" في قاعدة عسكرية تايلاندية. وكانت جينا هاسبل، مديرة وكالة المخابرات المركزية الأميركية الحالية، هي التي تدير المعسكر على الرغم من أنها وصلت بعد انتهاء أسوأ فترة لتعذيب أبوزبيدة.

وكان القرار قد اتخذ بأن أطباء وكالة المخابرات المركزية لن يقدموا رعاية طبّية عملية، لذا، فإن المعتقل "كان لديه شعور بأنه لا يمكنه الفرار نظرا للحاجة المزعومة للرعاية الطبية". وكان يتم منح المعتقل ضمادات ومطهرا ويُترك ليتعامل بنفسه مع الجروح التي يعاني منها جراء إصابته بالرصاص.

وفي أول أيام استجوابه في الرابع من شهر أغسطس، تعرض أبوزبيدة للصفع والاندفاع في الحائط، وتم وضعه تدريجيا في صناديق أصغر، وفي النهاية تعرض للإيهام بالغرق. وكان يُفترض أن هذه المعاملة ستكسر مقاومته في غضون يومين، لكن الموظف الطبي في وكالة المخابرات المركزية لاحظ أنه "يبدو يقاوم الإيهام بالغرق بصورة مثيرة للدهشة" وأنه "أصبح معتادا على الصناديق".

وقال التقرير إنه "على عكس التوقعات، فإن العملية كانت ستستغرق وقتا أطول". وفي الثامن من أغسطس "تركت جلسة عدوانية أبوزبيدة مضطربا بصورة كبيرة وتأثر بعض العاملين في الموقع بشدة". وقرر الأميركيون في الموقع الأسود لوكالة المخابرات المركزية عدم المواصلة في ذلك حتى تشهد القيادة في مركز مكافحة الإرهاب في الولايات المتحدة مباشرة. وتم عمل مؤتمر عبر الفيديو لكن صدرت لهم الأوامر بالاستمرار. وسيشتمل دور العاملين الطبيين في الوكالة من الآن فصاعدا على تقديم المشورة للموظفين.

وأدى التحقيق مع أبزبيدة إلى مناقشة "مزيل التثبيط" الطبي، وإلى مراجعة وكالة المخابرات المركزية استخدام "أمصال الحقيقة" التي تعود إلى تجارب أميركية وروسية وصينية قديمة. وفي مراجعة في نهاية عام 2003، والمعروفة بصورة غير رسمية باسم مشروع الدواء، كان العقار المفضل والموصى به هو عقار البنزوديازيبينات والذي يطلق عليه اسم ميدازولام، والمعروف أيضا باسم فيرسيد.

وطبقا للقانون الدولي، فإن هناك حظرا على إجراء التجارب الطبية على السجناء، كما أن هناك حظرا على استخدام "عقاقير مسببة للهلوسة". وقال محامو وكالة المخابرات المركزية إن الوضع القانوني لـ"أمصال الحقيقة" لم يكن واضحا، لكن القضية أصبحت تمثل جدلا حيث أن القسم القانوني "لا يرغب في إثارة أي قضية أخرى مع وزارة العدل".

درور لادين

> فزنا بالكشف عن رواية تتألف من تسعين صفحة عن الدور الذي لعبه مكتب الخدمات الطبية التابع لوكالة المخابرات المركزية الأميركية في برنامج الوكالة لتعذيب السجناء

كما أشار تقرير وكالة المخابرات المركزية أيضا إلى جانب سلبي آخر لاستخدام العقاقير. فخلال برامجها للاستجواب، كان يتم تصعيد استخدام تقنيات قاسية إذا وجد أن المعتقل قدم معلومات زائفة.

وقال التقرير إن "المعتقل الذي يتحدث تحت تأثير العقاقير، على الرغم من ذلك، يمكنه أن يدعي الجهل بصدق بأي شيء قاله"، وأضاف أن الفشل في مواصلة التحقيق بمساعدة العقاقير أبعد أطباء وكالة المخابرات المركزية عن "بعض المخاوف المهمة".

ويخلص لادين قائلا "الحقيقة هي أن تعذيب وكالة المخابرات المركزية قد خلف إرثا من الأجساد المكسورة والعقول التي تعاني من صدمات. واليوم، ومع وجود رئيس أيّد التعذيب علنا ومع وجود مدير لوكالة المخابرات المركزية كان متواطئا بصورة كبيرة في تعذيب السجناء، فإن فضح جرائم الماضي أصبح أكثر أهمية من ذي قبل. ومع إدراك الأدوار التي لعبها المحامون، والأطباء، والأطباء النفسيون الذين سمحوا بالتعذيب ضروري للتأكد من أن هذا لن يحدث مرة ثانية".

تاريخ سري للتعذيب

مستشار في البلاط يدافع بعناد عن حوار الحضارات

أندري أزولاي

مغربي يجتمع فيه ما تفرق في غيره

محمد بن امحمد العلوي

❏ سبعة وسبعون عاما عمره اليوم، لكن هذه السن المتقدمة لم تمنعه من العمل بقوة ومنهجية وتدبر لتمهيد كل الطرق المؤدية إلى حوار الحضارات والثقافات، وتعتبر هذه الشخصية ذات الديانة اليهودية النموذج الأمثل والحاضر على حقيقة غنى التنوع والتعددية الثقافية للشخصية المغربية وشاهدة على قرون طوال من التعايش البناء، هو أندري أزولاي السياسي المغربي الذي يشغل منصب مستشار رفيع المستوى لدى الملك محمد السادس كما كان في عهد الملك الراحل الحسن الثاني.

> عائلة أزولاي تعرف بولائها لبلدها ولملكها عبر تاريخها كله، فقد أعفي والده من مهامه الوظيفية من طرف سلطات الحماية الفرنسية بسبب مساندته للوطنيين المغاربة، بينما يقول الابن عن نفسه «كنت حينها ألتقي بأصدقائي المسلمين من أجل التظاهر معهم كل مساء عند الغروب رافعين شعارات تدعو إلى نهاية الحماية الفرنسية وعودة الملك محمد الخامس»

عائلته عرفت بولائها لبلدها ولملكها، عبر تاريخها كله، فقد أعفي والده من مهامه الوظيفية من طرف سلطات الحماية الفرنسية بسبب مساندته للوطنيين المغاربة، يقول عن نفسه "بين عامي 1953 و1954 ودون سابق إعداد أو اقتراح، أتذكر أنني وبشكل طبيعي أيضا، كنت ألتقي بأصدقائي المسلمين من أجل التظاهر معهم كل مساء عند الغروب رافعين شعارات تدعو إلى نهاية الحماية الفرنسية وعودة الملك محمد الخامس".

في العشرينات من عمره التحق بفرنسا لمتابعة دراسته العليا هناك، بعدما درس في مدارس المغرب.

يقدم هذا المصرفي الذي سبق له العمل في مصرف فرنسي كبير، نفسه كمغربي يجتمع فيه ما تفرق في غيره كيهودي أمازيغي عربي. فمدينة الصويرة على ضفاف شاطئ الأطلس المتوسط هي مسقط رأسه، والتي مازالت شغفه الكبير وموطئ سفره الروحي والثقافي والفكري.

شغف الصويرة القديم

عمل أزولاي في مجموعة الوظائف التنفيذية داخل بنك باريبا في باريس بين 1967 و1991، المجموعة التي غطت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، كما اشتغل بالصحافة، إذ كان رئيس تحرير «ماروك أنفورماسيون» في ستينات القرن الماضي وحاور العديد من الشخصيات المؤثرة آنذاك منهم القيادي الاشتراكي البارز عبدالرحيم بوعبيد، فتشكلت ثقافته بعمق وشمولية. ولذلك يبرز دفاعه عن فكرة وطن واحد لليهود والفلسطينيين تحت ظل دولة واحدة، من وعي أصيل بالتفاصيل، ما دفعه إلى لقاء مسؤولي منظمة التحرير الفلسطينية، لأول مرة، بشكل سري في شمال المغرب في العام 1973، اللقاء الذي رتبه الملك الراحل الحسن الثاني، كما التقى في طليطلة، بأبي مازن، محمود عباس، مع مسؤولين آخرين.

حب أزولاي لمدينة الصويرة مسقط رأسه جعل منها محجا لتلاقح الثقافات، وحصنا من التعايش بين الديانات والحضارات. استطاع أن يفي بوعده بأن يبقى مغربيا تتجمع بداخله كل عوامل التنوع والتعدد الهوياتي، وفيا لجذوره ومسقط رأسه.

يتأسف أزولاي لكون مدينته لا تتوفر حتى الآن على جامعة للدراسات العليا، مسترجعا ذكرياته التي يقول عنها "عندما كنا صغارا كنا نذهب كل يومين في الأسبوع إلى المكتبة لمطالعة الكتب التي اختارها لنا آباؤنا، وللأسف في الوقت الحالي لم يعد هناك وجود لتلك المكتبات".

وحتى يعطي لهذه المدينة إشعاعا ثقافيا نظم عدة ملتقيات ثقافية وفكرية ومهرجانات موسيقية، وعبر عن حظه الوافر لوضع الصويرة-موكادور على خارطة العالم كحامل لواء متوسطي للحوار بين الثقافات والمدينة المرنة، حيث يلتقي كل ما يتعلق بالثقافة الإنسانية وبالتبادلات الروحية بين الإسلام واليهودية. "أولئك الذين لا يهتمون بما فيه الكفاية بتاريخهم وماضيهم لا مستقبل لهم. المستقبل محفور بالتاريخ".

افتتح شخصيا في أكتوبر الماضي فعاليات الدورة الرابعة للمنتدى الأورومتوسطي للقادة الشباب لمدة ثلاثة أيام، وجمع أزيد من 300 شخصية بارزة بالصويرة، تكريسا لتقليد سنوي واستمرارا للتأسيس لمشروع فكري متوسطي يقطع مع الأفكار النمطية وينهي سطوة القطائع الثقافية والهُوياتية التي تباعد بين شعوب ضفتي المتوسط وتغذي ذهنية الانغلاق والفكر المتطرف.

ولأهمية هذه المدينة العريقة فقد احتضنت مدينة الصويرة بداية نوفمبر الجاري منتدى "سانت لويس"، حول موضوع "العيش بشكل أفضل في العالم"، ويعرف هذا المنتدى "سانت لويس" باعتباره فضاء لإسماع صوت أفريقيا للعالم، ومناقشة أفريقيا أزولاي بهذا المنتدى كما نراها الآن نحن بشمال القارة الأفريقية أو بالنسبة للغرب الأوروبي، وبالضبط بمدينة الصويرة، تحمل مدلولا آخر، فمنتدى "سانت لويس" كما يراه أزولاي هو فضاء تتجسد فيه حرية التعبير بالنسبة للجميع، ويمكّن من رسم وإبراز رؤية حول أفريقيا.

نموذج مصغر للمغرب

لأسباب ثقافية وحضارية أسس أزولاي جمعية "الصويرة موكادور"، ومن خلالها تم الاحتفاء مؤخرا بالمغنية الشعبية الحاجة الحمداوية في مهرجان "الأندلسيات الأطلسية"، كأحد المهرجانات التي يشرف عليها، بحضور مغاربة ويهود من داخل المغرب وخارجه، وهي ترجمة للتنوع الإثني والثقافي والديني بالمملكة.

أزولاي دائم الحديث عن أن هذه المدينة الأطلسية بمثابة نموذج مصغر للمغرب، أرض غنية بعمق تنوعها حيث تعايش الإسلام واليهودية وتلاقحا مع بعضهما البعض، منذ صغره ونظرا لاحتكاكه بالمجتمع الصويري خلص إلى أن المحافظة على اليهودية بالمغرب هي مسألة كرامة وعدالة، تشعر بها في أعماق كل المغاربة.

ويفهم أزولاي ذلك بأنه مهما كانت الفوارق والنسيان أو متاهات لحظة ما، فإن التاريخ يلحق بنا في النهاية ويفرض وقائعه التي لا تتجزأ، فالكيس الصغير من التراب الذي جلبه قبل نصف قرن من القدس، التي كانت تحت إشراف أردني، من طرف مغربي مسلم، لصديقه المغربي اليهودي الذي هو والد أزولاي، لم يفقد شيئا من راهنيته ومن مثاليته وحقيقته كما يقول "كان ذلك قبل عقود وكنت شاهدا عليه، وكان والدي وصديقه المسلم الحاج الإمام الفاعلين فيه ولم يكن أحد منا نحن الثلاثة، في سحر هذه اللحظة الأخوية المتقاسمة، يتصور أن هذه الحكاية الحقيقية ستجد ذات يوم امتدادها في تصدير الدستور الجديد الذي اقترحه الملك محمد السادس على الشعب المغربي".

إن الهوية المتعددة للصويرة باعتبارها حاضنة لمزيج من اليهودية والأمازيغية والعربية، جعلتها بقعة فريدة من نوعها، وهو ما يفرض على الجميع استيعاب حجم المسؤولية التي تقتضيها المحافظة على إرث وجذور المدينة العريقة.

آفاق وحدود المهمة

للمستشار بالنظام الملكي وضعية اعتبارية وقوة اقتراحية رغم أنه غير منصوص عليها كهيئة استشارية في الدستور أو القانون المنظم للمؤسسات العمومية، يقول المستشار المخضرم الراحل عبدالهادي بوطالب في كتابه "نصف قرن في السياسة" إن الملك الحسن الثاني لما استدعاه مع أربعة من مستشاريه الأربعة: أحمد رضا كديرة وإدريس السلاوي وأحمد بن سودة، خاطبهم بالقول: ستكونون مستشارين لي بالديوان الملكي، والمستشارون هم خُلصائي وجلسائي المقرّبون إليّ، فلا أختارهم إلا من بين الذين يعرفونني ويعرفون توجهاتي وممن لا يضايقني أن أستقبلهم ولو في غرفة نومي وحتى من دون أن أكون قد غادرت الفراش.

أزولاي يدرك جيدا حدود مهمته بعدما دشن أول عهده بوظيفة الاستشارة في العام 1991 عهد الملك الراحل الحسن الثاني، واستمرت الثقة التي وضعها فيه الملك الراحل إلى حد الآن في عهد الملك محمد السادس، وأدواره الاستشارية مستمدة من شبكة العلاقات التي راكمها لسنوات طوال في الدوائر السياسية والاقتصادية والثقافية العالمية.

ولزيادة فهم هذه المهنة فإن من بين المهام المنوطة بالمستشار بأقدم بلاط ملكي بالعالم والتي عددها بوطالب زميل أزولاي، فقد قام الحسن الثاني بتحديد وتوزيع مهام مستشاريه. فجمعهم وقال لهم "مهمتكم أن تتابعوا عمل الوزراء، وتكونوا واسطة بيني وبينهم في ما يبعثونه إلى الديوان الملكي، وتقدموه إليّ مع ملاحظاتكم عليه، وتقترحون عليّ أفكاركم بشأنه لأتخذ القرار على ضوء ذلك". وحتى لا يقع تداخل بين مهمة المستشار والحاجب استطرد الحسن الثاني موضحا "ليس معنى هذا أنكم ستكوّنون حِجابا فاصلا بيني وبين الوزراء".

منصبه كمستشار في البلاط الملكي مكلف بالشؤون الاقتصادية ومهام أخرى يندرج في إطار ما هو ثقافي وحضاري يعتبره امتيازا ومسؤولية، وهي إشارة حداثة وإنسانية وسمو يبعث بها المغرب إلى الآخرين. فأزولاي يقدم نفسه للمتحاورين معه كشخص غني بمسار يمتد لقرون من الزمن حيث تمتزج الثقافتان الإسلامية واليهودية، وهذا الغنى يتكئ عليه المستشار في مهامه خارج وداخل المغرب فهذه التعددية الثقافية بالنسبة إليه نعمة الحياة أدار الآخرون ظهورهم لها.

واهتمامات أزولاي الحالية تنصب بالأساس على المؤلفات التي لها علاقة بالمواضيع التي تشغل تفكيره والتي تكتسي طابع الآنية، يقول "لقد مرت سنوات كثيرة لم أعد أتذوق فيها طعم الأدب الخالص، وأصبحت أتوجه أكثر للدراسات والبحوث ليس بالضرورة تلك التي لها علاقة بالمجال السياسي، بل الدراسات القريبة من المواضيع التي تهمني والتي تركز على كل ما له علاقة بمعيشي اليومي وبطبيعة عملي".

رؤية الملك لبناء الجسور

ولا يمكن أن يكون رأي المستشار الملكي غائبا في قرار المغرب العودة إلى الاتحاد الأفريقي والانفتاح اقتصاديا واستثماريا وتجاريا على القارة السمراء، فالخلفية الاقتصادية لأندري أزولاي وعلاقاته مع دوائر المال والأعمال في أوروبا وأميركا جعلته يقول إن "انتماءنا لأفريقيا ليس فقط انتماء ظرفيا، وهو ليس ثمرة إستراتيجية سياسية، بقدر ما هو انتماء لحضارة عظيمة، وإن السياسة التي ينهجها الملك محمد السادس بأفريقيا، باعتبارها سياسة رائدة ومتجذرة في شرعية تاريخ مشترك ومتقاسم، قد تشكل، مستقبلا، حجر الزاوية للاتفاق الجديد الذي تتطلع إليه القارتان الأوروبية والأفريقية".

في العقود الأخيرة كثف أزولاي أنشطته الثقافية والفكرية وعملية بناء جسور من التعاون المشترك على أسس من الحوار والتفاهم، بترؤسه لمنظمة "آنا ليند" الأورومتوسطية للحوار بين الثقافات، وللمؤسسة الخيرية للثقافات الثلاث والديانات الثلاث، وعضويته في لجنة حكماء "تحالف الحضارات". كل ذلك جعله يكوّن فكرة جد واضحة حول مجال حوار الحضارات ويلغي من ذهنه أي صدام بينها فهي بالنسبة إليه نظرية غاية في البساطة والصدام الحقيقي هو بين الجهلاء.

ونظرا لهذا التراكم ولشبكة علاقاته على المستوى الداخلي بالمغرب والعالم والأدوار التي يلعبها في المجال الثقافي فقد حصل من مجلس أوروبا على جائزة "شمال جنوب"، وجائزة أخرى من مركز التفكير للعلاقات عبر الأطلسية التابع لجامعة هوبكنز الأميركية، وجائزة "السلام" التي منحتها إياه مؤسسة "دوتشي" الإيطالية. وكان اهتمامه بالحوار وتقريب وجهات النظر، ولا يزال، ديدنه في حياته الشخصية والعامة حيث أسس في العام 1973 مجموعة "الهوية والحوار"، كأول مجموعة أو جسم يجمع أكاديميين ومثقفين عربا ويهودا يعملون جنبا إلى جنب، والحوار بين الحضارات وتقارب الديانات هي معركة حياته، التي بدأت منذ نصف قرن تقريبا.

ولهذا السبب أسس مؤخرا مهرجان الموسيقى الأندلسية الأطلسية، والذي يعرض مخزون الموسيقى الأندلسية العربية واليهودية، وهذا المهرجان هو الوحيد في العالم الذي تلتقي به اليهودية والإسلام، ولطالما أندهش لرؤية هؤلاء المغاربة في الجانب الآخر من البحر المتوسط يدافعون ويحمون ميراثهم الثقافي بمدى كبير من المشاعر الجياشة والحزم، وينقلون مغاربيتهم ويحتفون بها، انطلاقا من الموسيقى، مرورا بالأدب، الطبخ، صون الذاكرة والملابس التقليدية.

> أزولاي يدرك جيدا حدود مهمته بعدما دشن أول عهده بوظيفة الاستشارة في العام 1991 عهد الملك الراحل الحسن الثاني، واستمرت الثقة التي وضعها فيه الملك الراحل إلى حد الآن في عهد الملك محمد السادس، وأدواره الاستشارية مستمدة من شبكة العلاقات التي راكمها لسنوات طوال في الدوائر السياسية والاقتصادية والثقافية العالمية

يوجد نحو مليون يهودي في العالم يعتبرون المغرب وطنا لهم وفضاء تعمقت جذورهم فيه، ورغم أن هؤلاء اضطروا في ظروف معينة من تاريخ المملكة المغربية إلى مغادرة بلدهم، لكن ذلك لم يمنع المستشار الملكي من إعادتهم من خلال مجموعة من المهرجانات الثقافية والدينية والموسيقية التي تعنى بتاريخهم كمغاربة، نجح أزولاي في هذا المسعى الذي يكرس سياسة المغرب اتجاه هذا المكون الهوياتي.

"هذا التنوع الذي أعيد إحياؤه وبناؤه وتبنيه، ملك لنا" يقول أزولاي مضيفا "إنه امتياز وافتخار أن نعبر بطريقة بسيطة لا يلفها الغموض. فنحن المغاربة لدينا من المشروعية ما يؤهلنا لنقول، في الآن ذاته، من نحن ونعبر عن عمق قيمنا، فالمغرب فهم ذلك جيدا عندما نص في تصدير دستوره الجديد المصادق عليه في يوليو 2011 على المكانة المؤسسة وتجذر الحضارات الأمازيغية واليهودية والأندلسية في المجتمع المغربي وفي هوية الشعب المغربي".

اليوم المغرب أمة كبيرة وعريقة تحترم قيم التسامح والأخوة التي تشكل الأسس الحضارية والهوية الثقافية للمملكة، لذلك يسجل أزولاي أن الملك محمد السادس ما فتئ يعمل من أجل أن يبقى هذا التاريخ حيا من خلال مصادقة الشعب المغربي على دستور 2011 الذي ينص على وحدة المغرب، التي تقوم على وحدة كل مكوناته العربية والإسلامية والأمازيغية والصحراوية الحسانية إلى جانب روافدها الأفريقية والأندلسية واليهودية والمتوسطية.

● رأي أزولاي المستشار الملكي لا يمكن أن يكون غائبا عن قرار المغرب العودة إلى الاتحاد الأفريقي والانفتاح اقتصاديا واستثماريا وتجاريا على القارة السمراء.

● اتجاه أزولاي لمنح الصويرة إشعاعا ثقافيا ينعكس في تنظيمه لعدة ملتقيات ثقافية وفكرية ومهرجانات موسيقية فيها.

في الصحراء ولد عالمه

عامر العبيدي

في حكاياته ذات البعد الأسطوري

فاروق يوسف

❑ كان ماكرا في تعلّمه من الصحراء التي يعود إليها بين حين وآخر باعتبارها فضاءه الوحيد. إنه يستحضرها بالطريقة التي تحقق لروحه النشوة التي تنتظرها. نشوة أن يكون هناك دائما حتى وإن كان بعيدا. يتصفح أوراقها في كتاب شخصي.

وإذا ما كانت المدينة التي ولد فيها تطل على الصحراء، فإنه عاش في شبابه تجربة أعادته إلى يوميات طفولته. لا شيء سوى السراب الذي يحمل وقع خطى قد لا تصل وصهيلا قد لا يُسمع.

الحلم بشيء يظل عالقا بين الوهم والواقع. شيء من أحلام اليقظة الذي تنجزه الحكاية التي تتألف من فصول لا تنتهي. كل لوحة من لوحاته هي حلقة في سلسلة مترامية الأطراف من الحكايات.

يحق لعامر العبيدي أن يقول "لم أكمل الحكاية بعد" بالرغم من أنه يرفع يده بثقة عن لوحة، تكون جاهزة للذهاب بعيدا عنه.

توقيعه لفتة حصان

على مستوى الشكل كانت خيوله بمثابة توقيع شخصي. الأشكال التي ابتكرها صنعت ذلك الطابع الشخصي الذي تميزت به لوحاته. لم يكن المحتوى ليشكل عبئا ثقيلا بالرغم من تلك الخيوط التي تقود إلى مجال رمزي تتحرك فيه مفردات حكاية هي أشبه بالمتاهة.

> خيوله تبدو بمثابة توقيع شخصي. والأشكال التي ابتكرها صنعت ذلك الطابع الشخصي الذي تميزت به لوحاته. لم يكن المحتوى ليشكل عبئا ثقيلا بالرغم من تلك الخيوط التي تقود إلى مجال رمزي تتحرك فيه مفردات حكاية هي أشبه بالمتاهة

في ظل تعامله مع الأشكال باعتبارها ضالة شخصية لا يمكنه أن يقول "لست أنا من فعل ذلك"، فلا أحد يطلب منه أن يكون لرسومه معنى. تخلص بطريقة ذكية من عبء المعنى وهو يسعى إلى أن يقف عند حدود الرمز.

لقد امتلك ناصية التعبير عن نفسه من خلال اللجوء إلى حكايات لن يكون مضطرا لروايتها بعد الرسم. مفردتها الأساسية ستمكنه من خيالها. حينها تكف الحكاية عن أن تكون مرآة لما جرى. تنفتح على الرسم ليكون ذريعة وجودها.

شيء من الإثارة المصحوب بشيء من القلق يكفي للتعرّف على عالمه.

عالم العبيدي غالبا ما يتألف من خيول لا تذكر بالواقع، فهي لا تنتمي إليه. هي مجرد مفردات سيكون علينا الالتفات إلى مخترعها لنسأله عن أصول لعبته لا عن هدفه الذي لم يصل إليه.

في خدمة الآخرين

حسب ما أتذكر فإن العبيدي لم يكن مولعا بالنظريات الأدبية. كان الرسم هو امتحانه الوحيد. ولأن الصحراء لم تكن بالنسبة إليه تراثا بل فكرة عن العيش، فإنه لم يجد في معادلة التراث والمعاصرة المفتعلة ما ينفعه.

العبيدي هو ابن تجربته الإنسانية التي اهتدته أشكالا، صارت بمثابة مفردات في لعبة حياته التي تغص بالألم.

ولد العبيدي في النجف جنوب العراق عام 1943. درس الرسم في معهد وأكاديمية الفنون الجميلة وأنهى دراسته عام 1969. عمل بعدها مدرّسا للرسم في المملكة العربية السعودية. بعد عودته إلى بغداد عمل في تصميم ورسم الكتب الشعرية بعدها انتقل إلى العمل في دائرة الفنون التشكيلية حيث قام بإدارة المتحف الوطني للفن الحديث كما تسلّم مسؤولية تنظيم المعارض الفردية والجماعية والإشراف عليها إلى أن انتهى به الحال مديرا عاما للدائرة المذكورة.

ولأن دائرة الفنون التشكيلية كانت تلعب دورا مركزيا في الحياة الفنية، فقد أدى العبيدي من موقعه الإداري خدمات جليلة للحركة التشكيلية في العراق لا أعتقد أن أحدا آخر يجاريه فيها.

انتمى العبيدي إلى جماعة المجدّدين التي أقيم معرضها الأول عام 1965. يومها كان الفنان لا يزال طالبا. كانت تلك الجماعة مختبرا تجريبيا لما سيكون عليه الفن في ستينات القرن العشرين. وكان هدف تلك الجماعة تحرير الفن من وصاية الرواد. ذلك ما دفع بأفراد تلك الجماعة إلى الانفتاح على التجارب الفنية العالمية، وهو ما وهب فن العبيدي خصوصيته منذ البداية.

غير أن العبيدي وقد قضى في ما بعد الجزء الأكبر من حياته المهنية في الاهتمام بالإرث الفني العراقي ومن ثم بتنظيم معارض الآخرين نسي نفسه، لذلك كانت معارضه الشخصية قليلة بالرغم من غزارة إنتاجه.

بعد الاحتلال الأميركي عام 2003 غادر العبيدي العراق ليستقر في الولايات المتحدة ويقيم معارضه هناك. وهو اليوم يقيم معرضا مشتركا مع الفنان إياد الموسوي في قاعة "العويس" بدبي.

هناك هاجس ملحمي لا يفارق خيال عامر العبيدي. من خلال ذلك الهاجس تمتزج الأصوات بالأشكال كما لو أنها تصدر من المكان نفسه. وسواء أوحى الرسام بالمكان مستعملا مفرداته أم أنه أدار له ظهره، فإن للمكان في عالمه سلطة لا يمكن التغاضي عنها. المكان هو سيد المشهد الملحمي الذي يخلقه الفنان وهو يسعى إلى التعبير عن مكنونات نفسه. وليس ذلك المكان سوى الصحراء. تلك الخزانة الجمالية التي انفتح من خلالها الفنان على عالم رحب من الحكايات التي تشبه المتاهات.

صحراء العبيدي ليست ككل صحراء. إنها ليست تلك الأرض الشاسعة، الممتدة حتى الأفق. بل هي حياة لا نهائية، تصنعها قوافل تمتد بأصولها إلى الرغبة في امتلاك المصير برخاء أسطوري. قوافل العبيدي المرسومة بأسلوب قريب من المدرسة التكعيبية تجمّد الزمن وتخضعه لأصوات المحاربين والغزاة وأبطال الأساطير الشعبية. هل رسم العبيدي مدفوعا بتأثير الحكايات التراثية ـ الشعبية؟ ذلك ما لا يمكن الجزم به، لأن العبيدي نفسه لم يصرّح به. لربما اختلق الفنان حكايات من الإلهام الذي مارسته عليه الصحراء. لربما كانت الأصوات المبهمة أكثر تأثيرا عليه من الأشكال التي صار يميل إلى تقطيعها على هيئة دوائر ومثلثات.

رسام حيوات نافرة

مثلما فلت العبيدي من المعنى فإنه نجا من الوقوع في فخ التراث.

إنها حكاياته الشخصية. حكايات الرسام الذي يمزج أمسه بغده ليخلق زمنه الخاص. ملاحمه هي ملاحم فرسان منسيين هم أقرانه الذين يراهم في الأحلام.

في غير مناسبة سعى عامر العبيدي إلى أن يتحرر من عالمه الشكلي الذي عُرف من خلاله. لقد أقام في بداية تسعينات القرن الماضي معرضا شخصيا ببغداد لم يظهر فيه أي أثر لخيوله. غير أن الصحراء كانت فكرة ضاغطة والغزاة حاضرون باعتبارهم الأشباح التي تملأ المكان بصفيرها.

هذا رسام حيوات نافرة.

ما رسمه، ما يرسمه، ما سيرسمه إنما يعود بالثناء على تلك الحيوات.

في مواجهة رسومه سيكون علينا أن نتذكّر مشاهد سبق أن تخيلناها. مشاهد لم تكن تحتمل التأجيل بالرغم من أننا ندرك أنها لن تقع. هنا بالضبط يقوم الرسّام بدوره في صنع النبوءة التي تجرنا إلى الماضي. شيء من التناقض يحله الرسم بطريقة ماكرة. لقد اجتهد العبيدي في رسم مشاهد مستعارة من وقائع لم تقع غير أن تلك المشاهد بعد أن رسمت صارت جزءا من الماضي.

الفنان هنا خلق ماض بقوة المستقبل.

الكثير من الحزن الشفاف والكثير من الفرح المبهم يمتزجان في عالمه ليصنعا عجينة أمله وهو الذي يرغب في أن يكون متفائلا. لقد اكتشف الرسم من أجل تلك الصرخة التي تُطلق في مواجهة الصحراء. هي صرخة العثور على كل شيء في اللاشيء. وهي صرخة اللاشيء نفسه.

رسوم العبيدي تعدنا بأكثر مما تُظهر.

إنها تعدنا بأن نكون جزءا من ملحمتها الاستثنائية التي تحتفي بالحياة باعتبارها مناسبة أخيرة للثناء على الجمال.

عامر العبيدي يجدد نفسه وفنه ويهبنا المزيد من الأمل في حياة لا يزال في إمكانها أن تكون مصدر إلهام. أكان ذلك ممكنا لولا الصحراء؟

> عالم العبيدي غالبا ما يتألف من خيول لا تذكر بالواقع، فهي لا تنتمي إليه. هي مجرد مفردات سيكون علينا الالتفات إلى مخترعها لنسأله عن أصول لعبته لا عن هدفه الذي لم يصل إليه

الإبداع والمبدعون والفوضى الثقافية

د. وائل إبراهيم الدسوقي
باحث مصري

❏ يعيش العالم العربي حالة من الفوضى الثقافية فقدت فيها منطلقات أساسية للإبداع الأدبي الجيد، كما تسود ثقافتنا حالة مرضية توهم كل من يصيغ جملة أدبية بأنه أديب مبدع، ومع غياب النقد ازدادت حالة الفوضى، فضلا عن عدم تفريق المؤسسات الثقافية المختلفة بين الفوضى والحرية الثقافية، وهو ما يعني أنها لا تمتلك منهجا تصمم من خلاله استرتيجية ثقافية تتحرك في ضوئه أنشطة المشهد الثقافي برؤى مختلفة محققة نوعا من التكاملية بين تلك الأنشطة لتكوين حالة الإبداع، وهكذا تتسع دائرة الاجتهاد الثقافي للقائمين على الأنشطة في غياب التخطيط الثقافي العام، حتى أصبح هذا الاجتهاد نفسه مشكلة أدت إلى فوضى غاب فيها الإبداع، الذي وجب علينا محاولة تحديد مفهوم واضح له، فلعل في مفهومة يكمن الحل.

يشمل المفهوم العام للإبداع الثقافي أي ابتكار غير مادي يخلقه الإنسان، بحيث يشمل مجموعة من السلوكيات التي تتبناها مجموعات من الشعوب، تترسخ من خلال تمريرها على الآخرين ضمن المجموعة أو خارجها. كما يتم تمريرها إلى المجموعات والأجيال المستقبلية. من المعروف أن إحدى طرق نشر الإبداع الثقافي هي الانتقال الثقافي، أي اتخاذ وسيلة يتم بها مشاركة أفكار ثقافية محددة مع الآخرين حتى تصبح واقعا ثقافيا. فالأشخاص ذوي المكانة في المجتمع يلعبون دائما دورا مهما في تحديد ما يتم اعتباره واقعا ثقافيا. ويمتلك مثل هؤلاء الأشخاص أنواع المعارف التي تساعد في نقل الأفكار بأسلوب مقبول لدى المجتمع، ومن خلال هذا الأسلوب يمكن أن تصبح الإبداعات الثقافية واقعا ثقافيا.

هناك مجتمعات عربية تؤكد دوما قدرتها على الإبداع الثقافي، رغم تجاهل الدوائر الثقافية في معظم الأحيان لتنمية هذا الشعور، مما يدفع الأفراد للقيام بدورهم دون الحاجة لدعم المؤسسات في سبيل تجديد الحلول المعهودة، واكتشاف وتنمية القدرات الإبداعية لدى الإنسان العربي. ولقد حاول العديد من المفكرين العرب تحديد مفهوم دقيق للإبداع الثقافي من وجهة نظر عربية، ومن أبرزهم "أنور عبد الملك" الذي رأى أن مفهوم الإبداع الثقافي تطور تطورا ملحوظا بقدر تطور المجتمعات ذاتها، وخاصة من حيث قوتها وقدرتها على النمو الاجتماعي، وأنه حتى عهد قريب كان المفهوم ينحصر في نطاق المغايرة والندرة، ذلك أن العديد من مثقفي العرب قبلوا النظرة والمفاهيم الاستشراقية حوله، فأصبح الإبداع الثقافي يكاد يماثل "البدعة".

كانت نقطة التحول في إعادة صياغة مفهوم الإبداع الثقافي من وجهة نظر "عبد الملك" إنما هي في تأصيل الثقافة، وتأكيد خصوصيتها في مختلف المجتمعات. ومن هنا برز مفهوم "الثقافة الوطنية" مواكبا لحركات التحرر والاستقلال، وقد اتسع ذلك المفهوم بحيث انتقل من تأكيد السيادة في مجال القرار الثقافي إلى التركيز على معالم الخصوصية القومية في مختلف قطاعات الثقافة الشعبية.

لقد ظن عالم الإنسانيات "آلن هانسن" أن الغرض من دراسة الإبداع الثقافي لم يكن بهدف اكتشاف أنظمة المعتقدات الثقافية المختلفة، ولكن معرفة كيف أصبحت الإبداع الثقافي مقبولا كقيمة أصلية ضمن المجتمعات الإنسانية. ويبدو أن هذا المفهوم رجعيا بعض الشيء فهو من وجهة نظر النقاد يعتبر الإبداع الثقافي عملية تؤدي إلى تكون شيء أصلي ومقبول على نطاق كبير يقوض تقاليد الأشخاص من السكان الأصليين، بالإضافة إلى التشكيك في سلطتهم على ثقافتهم.

على أية حال، فأنه خلال الثلاثة عقود الأخيرة، اتسع مفهوم الإبداع الثقافي، بحيث أصبح يشمل القاعدة الاجتماعية الواسعة من جماهير الشعب في المدن والقرى جنبا إلى جنب مع فئات المثقفين المتخصصين. ولم يعد المفهوم مقصورا على الإنتاج الثقافي المحدد، وإنما راح يجمع طاقات وإمكانات تلك القاعدة الشعبية، فأصبح الإبداع الثقافي يضع مسألة تقييم عملية الإبداع في مكانة الصدارة. وكما يذكر الدكتور "أديب مقدسي" فلابد للأدب حتى يصبح مشروعا ثقافيا مؤثرا أن يكون انعكاسا فنيا للوعي والممارسة، وليس مجرد تنسيق كلمات وأفكار عقيمة، إنما القدرة على خلق اتجاهات وترك ترسبات.

لوحة ياسر أبوالحرم

الكتاب العراقي في أزمة خطيرة

محمد حياوي
كاتب عراقي

❏ ما كادت أزمة تصدير الكتاب العراقي ومحاصرة الناشرين العراقيين ومنعهم من المشاركة في المعارض الدولية بسبب تعليمات بالية صدرت في عهد النظام السابق، أيّام كان الحصار وأزمة الورق متفاقمة، وما كادت تلك الأزمة تتراجع وتخف وطأتها، بعد أن نجح المثقفون والناشرون العراقيون بالضغط على الجهات الحكومية التي اضطرت إلى إلغاء تلك التعليمات، حتى تعرض الكتاب العراقي لأزمة خطيرة من جديد تمثلت هذه المرّة في معاملته أسوة بالسلع التجارية وفرض تعريفة جمركية باهظة على دخوله إلى الموانئ والمنافذ الحدودية العراقية بلغت 17 بالمئة، وإذا ما علمنا أنّ 90 بالمئة من الإصدارات العراقية الجديدة تطبع في مطابع بيروت ودمشق وعمّان، نتيجة لتردي المطابع العراقية وإهمالها وعدم مواكبتها للتقنيات الحديثة، فإن حجم الضرر الذي سيتعرض له الناشرون العراقيون سيكون كارثيا، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أسعار الطباعة المرتفعة وحدّة المنافسة في أسواق الكتاب العربية.

إن تلك القرارات المجانية والبعيدة عن الموضوعية التي لا تراعي خصوصية المنتج الثقافي وهشاشة سوق الكتاب وحاجته الدائمة للدعم المادي والمعنوي، ستحدّ بالضرورة من تطلع الناشرين العراقيين للدخول إلى الأسواق العربية ومعارض الكتاب الدولية، هذا التطلع الذي يتطلب فهما متقدما ودراية واسعة ونظرة متطورة وعميقة وإدراكا لمعنى الثقافة وخطورتها، ومثل هذه المتطلبات لا يمتلكها أغلب المسؤولين العراقيين الحاليين من غير المتخصصين الذين جاءت بهم الأحزاب الإسلامية ونصّبتهم في مواقع إدارية مهمة تتحكم بمصير البلد ومفاصله المهمة.

شخصيا لا أتوقع خيرا سيصيب الثقافة العراقية وتأسيساتها المختلفة، بعد أن بدأ عادل عبدالمهدي، رئيس الوزراء الجديد، عهدة بتوجيه إهانة كبرى لها بواسطة ترشيح أحد الدخلاء على الجسد الثقافي وزيرا للثقافة، وإذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه كما يقال، فإن بوادر الفشل والخطل قد لاحت بواكيرها منذ الوهلة الأولى لتأسيس الحكومة الجديدة، طالما هناك فهم قاصر لقضية الثقافة وخطورتها ودورها في تأصيل الحالة العراقية المتشرذمة والمفككة منذ الاحتلال الأميركي للعراق حتى اللحظة الراهنة.

إن قرار دائرة الجمارك الأخير بشأن استيراد الكتاب، لم يأتِ من فراغ في الحقيقة، بل هو محصلة لتلكَ السياسات الخطاء والأمية المنتشرة في أوساط المسؤولين الجدد الذين لا يميزون بين الكتاب كمنتج فكري إنساني والطماطم كسلعة استهلاكية ينبغي فرض الضرائب المرتفعة عليها من أجل حمايتها. ومن هذا المكان، أطالب كافة المنظمات الثقافية والاتحادات، بما في ذلك اتحاد الأدباء العراقيين واتحاد الناشرين العراقيين والمنظمات الرديفة، بتوجيه نداء إلى المنظمات الدولية ومنظمة اليونسكو لحماية الثقافة العراقية من الهجمة المتخلفة التي يشنّها عليها الساسة الجدد الساعون للاستحواذ على المناصب ونهب المال العام وتبديد ما تبقى من بنية الدولة العراقية المنهكة.

لقد شهدت صناعة الكتاب العراقي في العقدين الأخيرين قفزة كبيرة نتيجة لتخلصها من القوانين والتعليمات السابقة، الأمر الذي يؤكد نزعة الفرد العراقي للقراءة والاطلاع والبحث عن المعرفة، كما هو عهده دائما، على الرغم من تردي الأوضاع الاقتصادية والأمنية والمعيشية، بل إن سوق الكتاب العراقي أصبح محطّ أنظار دور النشر العربية الكبرى وتطلعها للتوزيع والبيع والانتشار، بعد النجاح الملحوظ الذي سجلته الدورة الأخيرة لمعرض بغداد الدولي للكتاب والمشاركة العربية الواسعة فيه والأصداء الطيّبة التي تركها في أوساط المثقفين والناشرين العرب. وكما لو كان المسؤولون العراقيون قد تطيروا حسدا من نجاح الفعاليات الثقافية المتصاعدة، فقرروا التدخل بطريقة مشينة للحدّ من تلك النجاحات التي تفضح سعيهم لنشر تقاليد التخلف وكل ما يحطّ من قدر الإنسان العراقي وتطلعه لحياة حرّة كريمة.

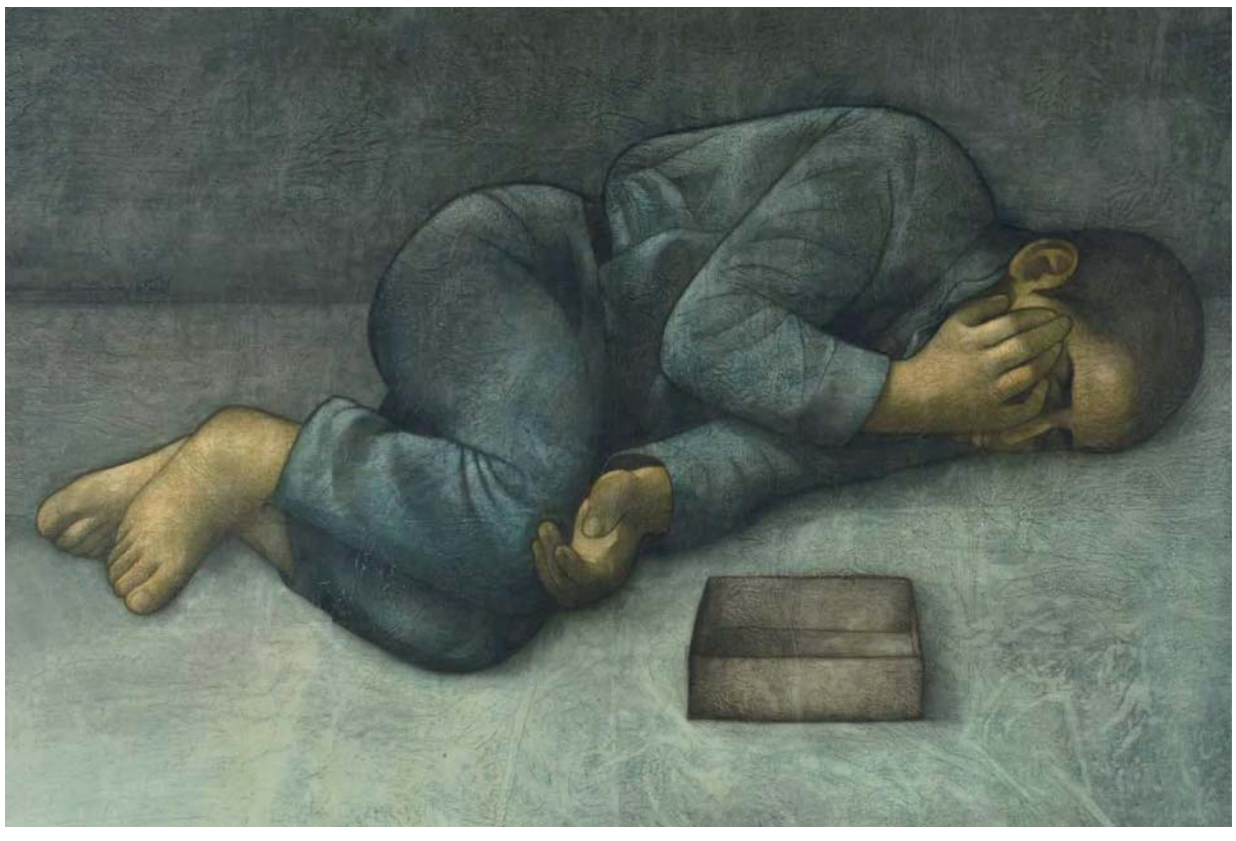

لوحة إلياس إيزولي

عاش هنا

سعد القرش
روائي من مصر

❏ ستقضي فذلكة التاريخ ألا يحظى حسني مبارك بلوحة «عاش هنا»، في مشروع أطلقته وزارة الثقافة، يستهدف تخليد ذكرى الأعلام في عموم مصر، وتكريم من أثروا الحياة بمواهبهم في الآداب والفنون والعلوم والسياسة، فيتاح لمن يمرون ببنايات عاش فيها هؤلاء أن ينعشوا الذاكرة بسيرهم، وأن يزداد إيمانهم بما ينفع الناس، ورهانهم على ما يبقى، بعد زوال سطوة ونفوذ لم ينفعا شخصا مثل مبارك الذي أفلت بمكر من كل ما لاحقه من اتهامات بعد ثورة 25 يناير 2011، ولم يلتصق به إلا حكم قضائي نهائي وحيد تلخّصه كلمتا «مبارك حرامي»، كما خسر مبارك أيضا اسمه المنتزع من محطة المترو الأنفاق، وربحها الشهداء في لحظة براءة عمومية قبل شيطنة الثورة، وإعادة نظام مبارك من دون مبارك.

مشروع «عاش هنا» تأخر كثيرا، وتحتاج إليه مدينة هرمت مثل القاهرة، يخلو بعض شوارعها الكبرى من لوحات تحمل أسماء شخصياتها العظيمة، وإذا وجدت اللوحة فهي كتلة حروف باهتة ذات طابع أدائي لا يدل على شيء، ولا يقدم أي معلومة عن صاحب الاسم، فلا يعرف زائر القاهرة من كان هؤلاء: محمود بسيوني، محمد محمود، صبري أبوعلم، الشيخ ريحان، نوبار باشا، محمد فريد، محمد عبدالله دراز، الرئيس عبدالسلام عارف، الدكتور مصدق الذي وضع اسمه على «شارع الإمبراطور بهلوي» بأحد الأحياء الراقية في الجيزة.

اللوحة الإرشادية المعدنية التي وضعت في مدخل البنايات هي قالب ذو أبعاد ثابتة، مساحة لا تفرق بين جمال عبدالناصر ونزلاء سجنه (فؤاد حداد وأحمد فؤاد نجم مثلا)، فلا تحمل اللوحات إلا الأسماء بخط موحّد، ويليها بخط أصغر تاريخا الميلاد والوفاة، ثم بخط أكبر وأكثر تميزا يأتي العنوان المعروف بالضرورة للعابرين. ولكن ميراث البيروقراطية المصرية تسرب إلى اللوحات، فحجزت ثلاث جهات حكومية مشاركة في المشروع مكانا لاسمها وشعارها في هذه المساحة المحدودة: مجلس الوزراء ـ مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، محافظة القاهرة، الجهاز القومي للتنسيق الحضاري.

على الواقف أمام اللوحة أن يستخدم تطبيق يسمونه QR، للدخول إلى قاعدة بيانات المنزل والشخص الذي عاش فيه، بتمرير الهاتف الذكي على شفرة إلكترونية تؤدي إلى رابط الصفحة الخاصة بالشخص في موقع إلكتروني يوثق سير الأعلام.

> مشروع «عاش هنا» تأخر كثيرا، وتحتاج إليه مدينة هرمت مثل القاهرة، تخلو بعض شوارعها الكبرى من لوحات تحمل أسماءها، وإذا وجدت اللوحة فهي كتلة حروف باهتة ذات طابع أدائي لا يدل على شيء، ولا يقدم أي معلومة عن صاحب الاسم

إجراء مشفّر، يحتمل شبهة طبقية توجب حيازة هاتف ذكي، وامتلاك حدّ أدنى من الخبرة بدهاليز المواقع الإلكترونية. وفي بلد تبلغ فيه نسبة الأمية 29,5 بالمئة، يفترض أن يستبدل بهذا الإجراء شيء آخر، عمليّ وأكثر يسرا على الراغبين في معرفة غير مكلفة، وأمامنا تجربة مدينة أصيلة المغربية، ففي حديقة حملت اسم الروائي السوداني الطيب صالح، وضعت لوحة صغيرة اتسعت لخمسين كلمة عن طبيعة إنجازه، وتصنيف رائعته «موسم الهجرة إلى الشمال» ضمن أفضل مئة رواية عالمية، وعلاقته بالمغرب، وأين ومتى ولد وتوفي ودفن، في إيجاز ذكي يذكّر بالرجل وأسلوبه.

لعلها فرصة لإعادة النظر، وتطوير مشروع «عاش هنا»، لكي يتمهل ويتنازل قليلا، فلا يحرق المراحل من الخطوة الأولى، وأن يجد أيضا حلولا لإعادة الاعتبار إلى شخصيات مرموقة ظلمتها الحياة، وخطفها الموت فجأة، قبل أن تتمتع بأي شيء، ولو بمحل دائم للإقامة، إلا في ذاكرة الأجيال.

شغف الحكايات

ابراهيم عبد المجيد: اللعب في الرواية يستهويني والفانتازيا دائماً حاضرة

حنان عقيل
كاتبة مصرية

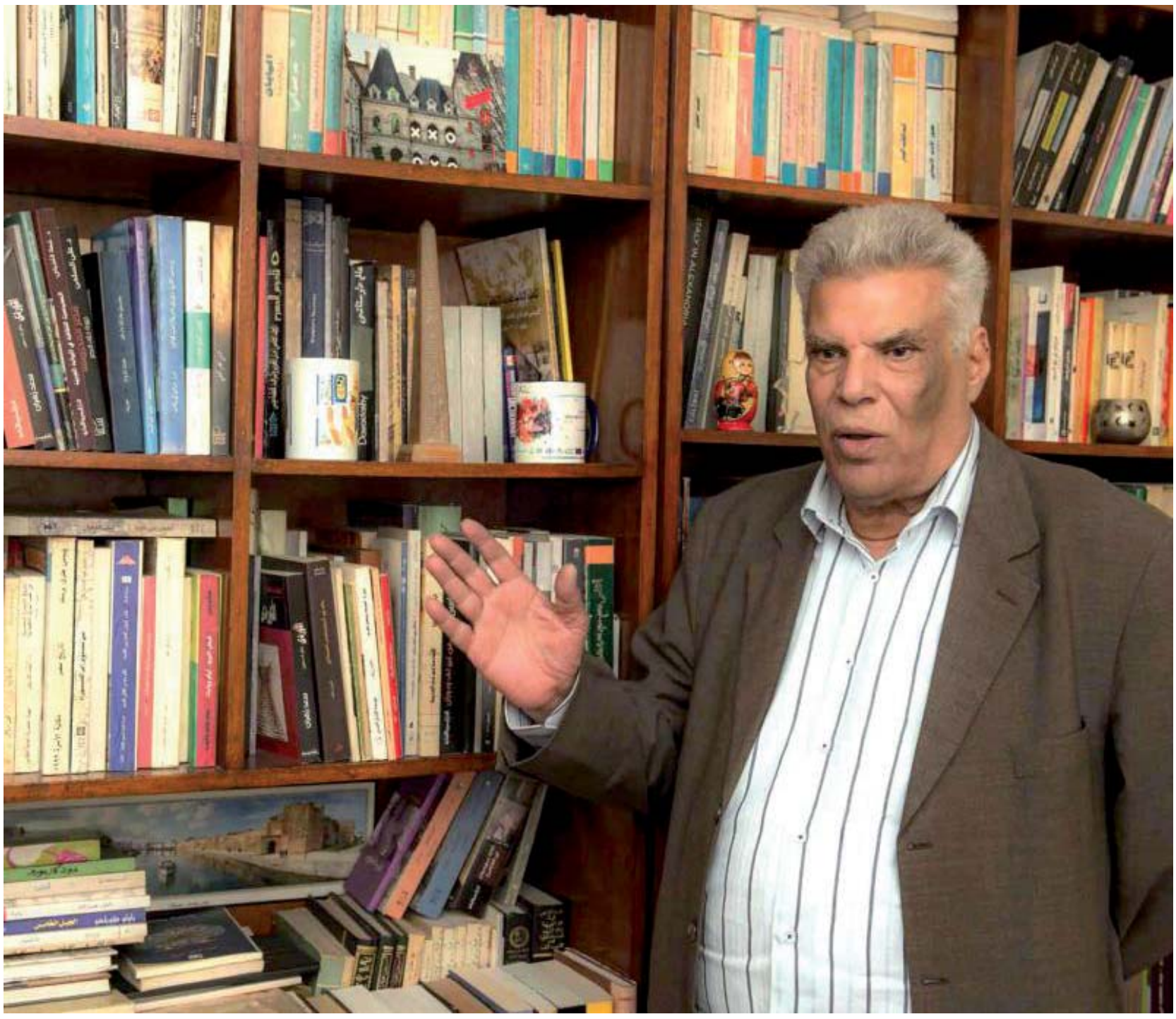

❏ حينما عَزَمت على مهاتفته في المرة الأولى لإجراء الحوار، تصفّحت حسابه على "فيسبوك"، كان آخر منشور له عن الضجر واليأس والملل، وضعت الهاتف جانبا وقررت تأجيل التواصل. أعرف أن مثل تلك الحالات بالنسبة لروائي شغوف ودؤوب مثل إبراهيم عبدالمجيد لن تسمح بأي حديث ولو كان عابرا فكيف بحوار مُطوّل.. بعد أيام هاتفته، تمنيت أن يكون قد تخلص من ضجره ولو بقدر ما يسمح لي أن أجتذبه إلى منطقة شغفه لاستعادتها في مواجهة يأسه وعزلته.. لم أعرف لِمَ هو ضجر، فقبل أشهر صدر له كتاب بعنوان "أنا والسّينما" ورواية بعنوان "قبل أن أنسى أني كنت هنا"، أليست الكتابة سببا كافيا لمحاربة الضجر واليأس؟ كنت أتساءل بينما جاءني صوته عبر الهاتف يطلب تأجيل الحوار أو إرسال الأسئلة عبر الإيميل.. ها هي حالة الضجر لم تغادره إذن، رفضت التواصل عن بُعد ووافقت على تأجيل لقائنا لأسبوع آخر على أمل أن يأتي اللقاء دون ضجر.

حينما التقينا قرب منزله النائي نسبيا عن وسط القاهرة، دارت أحاديث عابرة بيننا لكن جميعها أكد لي أن الضجر لم يغادره. سألته لماذا كل هذا الضجر؟ لماذا تريد أن ينتهي الشهر قبل أن يكتمل نصفه الأول؟ ولماذا لا تريد المكوث في المنزل؟ ولماذا تخليت عن مكتبتك الكبيرة؟ ولماذا مزقت حواراتك القديمة؟ كنت أردد لماذا كثيرا، يجيبني أحيانا ويصمت كثيرا.. يُزعجه الزحام في منطقة اختارها لهدوئها وعُزلتها، وتُزعجه لافتات الدعاية الانتخابية في كل مكان، وتزعجه الثرثرات الفارغة من حوله.. يشرد قليلا ثم يقول: مصر لم تكن كذلك، ما الذي حدث؟ خشيت أن يحول ضجره وشروده دون حديث سلس بيننا، أطلت الأحاديث العابرة قليلا علّها تفتح بابا أمام حديث لا يُغلِّفه الملل.

حين شرعت في الولوج لعوالم رواياته، كنت أغتبط بالابتسامة التي تعلو وجهه مع التطرق إلى كل عالم من عوالمه الروائية، بدا لي أنه لا يريد أن يهبط من سماوات ذلك العالم الذي صنعه خياله إلى أرض الواقع الذي بات ضحلا في عينيه، لا يريد أن يغادر عزلته الأثيرة التي يقضيها في الكتابة إلى تجمعات فقدت مصداقيتها برأيه، يروم القبض على الزمن علّه لا يفلت من بين أصابعه دون أن يُدوّن كل أفكاره.. ربما من هنا جاء تركيزه على محاصرة ذاكرته الانتقائية في رواياته كي لا تخذله في نسيان ما أراد دوما ألا ينساه.. الثورة التي كان فيها هنا مع الشهداء، وعتبات البهجة التي كثيرا ما قنع بالوقوف أمامها دون بلوغها، والإسكندرية مدينته الأثيرة، ومدنه الواقعية والافتراضية الأخرى.

"الجديد" حاورت الروائي المصري إبراهيم عبدالمجيد في حديث عن مشواره الأدبي البارز وأبرز المحطات الإبداعية التي مرّ بها، متطرقين للحديث عن التغيرات والتبدلات الثقافية في مصر، والتي كان لها نصيب وافر في كتاباته الروائية عن المُدن وتحولاتها.

قلم التحرير

● **الجديد:** أود أن أبدأ معك من النهاية.. "قبل أن أنسى أني كنت هنا" وقبلها "قطط العام الفائت" آخر روايتين لك بهما استحضار واسترجاع لأجواء الثورة المصرية.. كيف تكوّنت لديك الفكرة والدافع نحو الكتابة عن تلك الفترة؟ ولماذا كتبت روايتين عن أجواء مُتقاربة؟

■ **إبراهيم عبدالمجيد:** أنا من المؤمنين أنّ الأحداث الكبرى لا تتم الكتابة روائيا عنها مباشرة على عكس الشعر أو الأفلام القصيرة مثلا، فالروايات تحتاج شيئا من الصبر حتى يُصبح الحدث غامضا إلى حد ما، وبعيدا عن الروح، ويصير أشبه بالحلم. فعندما نكتب بعد الحدث مباشرة ستكون الرواية مُغلّفة بالأحاديث السياسية، ورغم أنّ هذا الشكل قد يلقى رواجا لدى بعض القراء إلا أنني لا أُفضّله لأنني أرى أنّ الفن يجب أن يكون في مستوى أرقى.

بعد خمس سنوات تقريبا من أحداث الثورة المصرية، بدأت الرؤية تتضح أمامي بشكل ما، فكتبت "قطط العام الفائت" مُعتمدا على الفانتازيا كي تكون هناك مساحة من اللعب في الكتابة، من خلال مكان وزمان مُتخيلين. الرواية بها الكثير من الدراما والرمزية والكوميديا أيضا، وأثناء كتابتي لها قفزت إلى روحي فكرة الكتابة عن شهداء الثورة لأنني عاصرت الثورة يوما بيوم، فوجدت أنّ الكتابة عن الشهداء بها مساحة كبيرة من الشجن لن تكون مناسبة لرواية "قطط العام الفائت" القائمة على السخرية بشكل كبير، فقررت كتابتها لاحقا. ومن ثمّ جاءت رواية "قبل أن أنسى أنّي كنت هنا" التي كتبتها عن شُهداء ثورة يناير في مصر، والتي اعتمدت أيضا على الفانتازيا؛ الأشجار التي دُفن تحتها شهداء تُغادر أماكنها في الرواية. هي عن ذكريات الشهداء والحب الضائع. يقول بطلها في لحظة شجن: لا أريد أن أُناقش فشل أو نجاح الثورة أو من هو المدان ولكنها فرّقت بين الأحبة.

● **الجديد:** هل العملان يعكسان مشاعرك الحقيقية إزاء مآلات الثورة المصرية؟

■ **إبراهيم عبدالمجيد:** نعم. هذا حقيقي. لديّ اعتقاد قد يكون أصله دينيا أو أسطوريا، هو أن البلاد التي تعيش على الخطيئة لا تتقدم، وأكبر خطيئة حدثت في مصر هي أن دم الشهداء ذهب هدرا. نحن نحزن الآن طبعا على شهداء الإرهاب ونرثيهم، لكن في الوقت الحالي من يذكر شُهداء الثورة أو يضع لافتات للتذكير بهم قد يتعرض للسجن. فكرة الخطيئة موجودة في بعض قصص القرآن، وفي الملاحم والأساطير اليونانية. في قصة أوديب مثلا كانت خطيئته هي التي تسببت في انتشار الطاعون. الأمم لا تتقدم على خطايا برأيي.

● **الجديد:** هل تظن أن الأبواب قد أُغلِقت تماما أمام سُبل إصلاح الخطيئة؟

■ **إبراهيم عبدالمجيد:** إلى حد كبير أعتقد ذلك، الأهداف التي قامت من أجلها الثورة "عيش، حرية، عدالة اجتماعية" لا شيء تحقق منها. لا أريد أن أستغرق في هذا الحديث.. ربما سيفسد الحوار.

● **الجديد:** نعود إذن إلى عالم الرواية.. لم جاء اعتمادك على الفانتازيا في رواياتك بشكل كبير؟ هل بدت "الكتابة الواقعية عن العالم قصة فانتازية عن عالم بعيد الغور وغامض" مثلما يقول الروائي البريطاني كونراد؟

■ **إبراهيم عبدالمجيد:** أنا أحب التجريب في الكتابة.. مساحات اللعب الواسعة تستهويني. الفانتازيا حاضرة في أعمالي منذ وقت طويل، تقريبا منذ رواية "المسافات" بدأت اللجوء إلى عالم الفانتازيا، كنت قبل كتابة هذه الرواية منتميا إلى أحد الأحزاب الشيوعية السرية ووجدت أن انشغالي السياسي في ذلك الوقت يُفسِد ما أكتبه من قصص، فكنت أمزق ما أكتبه بسبب سيطرة الشعارات السياسية عليه، إلى أن قررت التوقف عن النشاط السياسي، فكرت في أنه يوجد الكثير ممن يستطيعون توزيع المنشورات لكن قلة هم من يمتلكون موهبة الكتابة، قررت أن أسافر إلى السعودية للعمل لتكوين مبلغ من المال يكون كافيا لشراء شقة مناسبة في القاهرة، وعدت بعد عدة شهور وبدأت في كتابة رواية "المسافات"، وجدت نفسي أدخل عالم الأساطير.. في مكان هامشي جدا على إحدى محطات السكك الحديدية التي لا تأتيها القطارات، فكان من الطبيعي في هذا المكان أن يعيش الناس في الخيال، وبدأت الرواية كلها تمتلئ بالأساطير التي لا أعرف كيف كتبتها.

كانت الفانتازيا إذن وسيلة لأهرب من الواقع المباشر، وكنت أشعر بسعادة غامرة حينما أكتشف أنني نجحت في صنع أساطير وعوالم غرائبية. هناك مشهد أسطوري كتبته وأعجبت به لاحقا وأنا أقرأه وأبدى النقاد إعجابهم به أيضا، كان المشهد يصوّر طفلا صغيرا يسير في الخلاء وحينما صادف هدهدا رماه بحجر فطار الهدهد بعيدا، فرماه بحجر مرة ثانية فطار مرة أخرى، وتكرر الأمر في المرة الثالثة، وفي المرة الرابعة تمنى الصبي لو أنه ألقى حجرا ولم يسقط على الأرض، وبالفعل طار الحجر الذي ألقاه الصبي في السماء وظل يطوف المدن والقرى ويستقبله الناس ويقولون هذا هو الحجر الذي ألقاه علي منذ عشر سنوات ومنذ عشرين عاما، إلى أن عاد الحجر مرة أخرى وكان الصبي قد صار كهلا، وحينما أمسك به عاد طفلا. كل هذا الخيال صنعته، وغيرها من القصص التي تحمل أبعادا فلسفية بشكل ما وتنفتح على تأويلات متعددة.

والحقيقة رغم كل هذه الفانتازيا التي أكتبها أنا وزملائي من الكتاب، إلا أن الواقع فعلا قد سبق الخيال بمراحل. وما يحدث في العالم العربي تجاوز الخيال، هذا فضلا على أنه صار مُضحكا جدا أحيانا ومُحزنا للغاية في أحيان أخرى.

● **الجديد:** يُشكّل المكان أهمية كبيرة في أعمالك قد يأتي اهتمامك بتصوير تغيراته وتقلباته أحيانا على حساب الاهتمام بتطورات الشخصيات وتبدلاتها النفسية، إلا أن العكس يحضر في أعمال أخرى مثل "أداجيو" و"برج العذراء" و"عتبات البهجة" ثم في أعمال أخرى تعتمد التجريب بأدوات مغايرة.. كيف تأتي هذه التحولات التي قد تكون مربكة أحيانا للقارئ؟ هل هي نتاج دوافع فنية أم شخصية؟

■ **إبراهيم عبدالمجيد:** هذه التحولات سببها أنني حينما أشرع في كتابة رواية وبعد أن أكتب أولى صفحاتها، تبدأ الشخصيات في التحرك بحرية تامة وتكتب هي الرواية وتُكملها حتى النهاية، وأصير مفعولا به ولست مُحرِّكا للشخصيات، ويقتصر دوري على إكمال بناء الرواية وتشذيبها والجزء الفني فيها بشكل خاص. أظن أن المشكلة حاليا هي أننا نعيش مأساة تعليمية وثقافية، إذ يتعامل الناس مع الأدب باعتباره مجموعة من القيم وليس خيالا، ومن ثم فلا يوجد فهم واضح لمعنى الخيال وحقيقة أن الفاسد في الرواية لا يعني أن الناس جميعهم فاسدون، ومن ثم تجرى محاكمة الرواية أخلاقيا وليس فنيا.

> حينما أشرع في كتابة رواية وبعد أن أكتب أولى صفحاتها، تبدأ الشخصيات في التحرك بحرية تامة وتكتب هي الرواية وتُكمِلها حتى النهاية، وأصير مفعولا به ولست مُحرِّكا للشخصيات، ويقتصر دوري على إكمال بناء الرواية وتشذيبها

حينما نفهم هذا المسار الحُر للشخصيات، يمكن أن نعرف لماذا رواية مثل "عتبات البهجة" هي رواية زمان وليست مكان، لأنها عن رجلين تجاوز عمرهما خمسين عاما وغير قادرين على إكمال أي شيء يُقدِمان عليه، أيضا رواية "بيت الياسمين" هي رواية زمان لأنها تتحدث عن شخص يُنظم مظاهرات للرئيس السادات ولا يحضرها. فيما ظهرت روايات مثل "المسافات"، "ليلة العشق والدم"، "ثلاثية الإسكندرية"، و"هنا القاهرة" كروايات مكان.

● **الجديد:** ما السر وراء كل هذا الشغف بالأمكنة؟

■ **إبراهيم عبدالمجيد:** المكان مرّ بمراحل تاريخية، في الرواية الكلاسيكية يحضر المكان بشكل كبير ويتم الاعتماد على شرح تفاصيله بصرف النظر عن المشاعر، أما في الرواية الرومانتيكية فالتركيز على مشاعر البطل التي على أساسها يوصف المكان ويتلون بتغير وتبدل المشاعر. الرواية الأوروبية في الستينات وجدت أن المكان له الوجود الأقوى في الرواية. بالنسبة إليّ هناك فكرة عن المكان أسرتني منذ وقت طويل، وهي أن المكان صانع البشر. هذه الفكرة هي نتاج خبرتي الشخصية في الحياة.

أسطوريات رولان بارت

كتاب يفند أساطير البورجوازية

أحمد سعيد نجم
كاتب من فلسطين مقيم في الإمارات

رولان بارت.. فكك اساطير العصر الحديث وقرأ علاماتها واشكالها

❏ بعكس ما يوحي به عنوان كتاب "أسطوريات" للناقد الفرنسي رولان بارت، الصادر هذا العام عن "دار الجمل"، ألمانيا، بترجمة جديدة أنجزها توفيق قريرة، وراجعها ناجي العونلّي، فهو لا يتناول بالتحليل السرديات الأسطورية الموروثة من الأزمان السحيقة. فلذلك النوع من الأساطير اختصاصيوه من العلماء الأنثروبولوجيين، أما بارت، الناقد البنيوي والسيميولوجي، فسيحكي لنا فيه عن نوع آخر من الأساطير؛ أساطير عصره، الآن وهُنا، عن "أساطير الحياة اليومية الفرنسية "، وقد ارتدت شكل الكلام، والكتابة، والصُوَر، والمعارض، والألعاب الرياضية، وغيرها. سيتحدث بارت عن هذا 'الطبيعي' الذي تلبسه الصحف والفن والحسّ المشترك باستمرارٍ لباساً مضحكاً من الواقع.."، عن الطبيعة والتاريخ وقد احتدما في سردية واحدة، عن الخداع "الذي يُحوّل ثقافة البرجوازية الصغيرة إلىٰ طبيعة كلّية"، عن "اللازمانية" التي تسم بشكلٍ عام أية أسطورية؛ رغبة الخطاب الأسطوريّ الدائمة في احتواء الماضي والحاضر والمستقبل ضمن القول الواحد.

ويتألف كتاب "أسطوريات" من قسمين؛ قسم أوّل ضم نصوصاً ولوحات رصد المؤلف من خلالها البعض مما كان يستجد حوله يومياً من أحداث، ونشرها تباعاً بين عامي 1954 و1956 في بعض المجلات الفرنسية، وقسم ثان بعنوان "الأسطورة اليوم". وهذا القسم الثّاني بالغ التكثيف، وأيّ استعراض موجز له مضطرٌ لا محالة لإغفال بعض أفكارهِ الأساسية. ويمكن القول إنه يتضمّن تعريفاً منهجيًا لما رأى بارت أنه أساطير، وتحليلاً "علاماتياً" لتلك الأساطير بما هي "شكل"، بالاستناد إلىٰ "علم اللغة العام " وإلىٰ علم الإشارات "السيميولوجيا"، وكلاهما يدرسان العلامات والأشكال بمعزلٍ عن مضمونها. أما تحليل المضمون –وهو عبارة عن "الخداع الذي يُحوّل المعيار البرجوازي إلىٰ طبيعة كُلّيّة"– فقدَ لجأ فيه بارت إلىٰ الأيديولوجيا، أو بشكلٍ أدقّ إلىٰ "ماركسية " اليسار الفرنسيّ في الخمسينات والستينات من القرن العشرين.

إنّ التحليل العلاماتي الذي فكّك بارت من خلاله مكوّنات الأسطورة المعاصرة ثم أعاد تركيبها بكيفية جديدة يشكّل مغامرة جريئة ورائدة في تشييد علم كان لا يزال إلىٰ لحظتها علماً وليداً. وفي تشيّيده لذلك العلم لم يلجأ بارت إلىٰ قواعد سابقة عليه، بل انطلق من الشواهد إلىٰ القواعد؛ أيْ من الجزء إلىٰ الكلّ، وبالعكس. وسيعود بارت في كتاب آخر له عنوانه "مبادئ علم السيميوطيقا "؛ الصادر عام 1964 إلىٰ تزويد ذلك العلم، الذي لم يعد بعد وليداً، بدعامات نظرية جديدة، أهمها اعتبار "السيميولوجيا" جزءاً من علم أوسع هو "علم اللسانيات"، لا سيما أنّ تطوّر "السيميولوجيا" كان قد توصّل إلىٰ حقيقة مفادها أنه "لا توجد في الحياة المجتمعية أنظمة إشارية غير اللغة البشرية". وكتاب "مبادئ.." هذا كتاب أكاديمي، لا يمتلك خصيصتَيْ "الرشاقة" و"السهولة النسبية" اللتين امتاز بهما كتاب "أسطوريات"، واللتين ستجعلان منه واحداً من أكثر مؤلفات رولان بارت شعبية. وللتدليل علىٰ هذا أشير إلىٰ أنّ في مكتبتي الشخصية الافتراضية ترجمة إنكليزية للكتاب، مطبوعة في نيويورك عام 1991، ومكتوب علىٰ غلافها أنها الطبعة الخامسة والعشرون. وحقيقة أن قارئنا العربي لم تُتَحْ له فرصة التعرُّف علىٰ هذا الكتاب الممتع إلا مؤخراً، أيْ بعد نحو ستة عقود علىٰ صدور طبعته الفرنسية الأولىٰ، هي من الحقائق المؤسفة لواقعنا الثقافي العربي المزري!

وفي البداية يقدّم بارت تعريفاً، أو بشكل أدقّ مجموعة تعاريف للأسطورة؛ فهي "منظومة اتصال"، و"رسالة"، و"صيغة من صيغ الدلالة"، وكلّ "شكل" يخضع للاستعمال الجماعي، ويجرى إخضاعه لمتطلبات خطاب ما يتحوّل إلىٰ أسطورة. وهذه الأساطيرُ تأتي علىٰ هيئة تلفُّظ، أو كتابة، أو صُوَر، أو دعايات، أو رياضة، أو أنشطة ثقافية أو اجتماعية،...إلخ. وأسطورية أيّ شكل من هذه الأشكال لا تنبع من طبيعتها بل مَن حقيقة أن التاريخ، ولأسباب أيديولوجية معيّنة، اختارها ليجعل منها أسطورة. وعلىٰ هذا فالتاريخ هو الذي يحيي الأساطير وهو الذي يميتها ويقيم غيرها، فهي كالثعابين، إذا جاز لنا هذا التشبيه، قادرة دوماً علىٰ تغيير أثوابها!

غير أن التعريف الأكثر إثارة للفضول هو التعريف الذي يفتتح به بارت القسم النظري، الثاني هذا، من كتاب "أسطوريات": "الأسطورة كلام، ولكن ليس أيّ كلام". فهو، علىٰ الفور، يُنشئ في أذهاننا اشتباكاً بمقتضاها، فقد استبعد "الكلام الشفويّ" من دائرة اهتمامه، بعد أن رأى أنّ الكلام يصير "لغة"، بمجرد أن يتمّ إدراكه كعملية تواصل. وبالتالي –وبحسب تعبيره الشهير– "لا علم إلا علم اللغة".

إن استعادة بارت هنا للكلام في معرض تعريفه للأسطورة لا يُقصَدُ منه القول بأنها محض نشاط لغوي شفوي؛ فقد رأينا فيما مضىٰ كيف أنها قد تأخذ شكل كلام شفويّ، وقد تأخذ أيضاً شكل كتابة، أو صورة، أو دعاية إعلانية، أو معرض، أو مباراة، وإلىٰ آخر ما هنالك من "تمثيلات مجتمعيّة". فحديث بارت هنا عن "الكلام" يشير إلىٰ الصيغة الأمرية – الاستدعائية للأسطورة. فأساطير عصرنا صُنعت كي تنظر في عيوننا مباشرةً، ولتخاطبنا وجهاً لوجه؛ (إنها تقصدني) بحسب التوصيف الحرفي الذي استخدمه بارت. وعلىٰ هذا ففي الأسطورة "متحدّث" و"مُستمع "، إنْ غاب أحدهما بَطُلت الأسطورة، واختفت دلالتها. وعندما يصف بارت الأسطورة بأنها كلام فهو يتحدث عنها كـ"شكل"، رغم أنه –وبحسب كلامه– لا توجد في الحياة إلا "كُلّية" لا فصلَ فيها بين الشكل وبُنيته.

والآن، ولكي يكون استعراضنا للكتاب أكثر ملموسيّة فسنستشهد بحكاية، أو لوحة من اللوحات الكثيرة التي ضمها كتاب "أسطوريات" وهي صورة الجندي الفرنسي الأسود، المنشورة علىٰ غلاف أحد أعداد صحيفة باري ماتش الفرنسية: أنا عند الحلاّق –يقول رولان بارت – ويُقَدّمُ لي عددٌ من مجلة باري ماتش، وعلىٰ الغلاف شاب زنجي يلبس زيًا عسكرياً فرنسياً، ويؤدي التحية العسكرية، وعيناه مرفوعتان، ومثبّتتان، بلا شك، علىٰ طَيّ عَلَم ثلاثي الألوان (العلم الفرنسي)، هذا هو معنىٰ الصورة. ولكنني سواء كنت ساذجاً أم لا فإنني أفهم ما تعنيه الصورة لي: فهي تعني أن فرنسا إمبراطورية كبرى، وأن جميع أبنائها ودون فروق في لون البشرة يخدمون بوفاء تحت رايتها، وأنه ما من ردّ أفضل علىٰ من يُشَنِّعُ علىٰ استعمار مزعومٍ إلا هِمّة هذا الزنجي في خدمة مَنْ يُعتَقَدُ أنهم مضطهدوه.

فصورة الزنجيّ الأسود التي احتلت كامل غلاف باري ماتش ليست صورة عادية، بريئة، بل هي "أسطورة"، و"منظومة إشارات" تتضمن ثلاثة حدود: الدال، والمدلول، والدلالة. فالدالّ هنا هو الصورة وهي شكل. والمدلول: جندي أسود يؤدّي التحية العسكرية الفرنسية، أما ما ينشأ عن التحام الدال والمدلول فهو الدلالة. والدلالة هنا هي خليطٌ قصديّ للفَرْنَسَة والعَسْكَرَة.

والحديث عن دلالة الأسطورة يقود بارت إلىٰ الحديث عن الجهة، أو الجهات (البرجوازية الكبيرة، وحليفتها، أو بشكلٍ أدقّ التابعة لها؛ البرجوازية الصغيرة) التي تقف وراء عملية صنع الأساطير وترويجها. وهنا يصبح كلام بارت أيديولوجيا بامتياز، يفضح من خلاله الصحف الشعبويّة الرخيصة (الصحف الصفراء)، ووسائل الإعلام الجماهيري، المملوكة من قبل القوى المالكة لوسائل الإنتاج الاقتصادي، التي تُحرّف الخطابات البريئة، فتحرمها من حكاية قصتها الأصلية، وتجبرها علىٰ قول حكاية أخرى من شأنها إدامة "القِيَم البرجوازية". وهذا التحليل سيجعل من كتاب "أسطوريات" واحداً من أكثر كُتُب بارت سياسيّةً، وبالأخصّ متىٰ تذكّرنا أن النقاد البنيويين –وبارت منهم– لا يلتفتون في العادة إلىٰ ما هو خارج النصّ.

إذاً –وبحسب بارت– فإنّ الأساطير هي، بامتياز، صناعة برجوازية، نظراً إلىٰ أنها الطبقة الحاكمة، الممسكة بآليات ووسائل صنع الخطاب. ومن خلال سبعة أشكال بلاغية يرد فيها الدالّ الأسطوريّ (التلقيحية، والحرمان من التاريخ، والمماثلة، والحشو، واللا لائية، وتكميم النوعية، والمعارضة)، تتكيّف الأساطير البرجوازية مع التمثيل التاريخي للعالم، وترتسم وجهات النظر العامة للطبيعة الزائفة التي تُحدّد حُلُمَ العالم البرجوازي المعاصر.

وما سبق من كلام وحتىٰ الآن يخصّ بالتحليل الأساطير البرجوازية، أيْ الأسطورة "يميناً ". ولكن ماذا عن الأسطورة "يساراً"؟ ألا يُنتج اليسار (البروليتاريا، والشعوب المستعمرة، وهنا يضيف بارت في الهامش ملاحظة تقول: إن الشعوب المستعمرة في عالمنا الراهن هي التي تتحمّل اليوم وبالكامل الوضعية الأخلاقية والسياسية التي وصفها ماركس بأنها وضعية البروليتاريا) هو الآخر أساطير خاصة به يُخفي من خلالها سردية الآخر ويُظهر سرديته فحسب؟ ويجيب بارت عن هذا السؤال بالإيجاب.

فهنالك أساطير يسارية ولكنها أساطير عارضة وفجّة، واستخدامها ليس جزءا من استراتيجية ما. فلغة الإنسان المُنتِج تقولُ اللغةَ (أيْ الكلام الواجب، والموضوع موضِعه) ولا تقول عنها. ولأنها، أيْ قوى الثورة، تعلن عن نفسها أنها ثورة فلا يمكن للغتها أن تكون أسطورية، علىٰ عكس البرجوازية التي بامتناعها عن وصف نفسها بأنها برجوازية فهي لا تحكي اللغة بل تحكي عنها.

رف الكتب

دوافع الجهاد في الغرب

❏ آخر إصدارات عالم الاجتماع الفرنسي من أصول إيرانية فرهاد خسروخوار كتاب بعنوان "الجهاد الجديد في الغرب"، يحلل فيه الوضعيات المؤدية إلىٰ التطرف ثم إلىٰ الجهاد، من خلال بحوث أجراها في عدة بلدان، من أوروبا وأمريكا الشمالية إلىٰ أستراليا والمغرب العربي، ليبين أن الجهادية فعل مجتمعي شامل، يتولد من عوامل مدينية واجتماعية وسياسية وأنثروبولوجية وسيكوباتية، وأن ثمة نقاطا مشتركة بين المرشحين الغربيين للجهاد، رغم تنوعهم واختلاف هوياتهم. من هذه البحوث التي امتدت زهاء عشر سنوات، اصطفىٰ خسروخوار مائة جهادي غربي، من أهل البلاد وشباب المهاجرين، لفهم جذور كراهيتهم للغرب وعوامل مرورهم إلىٰ الفعل، وانتهىٰ إلىٰ حقيقة مرعبة وهي أن نجاح الجهاد لدى الشبان مرده إلىٰ أزمة الديمقراطيات الغربية، وهي في رأيه أزمة عميقة قد تكون لها عواقب دائمة.

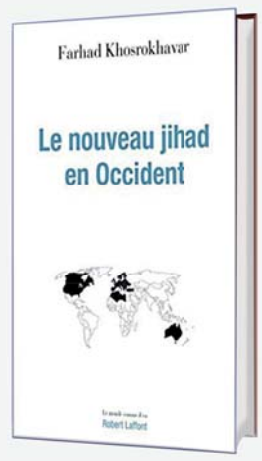

حقوق الإنسان والقانون

❏ في كتابه "القانون الطبيعي وحقوق الإنسان" يرى بيير مانان أستاذ الفلسفة السياسية بمعد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية أن مذهب حقوق الإنسان صار المرجع الشرعي الوحيد لتنظيم عالم البشر وتوجيه الحياة الاجتماعية والفردية، وأن القانون السياسي لم يعد يصلح إلا لضمان الحقوق البشرية التي تزداد اتساعا. فالقنون لم يعد يحكم، أو يوجه، أو يهدي بل يسمح فقط. لم يعد القانون يحمي حياة المؤسسات كالأمة والجامعة والأسرة بل يمنح كل فرد حقا غير مشروط في الوصول إليها، وبذلك لم تعد المؤسسة محمية ولا منظمة بقانون يواجَه به الفرد، لأن الفرد صار يتمتع بحق غير مشروط يواجه به المؤسسة. ما يعرّض الحياة البشرية إلىٰ نقد اعتباطي غير محدود يرحم الحياة الفردية والحياة الاجتماعية من كل معيار تقييمي.

النخبة العالمية والشعوب

❏ يعتقد ميشيل جوفروا في كتاب بعنوان "الطبقة العالمية السوبر ضد الشعوب" أن الغرب لم يعد يعيش في نظام ديمقراطي بل في نظام ما بعد ديمقراطي، لأن الحكومات ما عادت تحكم بل تطيع الأسواق والبنوك، وقوى المال تقود الميديا، والشعوب تفقد سيادتها وحرياتها. لماذا؟ لأن السلطة الاقتصادية والمالية شبت عن الإطار القومي منذ انهيار الاتحاد السوفييتي ورامت الحكم بدل الدول. ولأن نهاية الشيوعية حررتنا من الحرب الباردة، فنابت عنها رغبة أنكلوسكسونية عنيدة في فرض رؤيتها للعالم علىٰ الناس أجمعين، ولو بالقوة. هذه الحركة المضاعفة تجسدها طبقة جديدة تمارس الحكم في مختلف البلدان الغربية عوضا عن الحكومات، ألا وهي الطبقة السوبر، مركزها في الولايات المتحدة وفروعها ممتدة في كافة البلدان الغربية، ولا سيما الأوروبية، وهي طبقة تدافع عن مصالح الأثرياء الكبار والشركات العملاقة المعولمة، تحت ستار أيديولوجيتها: الليبرالية المتحررة والكونية، التي تطمح إلىٰ فرض مشروعها أي إقامة حكومة عالمية، تقود إلىٰ تسليع العالم واستعباد البشرية كلها.

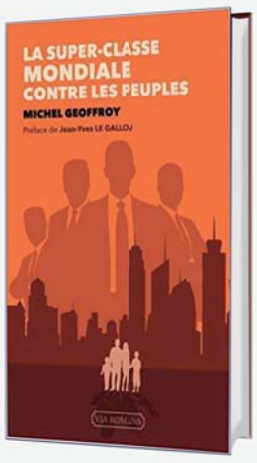

السرد بعيداً عن التجريب

في «لعبة السّعادة» لبشير مفتي

سيدي محمد بن مالك
كاتب من الجزائر

لوحة الفنان محمد راسم

❏ يؤْثر بشير مفتي، في رواية "لعبة السّعادة؛ أو الحياة القصيرة لمُراد زاهر"، أسلوباً في الكتابة ينأى عن مظاهر التّجريب الشكلية، نظيرَ تشعُّب الأحداث وتشابُكها، وتكسير خطيّة الزمن الحكائي، وتكرار المشاهد وإرجاء النهاية، وتعدُّد الرّواة والأصوات، وتهجين اللغة السرديّة، وتنوُّع خطابات الشخصيات وتنافُرها. ولكنّه، في المقابل، ينفتح على مظاهر التّجريب المضمونية، من قَبيل توظيف التّاريخ ابتغاء مُساءَلته وتشريحه، ليس من منظور المنتمي إلى ذلك التاريخ ولا إلى الفكر السّائد فيه، مثلما فعل عبدالحميد بن هدوقة والطّاهر وطّار، مثلاً، اللّذان انتقدا، روائياً، رواسب الإقطاع وتنامي الرأسمالية وسياسات السّلطة جميعاً، من منطلَق المنتمي إلى الفكر الذي يُؤسِّس للنّظام القائم، والمُعايش للتّحوُّلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافيّة التي عرفتها الجزائر. وهو انتقادٌ شابَه قليلٌ أو كثيرٌ من التلطُّف، وتلبّسه الصّدق والحساسية المُفرِطة، والحسرة والألم كذلك.

إنّ تشريح بشير مفتي لتاريخ الجزائر بعد الاستقلال تشريحٌ من الخارج، يطمح الكاتب، من خلاله، إلى أن يكون غير مُتحيِّز في رؤيته لمآل الثّورة والثّوار؛ فهو ينظر إلى الواقع من زاوية المُؤرِّخ السّردي غير المُعاصر، تاريخياً، لزمن وقوع الأحداث؛ فالكاتب من مواليد سنة 1969، والحكاية التي يُنشئها تجري بين سنتيْ 1963 و1978، كما يومئ إليه التّنبيه في مُستهل الرواية؛ أي قبل انقلاب الرّئيس هواري بومدين على الرّئيس أحمد بن بلّة، أو ما سُمّيَ في أدبيّات السّلطة آنذاك بالتّصحيح الثّوري، بسنتيْن إلى غاية وفاته. غير أنّ بشير مفتي يريد أن يمنح الانطباع بأنّه عاصَر تلك الأحداث، تخييلياً على الأقلّ، حين يعهد بالسّرد إلى الرّاوي السيرذاتي الذي يُؤلِّف بين الوجود في مقام الحدث والوجود في مقام السّرد؛ فيكون في المقام الأوّل ذاتاً ملفوظية، ويكون في المقام الثاني ذاتاً تلفُّظية. وهو ما يدعو هذا النّوع من الرّواة إلى تقديم الحكاية، بما يؤكّد وجوده المزدوج بوصفه قائماً بالعمل يُنجِز أعمالاً تعكس طبيعة العلاقات التي تربطه بالقائمين بالعمل الآخرين، وراوٍ يُنجِز عمل السرد المُسنَد إليه في الوقت عينه.

ولعلّ انصرافَ بشير مفتي إلى اعتماد السّرد السيرذاتي يحيل إلى رغبته في أن يكون أميناً في التّعبير، واقعياً، عن مرحلة مُتخَمة بالأحداث والتحوُّلات والتّحديات من تاريخ الجزائر المُعاصر، والتّصريح، تخييلياً، بأفكار الشخصيات وعواطفها، وفي أن يدفع القارئَ، على صعيد التلقّي، إلى الانخراط في العالَم المتخيَّل الذي يصطنعه. وإذا كان هذا الأمر مُمكناً ومشروعاً فيما يتعلّق بشخصية مُراد زاهر التي ينبغي لها أن تحكيَ سيرتها الذاتية، فإنّه لا يُمكن ولا يجوز لهذه الشخصية أن تقصَّ سيَر الآخَرين، من منظور السرديات التلفُّظية، على الأقلّ، التي تميِّز بين مَنْ يضطلع بسرد حكايته ومَنْ ينهض بسرد حكاية الآخر، حيث يُفترَض أن يمتلك الأوّل الحقّ والحريّة، معاً، في أن يسرد تفاصيل حياته التي لا يُدركها سواه، بينما يتوفّر الثاني على الحقّ والحريّة في أن يروي ظاهر الأحداث فقط (يُنظر: رينيه ريفارا: "لغة القصة؛ مدخلٌ إلى السرديات التلفُّظية"، ترجمة: محمّد نجيب العمامي، جامعة القصيم (السعودية)، د. ط، 2015، ص 184).

ومع ذلك، وبناءً على استراتيجية بشير مفتي الذي يروم السّرد سيرذاتياً ووجهة النّظر ثابتةً، تمرّ الأخبار، في الرّواية، عبر بؤرة سرديّة مُموقعة داخل شخصية مُراد زاهر، التي تُدرك الأحداث جميعها؛ فهذه الشّخصية لا تكتفي بسَرد ما تفعله هي وما تقوله وما تفكر فيه فحسب، بل تروي ما تفعله الشخصيّات الأخرى وما تقوله وما تفكّر فيه أيضاً. ومن ثمّ، يوجِّه المنظور السردي للشخصية- الرّاوي أحداث الحكاية كلها؛ فيجعل الأخبار تنساب بشكل تسلسلي، لا تقطع تدفّقها لاحقة أو سابقة إلا نادراً، بل إنّ تلك اللواحق والسوابق القليلة ذاتها تندمج في سرد الرّاوي السيرذاتي لحياته القصيرة.

هذه الحياة التي ستتقاطَع مع حياة خاله بن يونس الذي يُمثّل فئة الثّوار المُساندين لانقلاب الرّئيس هواري بومدين وسياساته، أولئك الذين "كانوا يرون في كلّ ما حصلوا عليه من مكاسب وامتيازات حقوقاً مشروعة، وبدؤوا ينظرون إلى أنفسهم على أنّهم ملاك الجزائر الحقيقيون، ولن يُزحزحهم أحدٌ من الأمكنة التي أخذوها بالقوّة، وأنّ على البقية أن تقبل بما يُمنَح لها من حقوق يسيرة، لكن كانوا يعرفون كيف يرضون تلك الطبقات الفقيرة والمتوسّطة. أمّا الشباب فكانوا ينظرون إلى بومدين كزعيم تقدُّمي ومُخلص حقيقيٍّ. ويجب القول إنّ الزّعيمَ كان يُعطي الشّباب سلاح التّعليم المجاني وثقة غريبة بالغد كانت ترفع في أعينهم إلى النّجوم المضيئة في عتمة الكوْن" (بشير مفتي: "لعبة السّعادة؛ أو الحياة القصيرة لمُراد زاهر"، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط. 1، 2016، ص 50، 51).

ولا يجد مُراد زاهر، أمام اشتداد هذا الوعي المُهيمِن على خاله بن يونس، سوى الإذعان لرغباته وخططه، وهو الغريبُ الذي يضطرّ إلى مغادرة القرية التي وُلد فيها إلى بيت خاله في المدينة بعد موت أمّه، والمدينيُّ الذي لا يستطيع التخلّص من عقدة القرويّ بعد موت أبيه، حيث يتحوّل، سريعاً، من ذاتٍ باحثةٍ عن السّعادة إلى ذات مُنكفِئة تستجيب لأوامر الخال ونواهيه، وكأنّ في تلك الاستجابة نفسها سعادةً لا تعدلها أو تُضاهيها السّعادة المتأتية من الحب أو الإيمان بالقدرية. إنّ السّعادة التي يريدها له خاله بن يونس هي تلك التي تنبع من مُمارسة الظّلم والقهر، وتتجمّل بالكبْر والتغطرس، وتتأسّس على الطّاعة العمياء للرّؤساء؛ فذلك سيكفل لمُراد زاهر تولّي المهام العظيمة التي سيُفوِّضها له خالهِ مستقبلاً؛ فلا بأس، والأمر كذلك، في أن يُسلِّم بنجاحه في البكالوريا مع علمه بأنّه غير حقيق به، ويرضى بالزّواج من ابنة خاله نور الحامِل من ابن شخصيةٍ قويّةٍ في السّلطة وينسبَ ابنها كمال إليه، ويتغاضى عن الرّسائل التي يكتبها لها عشيقها ميمي. وفي خضمّ ذلك كلّه، يتمسّك مُراد زاهر بحبه لناريمان، ويُلفي في ذلك الحب السّعادة المفقودة: "الحب هو الذي أزهر في النّهاية معنى الحياة، الأشياء الماديّة لا تهمّ. الحب هو الذي يجعلنا نحلم ونرقص عندما تمرّ أغنية قديمة لإديت بياف أو أزنفور على الراديو، فتتقدّم منّي وتأخذ بيدي ونبدأ في الرّقص والحلم" (الرواية، ص 136). ويُقيم علاقات معرفيّة، في رحاب الجامعة، مع ناصر الدمشقي الحالم بالثّورة العربية، ونصيرة حدّاد المتأثّرة بمصالي الحاج، وفطيمة مناصري المُؤيِّدة لفرحات عباس، وطلبة آخرين غير منتمين أيديولوجياً مثله تماماً، وينفتح على الأجانب الذين يفِدون إلى الجزائر من أجل الدّراسة، ويُعجَب برؤيتهم المُحايدة حول الثّورة.

ولكن، يبدو أنّ رحلة مُراد زاهر مع السّعادة ستكون قصيرة؛ فبعد أن وجدها في التّسليم بالقضاء والقدر إثْر موت أمّه: "كثيراً ما يشعر المرء أنّ كلّ شيءٍ مُخطَّط له ومُدبَّر من طرف علّام الغيوب، وما عليه إلّا أن يسير في طريقه إلى أن يصل إلى غايته، فذلك هو مكتوبه في الحياة، لن يحيد عنه مهما فعل، ومهما قال في نفسه، كتابٌ مكتوبٌ في لوح محفوظ لا يتغيّر فيه حرف واحد. استسلمت صَغيراً لهذه الفكرة القدرية، ولعلّ ذلك راجعٌ لحفظي لكثير من القرآن الكريم، الذي كان دون أن أستوعب الأمر جيّداً ينير دواخلي بكلماته، ويُشعِرُني براحة نفسيّة كبيرة، وماذا يستطيع أن يُريح الإنسان غير كلام الله المُقدَّس للعالمين" (الرواية، ص 31)، ففي حبه لناريمان، ثمّ في سقوطه في وحْل الشرّ، تنتهي حياته على يديْ ناريمان التي تكتشف "خيانته" لها، بعد أنْ يُخيَّل إليه أنّه هو مَنْ يقتلها، بدافع الشرّ الذي أصبح يملأ قلبه وعقله، وبإيحاء من خاله بن يونس. ويُصادف موتُه موتَ الزّعيم هواري بومدين، إيذاناً بنهاية عهد اتّسم بالقمْع السياسي والاجتماعي والنّفسي.

إنّها لعبةٌ بطلُها كلٌّ من القدرية والحب والشرّ، وضحيّتُها مُراد زاهر الذي يخلُص إلى أنّ السّعادة أكذوبة وزيْف وعبث، حيث يقول مُعترفاً: "لم تقم السّعادة أبداً على الصّراحة بل على الأكاذيب، كلّما أتقنت الكذبة صرت سعيداً. الوهم والحقيقة مثل السّعادة مُجرَّد ألاعيب اخترعها البشر ليُقنعوا أنفسَهم بأشياء ليست بالضّرورة صحيحة مائة بالمائة، ولا يوجد هذا الصّحيح مائة بالمائة إلّا في خيالاتنا، ولكن كم في خيالاتنا من حقائق هي جزء من جروحنا اليومية الكثيرة" (الرواية، ص 177).

لقد سعى بشير مفتي، في هذه الرّواية، إلى إبراز أخطاء السّلطة وفساد بعض قادتها الثّوريين في فترة حكم الرّئيس هواري بومدين، من خلال إنشاء حكاية مُراد زاهر التي جسَّدت التّفاوُت الطّبقي بين فئة استأثرت بالحكم وتنعَّمت بالامتيازات في زمن الاشتراكيّة، وفئة عانت من الخصاصة والبطالة وضيق المسْكَن. وما تولّد عن ذلك التّفاوُت من تضييع للحقوق (إسقاط اسم نايث بلقاسم من قائمة النّاجحين في البكالوريا، بدعوى أنّه ينتسب إلى جماعة متطرِّفة) وفساد للأخلاق (سلوك نور ابنة الخال بن يونس) وجور واضطهاد وتلفيق للتُّهم (اعتقال المعلّم رضوان، واغتيال ناصر الدّمشقي، واعتقال نصيرة حدّاد وفطيمة مناصري، وحظر تشكيل أحزاب مُعارضة) واستغلال لطيبة النّاس وبراءتهم، مثلَ مُراد زاهر الذي لَم يَسْلَم، هو نفسه، من جبروت تلك الفَئة، التي يُمثّلها خاله بن يونس، وقسوتها، مع إقراره بأنّه يتحمّل بعضاً من المسؤولية في ما آل إليه وضعه التّعيس.

وقد أجرى الكاتب، كما أسْلفنا، ذلك كلَّه، وغيره (طفولته في القرية، وانتقاله إلى المدينة، وصداقاته في الثانوية،...)، على لسان الرّاوي السيرذاتي الذي استحوذ على القصّ دون الشخصيات الأخرى، وقام مقامها في تتبُّع أخبارها ووصْف ملامحها وتحديد وعيها وطريقة تفكيرها، وكشْف حواراتها واختزالها، وكأنّ حكاية مُراد زاهر القصيرة لم تمهله الاستمتاع بالحياة مع مَنْ أحبّهم والاستماع إلى مَنْ صادَقهم؛ فيجعلهم يُفصحون عن أهوائهم وخواطرهم ومشاريعهم بإسهاب وتفصيل؛ حكاية تنساب في خطيَّة تحكُمها القدريةُ، وتستدعي سرداً خطيّاً لا يعرف الالتواءات والانعطافات إلّا قليلاً: "الإنسان يعيش في حياة خطيَّة غالب الوقت، ويُريدها أن تسير على نفس الخطّ، لا يحب المنعرجات، هي تُشوِّش فقط ذهنه، رؤيته لنفسه، وحقيقته المتوهّمة، وتعطيه الانطباع بالتحكُّم في النّفس" (الرواية، ص176، 177).

رف الكتب

علاقة العنف بالدين في أفريقيا

❏ العلاقة الوثيقة التي يعقدها الدين مع العنف باتت من المواضيع الممجوجة في الجدل العام، مثلما باتت أفريقيا حالة خاصة بعد أن صارت فريسة للجهادية والراديكالية والمسيحية التبشيرية، بيد أن هذه الحقيقة المزعومة تثير أسئلة أكثر مما تقدم أجوبة. عن أي عنف، وأي ديانات، بل وأي أفريقيا؟ فالحرب في أفريقيا كانت سياسية وليست دينية، وكان هدفها السيطرة على الدولة وخيراتها أكثر من السيطرة على نفوس أهلها، حتى وإن اتخذت هنا وهناك لغة الله. ومن ثم يعتقد جان فرنسوا بايار الأستاذ بمعهد الدراسات العليا العالمية والتنمية بجنيف في كتابه "العنف والدين في أفريقيا" أن تشابك العنف والدين لا ينبغي تعميمه على كل البلدان، بل ينبغي دراسته حالة بحالة، حيث يبرز عامل سوسيولوجي متحدد ويقصد بها الحركات المسلحة ذات التوجه الديني المتباين، إسلامي ومسيحي، التي تقود تمردات اجتماعية، ولكنها لا تحتل سوى مكانة هامشية في التداخلات بين الرب وقيصر. وفضل الكتاب أنه يسلط على القارة السمراء نظرة جديدة.

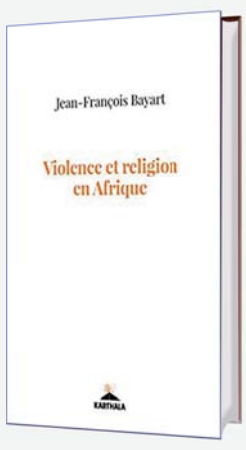

سوسيولوجيا الجهاديين الفرنسيين

❏ كان من آثار القلق الذي تولد عن الأعمال الإرهابية في فرنسا وعن سفر المئات من الشبان إلى سوريا تدفُّق التحاليل بشكل تخفي كثرتها غيابا شبه كلي لمعطيات واسعة عمن يعتنقون القضية الجهادية. هذا النقص هو الذي حرص على تداركه لوران بوريلي وفابيان كاريي أستاذا العلوم السياسية بجامعة باريس 8 في كتاب بعنوان "مصنع الراديكالية"، استنادا إلى دراسة ما يزيد على مئة وثلاثين ملفا قضائيا لقصّر متهمين بجرائم إرهاب أو يشتبه في كونهم راديكاليين، تسمح بمقاربة الطريقة التي تكيف بواسطتها الأوضاع العائلية والعلاقات مع المؤسسات والمسيرة الدراسية والصلات الاجتماعية بالأتراب تَمَلُّك الأيديولوجيا الجهادية. ويكشف البحث راديكاليات شتى، من التمرد على الأسرة أو المؤسسات إلى الانخراط لإحلال يوتوبيا سياسية ودينية. وبخلاف الكليشيهات عن "المنحرفين الإرهابيين" يمكن أن يشمل هذا الانخراط شبانا من أسر مستقرة، موهوبين في المدرسة، وبلا سوابق عدلية.

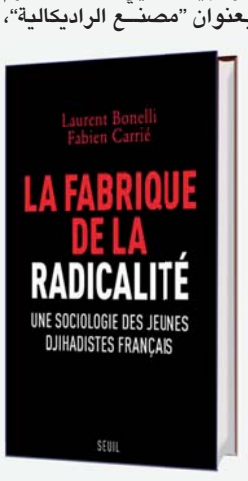

مولد الوجودية

❏ ينطلق الكتاب من لحظة حاسمة، في باريس عام 1932 حين التقى ثلاثة أصدقاء في مقهى شهير بمونبرناس. كان جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار يصغيان إلى ريمون آرون، العائد من برلين، وهو يحدثهما عن فكر جديد بأتم معنى الكلمة اكتشفه، هو الفينومينولوجيا أو علم الظواهر، ثم خاطب سارتر قائلا وهو يشير إلى كوب أمامه "انظر، يمكن أن تتحدث عن هذا الكوكتيل، وتلك فلسفة!"، من هنا، وضع سارتر نظرية فلسفية قائمة على الوجود المعيش الذي سيصبح سان جرمان دو بري رمزا له. من المقاهي إلى نوادي الجاز، ومن حلقات المثقفين إلى ليالي السهد مع بوريس فيان وجولييت غريكو، سوف تهز الوجودية باريس وتجتاح العالم، من فترة ما بعد الحرب إلى الحركات الطلابية في مايو 1968. بإلمام كبير وأسلوب طريف، تروي الإنكليزية سارا باكويل في كتابها "في المقهى الوجودي: الحرية، الكائن والكوكتيل بالمشمش" الحياة الثقافية في باريس في تلك الفترة، وتعيد إلى الأذهان تيارا مؤسسا لتاريخ الفكر في القرن الماضي، وتحمل قارئها إلى الأجواء المتأججة لباريس الوجودية.

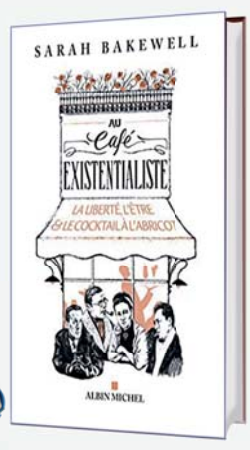

مجسّمات نحتية مبتكرة تعكس المؤثرات الفرعونية والرومانية

أوجاع المكان وأشباح التاريخ في معرض جماعي بالقاهرة

شريف الشافعي
كاتب مصري

التراث الفرعوني الروماني أخذ يهيمن على مخيلة الفنانين المصريين الجدد

❏ يتضمن المعرض الجماعي "المكان"، المقام حاليًا في القاهرة ويتواصل حتى نهاية أكتوبر للفنان السيد عبده سليم وتلامذته، مجسمات نحتية تحلق خارج الضجيج وفوق المألوف، مستدعية الموروث الشعبي البريء، ومستثيرة أوجاع البشر وآلام الكتل الصمّاء على حد السواء.

النحت، هو فن الحكايات الناضجة بالحيوية بامتياز، لأن للكتلة مقدرة على تثبيت الزمان متجمدًا كمكان، والإبقاء على المكان سائلًا كزمان، فإذا تحدثت الخامة التي صوّرتها أصابع الفنان في حالة معينة، فإنها تنطق بلسانهما معًا، وتروي سيرتهما المشتركة في عالم لا تفرّق مطرقته القاسية بين الحجارة وقلوب البشر. هكذا، يمكن أن يستوعب البرونز المصهور والنحاس المطروق براكين المشاعر الجياشة ونتوءات الروح، ليفرّ الإنسان بوجوده خارج مدارات الجذب، محتميًا بصورته البصرية الجديدة التي لا تنضب ولا تتآكل بفعل عوامل التعرية.

كم من تمثال قد نجا صاحبه من واقع الزحام والضجيج والأدخنة، ليعيش عزلته الفريدة مشحونًا بخميرته الطينية وطاقته الخلاقة وبكارته الأولى. من هذا المنطلق، يأتي معرض "المكان" للفنان السيد عبده سليم وتلامذته، مغامرة في تأسيس موضع أسمى وأنقى يليق بالكائنات والموجودات الزاهدة في مدن المعمورة المسكونة بالتلوث والدمار.

يحتوي المعرض، المنعقد في أتيليه العرب للثقافة والفنون (غاليري ضي) بالقاهرة على مدار أسبوعين، على أعمال نحتية تشكل الجانب الأكبر من الإبداعات، وهي للفنان السيد عبده سليم (66 عامًا) وعدد من الشباب، فضلًا عن بعض لوحات سليم وجدارياته، التي لا تخلو من تركيبات وبُعد ثالث.

تنتصر مجسّمات معرض "المكان" للنقاء الإنساني، حيث فضاء القرية وصفاء الريفيين ومفردات الحياة البسيطة والشعبية، وتروي أعمال الفنانين تفاصيل هذا العالم الذي تنتمي إليه، مستدعية الموروث الشفاهي والحكايات والأساطير والملائكة والشياطين وأشباح اليقظة والمنام، ومستثيرة أوجاع البشر وآلام الكتل الصمّاء.

تراهن مجسمات المعرض على تحليقها فوق المألوف بخيالات وازنة وشاردة في آن واحد، وعلى تدللها خارج ضوضاء الروح وطقوس المدينة العصرية، ملتقطة عصارة تراكيب الإنسان الداخلية، والدماء التي تجري بطلاقة وعفوية في شرايين الحياة.

اتساق الرؤية

تتسق رؤية الفنان السيد عبده سليم الفنية مع تجربته الحياتية، إذ اختار أستاذ الفنون الجميلة وصاحب جائزة الدولة ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى الإقامة في صومعته الخاصة بقرية إبشان في محافظة كفر الشيخ (130 كيلومترًا شمال القاهرة)، بعيدًا عن أجواء العاصمة الصاخبة، لتكتسي أعماله برائحة الأرض ورقرقة مياه الجداول وروح الاخضرار ونخالة أشعة الشمس الذهبية.

يحفل معين الفنان البصري بعناصر الطبيعة القادمة من القرية العذراء، شغفه الأكبر، ومشاهد الحياة اليومية، فضلًا عن الذاكرة المعرفية التي تنفتح على الموروث المرئي والحكائي، وعلى النحت الفرعوني بصفة خاصة، بأسراره ورموزه ونقوشه واستبطاناته الوجدانية اللانهائية.

ويفكك معطيات مخزونه الفني ليعيد بناءها بسلاسة وفق أطروحاته الشخصية، موزعًا الأدوار في تكويناته الزاخمة على الذات والآخرين من بشر وطيور وضفادع وقطط وأهلة وأقمار ونجوم وغيرها من أيقوناته التي يقدمها منفردة أو يدمجها معًا في عالم سحري وتخييلات رمزية وسوريالية، كما في المرأة ذات الأجنحة، والرجل ذي الأرجل المتعددة.

تحفل أعمال سليم النحتية والتصويرية بحس درامي وقدرة على استلهام أحاديث المجالس الريفية وحكايات القرويين وأساطيرهم المروية في صياغات عصرية مبتكرة، فيها ما فيها من الدفء العائلي، والعلاقات الحميمة بين البشر والطيور والحيوانات والكائنات المحيطة، وفيها كذلك وجوه أخرى من الصراعات والنزاعات واستعمال الأسلحة البدائية والعصرية.

تأتي أشكال عبده سليم انسيابية مرنة، وكأنما تستجيب الكتل الصعبة للكلمات التي تعبر عنها أو تنطق بها، فقد تنحني حزنًا أو تتمايل طربًا أو تتراقص بهجة، وتنفلت من نسيج الخامة أضواء كتلك التي تسكن الخلايا الحية وتمنحها إشراقها الداخلي وفلسفتها البصرية.

تجارب شابة

في فلك "المكان" أيضًا، تدور التجارب النحتية الشابة التي يتضمنها معرض غاليري ضي، لمجموعة من الفنانين، منهم: شادي البنا، رمضان عبدالمعتمد، إبراهيم السيد، وائل الشافعي، عبدالرحمن عبده، زينب صبحي، ماجد ماهر، صلاح شعبان، إيمان سعد. وتعني ثيمة المكان لدى فناني المعرض استحواذ الكتلة على الفضاء، إلى حد السيطرة عليه، وامتلاكه، وتثبيته في موضع ملائم. تتنوع خامات الأعمال بين النحاس والبرونز والحجارة والخشب والجبس، ويقدم الفنانون البورتريه متحللًا من التزامه بالتفاصيل الكاملة للوجه الإنساني، فقد تغيب العينان في واقع يفتقد البصر والبصيرة، وقد ينوب قناع عن الرأس بالكامل، كما قد يظهر الجسم البشري دون أطراف، وقد يجري تركيب هذه الأطراف المبتورة معًا في تشكيلات مستقلة.

هذا التعاطي المغاير مع الإنسان، وكأنه مجموعة من "القطع" القابلة للفك والتركيب، يمتد أيضًا إلى تفاعل الفنانين الشباب مع الكائنات الأخرى من طيور وحيوانات برية وبحرية، فالموجودات كلها عناصر ومفردات تستعملها الأصابع مكتملة أو مجتزأة في لعبة الفن الواسعة، مكسبة إياها طاقة ومقدرة على الحركة والنطق والتفاعل مع المتلقي.

يبدو معرض "المكان"، محاولة جريئة مقتحمة لخلق خرائط بديلة للبشر والكائنات، في جموحهم وجنونهم وانعزالهم، أملًا في أن تتجاوز الموجودات حيزها الحقيقي الضيق ومواضعاتها الكونية غير المواتية، ليصير الواقع بأسره أسطورة محببة.

الجرأة الفنية والابتكار الجمالي ميزا غالبية أعمال المعرض

سينما الموبايل

تجربة سينمائية جديدة ووعي جديد في ظل فوضوية الحياة في مصر

إيهاب سلطان
كاتب من مصر

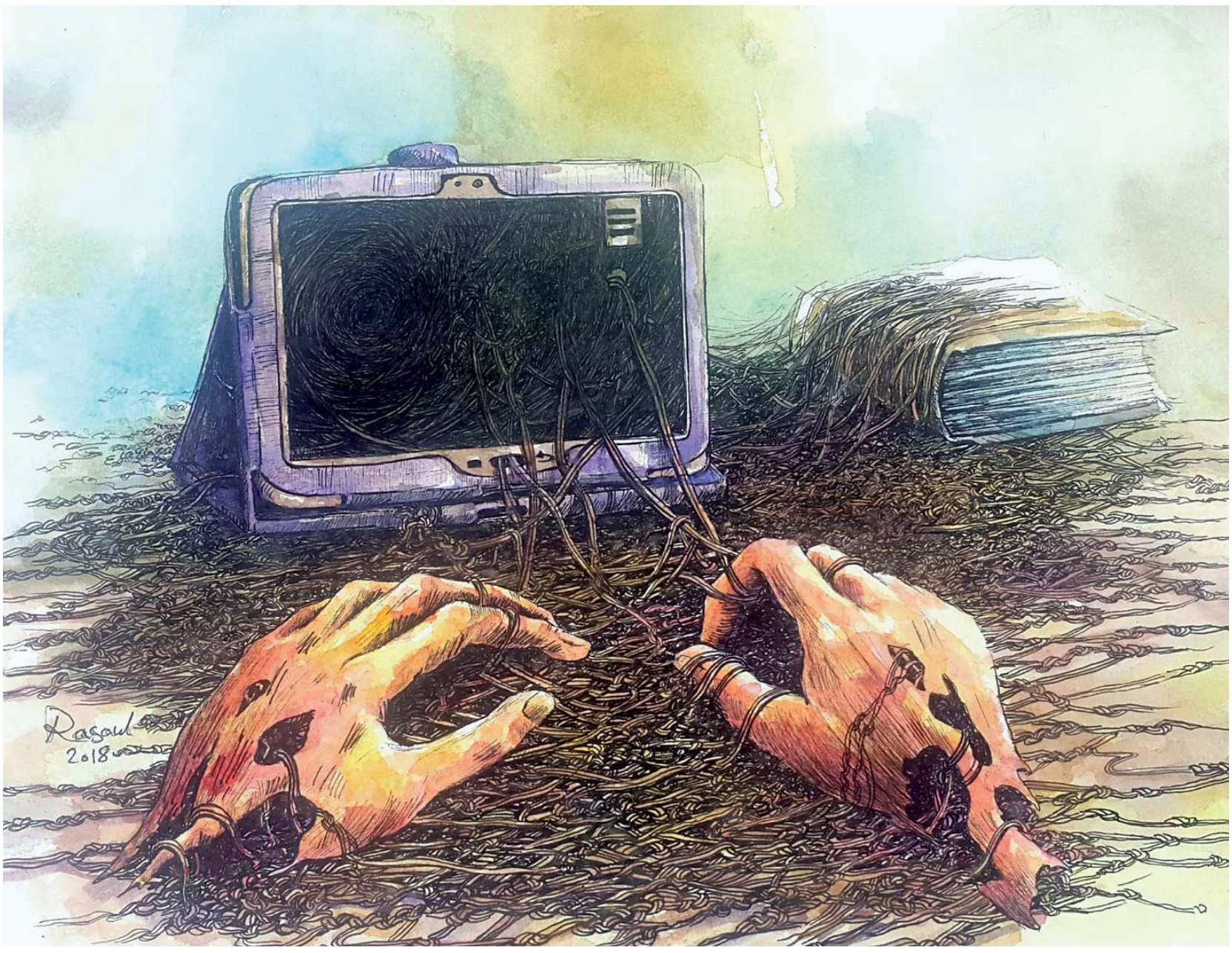

لوحة للفنان محمد عبد الرسول

❏ الهاتف المحمول "الموبايل" إحدى أدوات التكنولوجيا التي غيّرت حياتنا، وأداة فعالة في إعادة تشكيل ثقافة المجتمع بعد ربطه بالشبكة العنكبوتية، حيث أصبح من أساسيات الحياة والأعمال، فمع دخول الهاتف الذكي في عام 2007 وما رافقه من ظهور تطبيقات لا سيما شبكات التواصل الاجتماعي تغيّرت حياة المجتمعات.

ولا يمكن للكثير من الناس تخيّل الحياة دون الهاتف المحمول بسبب التأثير العميق الذي أحدثه في حياتهم، وبدأ يعيد تشكيل ثقافة المجتمعات في إطار التقارب المزاجي لشريحة من المجتمع، وتجلت تداعياتها في اللهجة والأسلوب ومستوى الكلام والتزوّد بالمعارف. فهو الصحيفة والكتاب والصديق والحبيب والفن الجميل والإبداع الراقي.

حاصرت ثقافة "الموبايل" المصريين مثل باقي الشعوب العربية في كافة جوانب الحياة، وأخذت في الاتساع حتى شكل (الموبايل) ثقافة يألفها ويفهمها الجميع تبدأ بالكلام وتنتهي بالصور والفيديوهات، وبات لكل مواطن إذاعته وشاشته الخاصة التي يتواصل بها مع الآخرين ويعبر من خلالها عن آرائه وأيديولوجيته في الشأن العام والخاص سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو السلوكي وحتى الديني.

عشاق السينما

ولدت من رحم ثقافة الموبايل وشبكة المعارف المتاحة عبر التكنولوجيا صناعة الفيديوهات التي اتخذها الشباب وسيلة متطورة لعرض فنونهم وإبداعاتهم عبر موقع يوتيوب ووسائل التواصل الاجتماعي على غرار فيسبوك وتويتر وغيرهما.

وجذبت ثقافة الموبايل جيلا جديدا من عشاق السينما، حيث تأثروا بها، واعتبروها الباب الذهبي لإنتاج أفلام سينمائية تعبّر عنهم بعيدا عن الميزانيات الضخمة ومقص الرقيب، في ظل تربّص الرقابة الحكومية بأعمال الفنانين سواء كانت في مجال السينما أو الدراما أو الغناء والحفلات.

وارتفعت معدلات إنتاج الأفلام السينمائية عبر الموبايل بعد انطلاق النسخة الأولى من مهرجان القاهرة الدولي لسينما الموبايل في نوفمبر عام 2015 رافعا شعار "سينما مناهضة العنف ضد المرأة". وتميّزت غالبية الأفلام المشاركة بالشجاعة والجرأة في التناول ما يبشر بجيل جديد من السينمائيين، كما جذب المهرجان الكثير من الشباب من مختلف المحافظات الباحثين عن عرض رسمي لأعمالهم، والحالمين بتسليط الضوء على أعمالهم وحصد الجوائز النقدية رغم ضآلتها، إلا أن أكثرهم كان يحلم بالفوز بجوائز المعدات السينمائية ليضمنوا الاستدامة لأعمالهم في ظل تواضع إمكانياتهم.

ويبدو أن النسخة الأولى من مهرجان القاهرة الدولي لسينما الموبايل رغم تواضعها وضعت الحكومة المصرية في مأزق، فلم تعترف به رسميا وترعاه ولكنها لم تنكره، واكتفت بحضور وزير الثقافة وقتها الكاتب الصحافي حلمي النمنم حفل توزيع الجوائز دون الإعلان عن رعايته أو استمراره تحت عباءة الوزارة.

ولدت من رحم ثقافة الموبايل وشبكة المعارف المتاحة عبر التكنولوجيا صناعة الفيديوهات التي اتخذها الشباب وسيلة متطورة لعرض فنونهم وإبداعاتهم عبر موقع يوتيوب ووسائل التواصل الاجتماعي على غرار فيسبوك وتويتر وغيرهما

ويصعب على الكثير من الشباب في مصر شراء موبايل بكاميرا عالية الجودة بسبب ارتفاع سعره، خاصة تلك الأنواع التي تمكنهم من صناعة محتوى فيديو بتقنية "4K" التي تقارب إلى حد كبير كاميرات صناعة شريط السينما، إلا أنهم يمارسون هوايتهم بكاميرات أقل جودة، ويصنعون فيديوهات بتقنية "HD"، حيث يقول محمد عبدالباسط، أحد الشباب المشاركين في مهرجان سينما الموبايل، بعد تسليمه شريط الفيديو لإدارة المهرجان "تكفيني صناعة فيديو عالي الإحساس، وحتما سيأتي اليوم لصناعة فيديو يجمع بين الإحساس والجودة".

ويكمل عبدالباسط حديثه "تحملت مشقة الحضور من إحدى القرى التابعة لمحافظة الدقهلية للمنافسة بفيديو مدته ثلاث دقائق يعبّر عن العنف ضد المرأة، وأنا أطمع في الفوز بأدوات تصوير، وليس بالجائزة المالية".

وإيمانا بأهمية الموبايل وشبكة المعارف التكنولوجية، وقوتها في جذب وتطوير وتعزيز المواهب الشابة المحلية والإقليمية والعالمية في فنون السينما، أطلقت مؤسسة مهرجان القاهرة الدولي لسينما الموبايل النسخة الثانية منه في 25 نوفمبر إلى 10 ديسمبر عام 2017 برعاية مركز وسائل الاتصال الملائمة من أجل التنمية، وهيئة الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة "Women UN"، وبصورة أكثر تنظيما ووفق لائحة وقواعد ومنافسة على جائزتين، الأولى: الشباب المبدع (من عمر 10 إلى 17 عاما، والثانية: المهنيين).

وخلقت ثقافة الموبايل من خلال قطاع السينما، كما تؤكد إدارة المهرجان "فرصا للمهنيين العاملين في وسائل الإعلام والفنون وصناعة إنتاج الفيلم في مصر. إضافة إلى الدعم في إحداث تغيير وإعلاء قيمة الفن بشكل إيجابي في المجتمعات اليوم، من خلال إعطاء الشباب الفرصة للتعبير عن آرائهم عبر الوسائل السينمائية المناسبة. وذلك إيمانا بأن السينما هي أداة هامة في المجتمعات، حيث تسمح تلك الأداة بتجاوز الأمية لسهولة استيعابها وتعزيز الإبداع والانفتاح والتغيير الإيجابي".

وساهمت أفلام الموبايل في تقارب مجموعات كبيرة من العاشقين لفن السينما، حيث وراء كل عرض سينمائي كما تؤكد عزة كامل، المسؤولة عن المهرجان الدولي لسينما الموبايل، مجموعة كبيرة من العاملين شكلوا ورشا تدريبية حتى انتهوا من أفلامهم التي لا يتجاوز الكثير منها مدته الدقائق. والطريف أن هذه المجموعات لم تتفق في ما بينها على تسمية المخرج أو المصور أو الممثل أو المونتير بل تقاسمت الأدوار بأريحية شديدة حتى أخرجت أفلامها.

وتوضح كامل أن فكرة المهرجان تعتمد على إنتاج أفلام بتكلفة زهيدة ومؤثرة رغم مدتها القصيرة، مشيرة إلى أن الأعداد التي تقدّمت بأفلامها للمشاركة في المهرجان فاقت كل التوقعات، وأن الفئة العمرية التي شاركت في الدورة الأولى للمهرجان كانت من 19 إلى 55 سنة، والدورة الثانية كانت من 20 إلى 45 سنة، وأن إدارة المهرجان لا تزال تتلقى أعمالا رغم انتهاء المهرجان.

وحصد فيلم "أحمر" للمخرج مازن لطفي وبطولة رضوى حجازي، وحسام قنديل، الجائزة الذهبية للمهرجان وقيمتها عشرة آلاف جنيه (550 دولارا تقريبا)، والجائزة الفضية وقيمتها ثمانية آلاف جنيه (450 دولارا تقريبا) أسندت لفيلم "نور مطفي" من إخراج خالد خطاب، والجائزة البرونزية وقيمتها خمسة آلاف جنيه (280 دولارا تقريبا) أسندت لفيلم "غريبة عن المدينة" من إخراج عمرو موسى.

تشترط كامل ألا يحمل الفيلم المشارك في المهرجان رسالة عنصرية أو تحقيرا من المرأة أو يقلل من شأنها وألا يواجه العنف بالعنف، والاختيار يتم وفقا لمعايير تقنية وفنية مع وجود رسالة عالية ومضمون مؤثر. كما أنها تفكر جدّيا في توسيع دائرة المشاركين في مهرجان سينما الموبايل في دورته المقبلة لجذب أعداد أكبر من غير المصريين، حيث تأمل بأن يتم نشر فكرة المهرجان على المستوى الإقليمي والدولي وأن يزداد الاهتمام من جانب الشباب بمناهضة العنف ضد المرأة عن طريق استخدام الموبايل كوسيلة.

مفردات لغوية جديدة

بعيدا عن فن السينما، ساهم الموبايل كأداة فعالة في أيدي المصريين في إضافة مفردات جديدة للهجة المصرية من بينها على سبيل المثال وليس الحصر "فصلتني" كناية عن الانفصال عن الحالة التي كان عليها، "اشحن على الطاير"، "اشحن لي" كناية عن إضافة رصيد للموبايل، "الشبكة مشغولة" كناية عن انقطاع الاتصال بشبكة الموبايل، "الموبايل فاصل شحن"، "رن لي شكرا"، "رسايل ورنات بقى"، "اشحن على النوتة"، "شفرتو" كناية عن انقطاع الاتصال مع شخص ما، "مسيدج كول" كناية عن إرسال رسالة لموبايل آخر، وغيرها من المفردات التي باتت معروفة للجميع.

ولا يكاد يخلو تطبيق للتواصل الاجتماعي لمستخدمي أندرويد من استخدام للرموز التعبيرية "Emojis" ورموز المشاعر "Emoticon" الثابتة منها والمتحركة، والتي أصبحت لغة عالمية متعارف عليها (ثقافة تعبيرية دون كتابة نصوص) تمكن المستخدمين من التواصل مع بعضهم البعض أو مع أي شخص حول العالم مع اختلاف لغته ودون الحاجة إلى قواميس اللغات أو توحيد للصياغات.

وأبدع المستخدمون في التعبير عبر الرسائل القصيرة "SMS" والتي لها عدد معين من الأحرف سواء العربية (70 حرفا) أو الإنكليزية (160 حرفا) باختصارات عدة لتقليل عدد الأحرف قدر الإمكان وذلك لتقليل تكلفة الإرسال عبر الشبكات، حيث أنه في حالة زيادة العدد عن الحد الأقصى تحسب رسالتين أو أكثر.

لغة الفرانكو أربيك

لغة الفرانكو أربيك هي لغة جديدة للكتابة بين مستخدمي الموبايل، خاصة بين الشباب العرب من خلال أبجدية مستحدثة غير رسمية، وتنطق هذه اللغة مثل العربية تماما إلا أن الأحرف المستخدمة في الكتابة هي الحروف والأرقام اللاتينية بطريقة تشبه الشيفرة. وتعتبر الأوسع انتشارا في الكتابة عبر رسائل الموبايل لأن الأبجدية اللاتينية تتيح حروفا أكثر في الرسالة الواحدة عنها في نظيرتها العربية، مما دفع البعض الذين لا يتقنون الإنكليزية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية ولكن بصيغة عربية. وسرعان ما انتشرت لغة الفرانكو أربيك بين المستخدمين لتوفير أكبر كمّ من الأحرف، كما فضلها البعض ممن اعتاد على استخدام الأبجدية اللاتينية. بالإضافة إلى أنها تحل مشكلة عدم دعم بعض أجهزة الموبايل للأبجدية العربية.

وأصبح للغة الفرانكو أربيك قاموسها الخاص، بأبجدياتها التي انتشرت بين المستخدمين وأصبح متعارف عليها من بينها على سبيل المثال لا الحصر 6=ط، 4=ش، 7=ح، 5=خ، 8=ق، 9=ص، أ a=، ب b=، ت t=، ج j=.. إلخ. وتكتب عادة باللهجة الدارجة وليس باللغة العربية الفصحى، ويضاف إلى هذه الطريقة الكثير من الكلمات البسيطة والاختصارات المتعارف عليها في اللاتيني الإنكليزي.

ثقافة «أنا أعمل عند الله»

في ظني أن الموبايل ساعد على الدعوة الرقمية إلى الدين والثقافة الدينية في آن واحد، حيث انتشر بين مستخدمي الموبايل من خلال بعض المتطوعين والجماعات الدينية شعار "أنا أعمل عند الله" يتضمن رسائل دينية تحتوي النصوص القرآنية الثابتة والأحاديث النبوية الشريفة، وأخرى تتضمن الثقافة الدينية باختلاف التفسيرات والفهم الخاص لنصوص الدين عبر تطبيقات لقراءة القرآن وأخرى للاستماع إليه، وكذلك الأحاديث النبوية والأذكار، بالإضافة إلى إنتاج فيديوهات للثقافة الدينية بمؤثرات سمعية وبصرية وتتوافق مع التفسير الخاص للنص والتشريع والعبادات من جهة ومع العادات والتقاليد من جهة أخرى.

وتطور الأمر إلى استخدام آيات القرآن الكريم أو الأذن على هيئة نغمات لهواتف المستخدمين جهلا منهم بقدسية هذه الآيات ومكانتها الخاصة رغم صدور فتوى من دار الإفتاء المصرية بتقنين نشر الدين من خلال الموبايل استنادا إلى عظمة وقدسية القرآن وأن للمصحف الشريف عظمته وجلاله، وله آداب عامة لا بد من اتباعها عند قراءته أو حتى وضعه على الهاتف المحمول، كما أنه ليس من اللائق جعل كلمات الله سبحانه وتعالى مكان رهن هاتف لمدى قدسية هذه الكلمات وما ورد في كتاب الله عزّ وجل.

وأكدت دار الإفتاء المصرية أنه لا مانع من استخدام الأناشيد الدينية أو المديح النبوي والتي قد تناسب قصر وقت الرنة (جرس التنبيه بالمكالمة) ولا يجب أن يتم العبث بكلام الله سبحانه وتعالى وقدسية كتابه.

ورغم الإيجابيات الكثيرة التي صنعها الموبايل في حياة المصريين إلا أنه دفع بالكثير منهم إلى الحياة الفوضوية بسبب سوء استخدامه، خاصة أنه المتهم الأول في الحوادث المرورية بسبب استعماله أثناء القيادة، والمزعج دائما في الأماكن العامة التي يتطلب فيها مراعاة الهدوء التام، مثل قاعات المحاضرات، المساجد، المستشفيات والاجتماعات، والمناسبات الخاصة.

ينشر المقال بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

سياحة الأكواخ في سيناء تجذب السياح إلى مصر

منطقة «بلو لاجون».. معسكرات تعود بزائريها إلى الحياة البدائية

يبحث الكثير من السياح عن أفضل الوجهات السياحية التي توفر لهم الهروب من صخب الحياة وروتينها إلى الاستمتاع بالهدوء والسكينة في أحضان الطبيعة، وقد وجدت شركات سياحية مصرية في دعم إنشاء معسكرات من الأكواخ في بعض المحميات الطبيعية الواقعة في محافظة جنوب سيناء، فرصة لاستقطاب المزيد من الباحثين عن تجربة الإقامة في منتجعات بدائية، لتحقق انتعاشة، وتوفر في الوقت نفسه مكانا يقدم عزلة تامة عن العالم الخارجي للراغبين في ذلك.

محمود زكي
كاتب مصري

❑ **جنوب سيناء (مصر)** – لم يكن البحار سمير القرش وصديقه أحمد فتحي يتوقعان عندما شيدا أول معسكر أو "كامب" بدائي على شواطئ محمية "بلو لاجون" في جنوب سيناء، قبل عشرين عاما، أن يتحول حلمهم بانتشار منتجعات سياحية في مصر تعود بالسائح إلى الطبيعة، إلى مشروع كبير تشجعه الحكومة ويستقطب الآلاف من السياح للبحث عن حياة بسيطة في تلك البقعة البحرية النائية.

تمتلك مصر العديد من البقاع البحرية المميزة والفريدة على البحر الأحمر تحديدا، بداية من مدن شرم الشيخ ودهب ونويبع ومرورا بالغردقة ومرسى علم، لكن يبقى مشهد تقديم حياة هادئة بعيدة عن التمدن، والوتيرة التكنولوجية السريعة، والتلوث وأبواق السيارات، شكلا جديدا على السياحة التي تحولت فيها القرى النائية إلى أحد العناصر الحديثة التي تدعمها الحكومة في مصر لجذب المزيد من السياح.

وانتشرت في السنوات الأخيرة العشرات من المعسكرات التي تريد العودة إلى الحياة البدائية في سيناء، والواحات البحرية وسيوة في الصحراء الغربية، والتي تحتوي جميعها على أكواخ خشبية ملونة، ومعسكرات خالصة من سعف النخيل.

وقال القرش، بحار متقاعد ومالك لمعسكر سياحي في منطقة بلو لاجون، إن تجربة حياة الإنسان القديم باتت متعة للكثير من السياح الباحثين عن الاستجمام بعيدا عن حياتهم المزدحمة، والتي تؤدي إلى الكثير من التوتر والإرهاق الذهني والجسدي، وأصبح الهروب إلى الانعزال التام أمرا مطلوبا، لكنه مسألة صعبة.

> بلو لاجون منطقة تمتلك طابعا فريدا ومميزا عن بقية الشواطئ المطلة على البحر الأحمر، نظرا إلى طبيعتها الغريبة التي جعلتها أشبه بحمام سباحة عملاق

وأضاف القرش لـ"العرب" أن مشروعات المعسكرات البدائية في المحميات المصرية أضحت نموذجا فريدا لتحقيق تلك المعادلة الصعبة، فداخل المعسكرات النائية لا يمكن التواصل مع الخارج، فقط الاسترخاء والاستمتاع بالطبيعة البحرية والجبلية الساحرة التي لا مثيل لها عبر رحلة بسيطة، ولكنها مليئة بالتسلية والمفاجآت.

الاستمتاع بالخصوصية والمنظر الحسن

معسكرات تمنح السائح تجربة فريدة

واختارت "العرب" تلك الأوقات من السنة، وتحديدا فصل الخريف الذي يعد الفترة الأمثل للزيارة، ورافقت أحد الأفواج السياحية أو القوافل، كما يحب أن يسميها القرش، في رحلتها إلى أحد معسكرات بلو لاجون.

لا يمكن الوصول إلى المنطقة النائية إلا عن طريق وسيلتين، إما عربات الدفع الرباعي التي تخترق صحراء سيناء ودروبها أو عن طريق البحر، وهي الوسيلة المفضلة والآمنة للسياح.

وتبدأ رحلة القوافل في الصباح الباكر من كل يوم بميناء مدينة دهب الساحلية في جنوب سيناء، التي تبعد عن منطقة بلو لاجون نحو 20 كيلومترا، ويستقل السياح مركبا صغيرا يأخذ نحو 15 دقيقة للوصول إلى محمية "أبوجالوم" وتقبع فيها بلو لاجون.

وعند الوصول إلى المحمية الطبيعية على السياح التحرك لجهتهم الأخيرة عبر ركوب الجمال، وسيلة المواصلات الأساسية في المحمية، ويمضون رحلة قصيرة ممتعة بموازاة البحر للوصول إلى بلو لاجون.

وتمتلك هذه المنطقة طابعا فريدا ومميزا عن بقية الشواطئ المطلة على البحر الأحمر، نظرا إلى طبيعتها الغريبة التي جعلتها أشبه بحمام سباحة عملاق له لون أزرق براق، وتحيطه الجبال من كل ركن، ويمتاز بانسيابية المياه، والتي جعلت ممارسة السباحة والألعاب المائية في تلك المنطقة اختيارا مثاليا.

ولا توجد في المعسكرات المتراصة في خليج بلو لاجون سوى أكواخ متعددة، بعضها يمتلك مساحة أكبر ويسمح لشخصين بالإقامة فيه، وأخرى تكفي لشخص واحد.

وفي تلك المنطقة الطبيعية لا يفضل استحضار أي شيء يقترن بالتكنولوجيا أو الحداثة، لأنه سيكون من المستحيل استخدامه، فلا توجد كهرباء أو موجات لشبكات الهواتف المحمولة أو الإنترنت.

وتضاء المعسكرات ليلا بمصابيح بدائية تعمل بالوقود، تصاحبها قداحة نارية كبيرة تشتعل بعيدان من الخشب أمام البحر، ويلتف حولها كل زوار المنطقة، وتقدم مجموعة من العاملين تطلق عليها تسمية "الهلاسون"، عرضا غنائيا بدويا يشترك فيه كل الجالسين بشكل دائري حول النار المشتعلة، وأثناء الاحتفالات البسيطة يختلس البعض نظرات طويلة للنجوم المتلألئة التي تملأ السماء الصافية.

ويبدو كل شيء بدائيا في تلك المعسكرات، حتى أدوات طهي الطعام التي يحضرها أصحاب المعسكرات من مدينة دهب، إذ يقومون بطهي الأكل في أوانٍ فخارية، كما يتم ذلك على الفحم والخشب بدل المواقد، ثم يتناوله الحاضرون في أطباق خشبية.

وفي حين لا تحتوي تلك المعسكرات على حمامات عصرية، لكنها تقدم نموذجا صغيرا لحمام شديد البدائية ومعه صحن كبير من المياه يُستخدم للاستحمام والتنظيف.

ويهتم الهلاسون بإيقاظ السياح عند وقت الشروق، فالنوم في تلك المعسكرات يكون في وقت مبكر، والاستيقاظ أيضا، وهذا من الشروط الأساسية في هذه الأماكن. وتبدو الشمس عند سطوعها من خلف الجبال المحيطة مكتسية برداء أحمر وردي اختلط بسواد مهيب، وتتسرب أشعة النور ببطء حتى تملأ الخليج كله بإضاءة خافتة ما زالت لم تشتد، لتعكس أشعتها على المياه شبه الراكدة، ويعد مشهد الشروق أشبه بلوحة فنية بديعة لأعظم رسامي الطبيعة، كارفيجيو وهنري مونيه.

أكواخ من سعف النخيل تنعش الأجواء الشاطئية

وينقسم السياح خلال اليوم إلى فرق، بعضهم يختار الجلوس في هدوء متأملا درجات ألوان البحر المتغيرة، ويمارس رياضة اليوغا، وآخرون يختارون الاستمتاع بممارسة رياضات الغوص والطفو لمشاهدة الشعب المرجانية والأسماك الملونة.

وتشتهر منطقة بلو لاجون بالكهوف المائية التي يمتد بعضها إلى أكثر من 100 متر، وتحتوي على العديد من الحيوانات البحرية النادرة، فيما يقوم البعض باستكشاف الجبال المحيطة والصحراء البيضاء عبر ركوب الجمال.

ويجلس السياح خلال أوقات الغروب يراقبون المشهد الأخير وسط الاستمتاع بنسيم الهواء البارد، وتتجول فتيات صغيرات يعشن وسط الصحراء، ليقمن ببيع سلاسل وخواتم صنعت يدويا من صدف البحر الملون، وبقايا الشعب القديمة لتكون ذكرى مقترنة بتجربة الحياة البدائية الجذابة.

وبلو لاجون محمية طبيعية، لذلك لا يسمح بدخول مظاهر التمدن إلى المكان، وتتم الاستعانة بكل الأدوات الصحية غير الملوثة للبيئة، ما يضفي ملمسا جديدا على الحياة البدائية المقصودة في المكان، ولا توجد وسيلة للتواصل مع العالم الخارجي إلا عن طريق هاتف محمول واحد يمتلكه مدير المعسكر ويعمل بنظام "جي.بي.أس" للحالات الحرجة.

ويختار البعض البقاء ليوم واحد، وآخرون لثلاثة أيام، حسب قدرة الشخص على العيش في انعزال عن العالم، لكن في النهاية تتميز المنطقة برخص أسعارها مقارنة بالمدن المحيطة، فسعر إيجار الكوخ في اليوم الواحد حوالي 20 دولارا.

وجهات شهر ديسمبر المثالية

❑ **الإمارات:** يتزامن شهر ديسمبر مع انطلاق فعاليات العديد من المناسبات الهامة في الإمارات من بينها العيد الوطني ومهرجان دبي للتسوق واحتفالات رأس السنة.

كما أن ديسمبر هو أفضل الشهور لزيارة الإمارات، حيث تنخفض درجات الحرارة، مما ينعش فرص التمتع بالشواطئ.

❑ **جزر المالديف:** تعد جزر المالديف وجهة مثالية لقضاء العطلات للباحثين عن الطقس الحار في الشتاء، حيث تمتاز بجو مشمس خلال الفترة الممتدة من ديسمبر إلى أبريل.

كما أنها تستقطب المزيد من الزوار في هذه الفترة بالذات بفضل انخفاض أسعار الرحلات.

❑ **جزر سيشل:** يعتبر نوفمبر أنسب شهر لزيارة جزر سيشل، وذلك لانخفاض أسعار تذاكر السفر وحجوزات الفنادق.

كما يمكن للراغبين في عدم تفويت أجواء عطلة أعياد الميلاد ورأس السنة أن يزوروها أواخر نوفمبر والبقاء حتى ديسمبر وبذلك يتلافون زحمة الحجوزات.

❑ **فرنسا:** يعد شهر ديسمبر من أجمل الشهور لزيارة العاصمة الفرنسية باريس؛ فبالرغم من برودة الطقس، إلا أن أجواء الاحتفال بأعياد الميلاد واستقبال السنة الجديدة أمام برج إيفل الشهير لا تفوَّت.

كما أن تكاليف السفر إلى فرنسا في هذا الشهر تمتاز بالانخفاض.

❑ **ماليزيا:** يعتبر شهر ديسمبر من أنسب الشهور لزيارة ماليزيا التي تمتاز بمناخ استوائي حار، حيث تصبح درجات الحرارة أكثر لطفا واعتدالا.

وتمتاز تكلفة المعيشة والمواصلات في ماليزيا بالانخفاض، إلى جانب أنها مناسبة لقضاء عطلات العائلات وشهر العسل.

نعمة التكنولوجيا في قبضة الدول والقراصنة

الأمن السيبراني ضرورة ملحة لمقاومة الهجمات الإلكترونية

تعتمد الدول والشركات في العصر الحديث على الأنظمة المؤتمتة وعلى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات المتصلة بالإنترنت، لما لها من محاسن على الاقتصاد وتسيير الشؤون الإدارية، لكن هذا الاعتماد المتنامي ترافقه مجموعة من المخاطر والتدخلات السلبية التي تهدد وبشكل أساسي الأنظمة الإلكترونية والمجتمع المعلوماتي والبنية التحتية للاتصالات، فقد أصبحت الهجمات الإلكترونية حربا غير معلنة بين الدول لتحقيق أهدافها ولممارسة ضغوطها ولإلحاق أكبر الخسائر الممكنة بخصومها، ولذا لا بد من التصدي لهذه الحروب الحديثة بكل الوسائل والإمكانيات المتاحة.

ضرورة تعزيز مستويات التعاون وتبادل المعلومات

❏ **باريس** – امتنعت الولايات المتحدة الأميركية، إلى جانب روسيا والصين وإيران وأستراليا وكوريا الشمالية، عن التوقيع على اتفاقية الأمن السيبراني العالمية التي أعلن عنها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في منتدى حوكمة الإنترنت السنوي لليونسكو في منتدى باريس للسلام، وذلك بالرغم من موافقة 51 دولة أخرى، بما في ذلك جميع أعضاء الاتحاد الأوروبي، حيث وقعت الاتفاقية من قبل أكثر من 51 دولة و224 شركة و92 منظمة غير هادفة للربح وجامعة وجماعات المناصرة.

وعندما نقول الأمن السيبراني، فنحن نتحدث عن الأمن الإلكتروني وكل ما يتعلق بالإلكترونيات في مؤسسات الدولة والشركات وحتى المنازل، فقد يكون أمنُ سيّارة أو غسّالة في بهو المنزل أو حتى أمنُ موجات محطة الراديو أو التلفزيون اللذين نتابع من خلالهما برامجنا المفضلة.

> الحرب السيبرانية أصبحت جزءا لا يتجزأ من التكتيكات الحديثة للحروب بين الدول والهجمات العابرة للحدود

والإلكترونيات لها أنواعٌ مختلفة، وهذا يقتضي بالتأكيد أن تكون طرق تأمين هذه الإلكترونيات مختلفة. فأمنُ الشبكات اللاسلكية مختلف عن أمن نظم المعلومات والذي بدوره يختلف عن أمن النظم والذي يختلف عن أمن إنترنت الأشياء.

وفي عصرنا الحالي أصبح للأمن السيبراني الدور الأكبر في الدفاع عن الكمبيوترات، الخوادم، الهواتف الذكية، الأنظمة الإلكترونية، الشبكات والمعلومات من الاعتداءات والهجمات السيبرانية التي تتخذ أشكالا عديدة مثل البرمجيات الخبيثة والتصيد وهجمات التطبيقات وهجمات الفدية، وهي تستهدف ممتلكات سياسية وعسكرية أو البنية التحتية للدولة في شكلها الأكثر ضررا، كما تستهدف الأفراد والشركات غالبا للحصول على معلومات سرية أو لدافع مادي. وتدرك الدول والشركات أن القدرة على امتلاك الثغرات أصبحت أكثر سهولة عما كانت عليه في السابق، بسبب وجود أشخاص مهتمين ومتخصصين في هذا المجال، بحيث بات بإمكان أي كان أن يصبح "مهاجما سيبرانيا". وهذا ينعكس بازدياد سرعة وتيرة الهجمات السيبرانية.

والأمن السيبراني هو عبارة عن مجموع الوسائل التقنية والتنظيمية والإدارية والقانونية، التي يتم استخدامها للحيلولة دون اختراق الأجهزة الإلكترونية وسوء استغلالها، ولمنع التسبب بأي خسائر للدول، واستعادة المعلومات الإلكترونية ونظم الاتصالات، وذلك بهدف ضمان توافر واستمرارية عمل نظم المعلومات، وتعزيز حماية وسرية وخصوصية البيانات الشخصية، واتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية المواطنين والمستهلكين من مخاطر الفضاء السيبراني.

فعلى سبيل المثال، يمكن للهاكرز اختراق منظومات صحية أو مصرفية وسرقة بيانات المواطنين، كما يمكن للدول اختراق منظومات دفاعية أو منظومات الكهرباء والمترو والسيطرة والتلاعب بأجهزة الكمبيوترات والأجهزة الإلكترونية بشكل عام، عن بعد ومن دون الحاجة للارتباط بالإنترنت، وإلحاق أضرار فادحة بالدول.

ولذا فإن الأمن السيبراني هو سلاح استراتيجي بيد الدول، فقد أصبحت الحرب السيبرانية جزءا لا يتجزأ من التكتيكات الحديثة للحروب والهجمات العابرة للحدود.

وأصبح صناع القرار في دول العالم يصنفون وسائل الأمن السيبراني كأولوية في سياساتهم الدفاعية الوطنية، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من مهام أجهزة الأمن الوطنية.

ويؤكد خبراء عالميون ضرورة تعزيز الأمن السيبراني وتطوير المعايير والسياسات، التي تحد من آثار الهجمات الإلكترونية وتقلل مخاطرها على البيئة المستقبلية للثورة الصناعية الرابعة، معتبرين أنه يحدد معالم مستقبل التكنولوجيا والعالم.

ويشير أعضاء مجلس مستقبل الأمن السيبراني إلى أن احتواء الهجمات الإلكترونية الحالية والمستقبلية على الصعيد العالمي يتطلب تعزيز مستويات التعاون وتبادل المعلومات بين المعنيين والجهات الحكومية والخاصة، مؤكدين أن الأمن السيبراني يمثل عاملا رئيسا في المستقبل في ظل التطورات التكنولوجية.

ويعتبر نداء باريس من أجل الثقة والأمن في الفضاء السيبراني أكثر الجهود المنسقة حتى الآن لجعل الدول توافق على مجموعة من القواعد الدولية للفضاء السيبراني أو ما يسمى اتفاقية جنيف الرقمية، حيث أعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عن المبادرة المسماة "نداء باريس إلى الثقة والأمن في الفضاء السيبراني"، وهي مبادرة جديدة تهدف إلى وضع معايير دولية للإنترنت، بما في ذلك الصحة الرقمية والتنسيق للكشف عن نقاط الضعف التقنية.

وتعد هذه المبادرة خطوة أخرى في الجهود الدولية لوضع معايير وقوانين للأمن السيبراني في السلم والحرب، حيث تحدد الوثيقة، التي وقعت عليها شركات التكنولوجيا الأميركية الكبرى، بما في ذلك مايكروسوفت وفيسبوك وغوغل وآي بي إم وإتش بي، تسعة أهداف مثل المساعدة في ضمان عدم تدخل الجهات الأجنبية في الانتخابات والعمل على منع الشركات الخاصة من الاختراق أو الانتقام لجرائم الإنترنت. وكما هو الحال في معظم المسائل الدولية المتعلقة بتنظيم الإنترنت، فإن الأمور تميل إلى الانقسام بين النظام الغربي الليبرالي ودول مثل روسيا والصين، حيث يمتلك بعض الممتنعين عن التوقيع مثل الصين وإيران مبادرات نشطة للحرب السيبرانية.

ويفتقر نداء باريس إلى القوة القانونية، إذ أنه لا يتطلب من الحكومات أو الشركات الالتزام بشكل قانوني بأي مبادئ محددة، لكنه يوضح الحاجة الدبلوماسية الملحة للتعاون في مجال الأمن السيبراني، حيث يصعب تطبيق قوانين أي بلد واحد.

ويشكل توقيع شركات التكنولوجيا على الاتفاقية دليلا على كيفية قيام تلك الشركات بدور أكثر نشاطا في إدارة الإنترنت، إذ أوضحت مايكروسوفت أنها عملت بشكل وثيق مع الحكومة الفرنسية لصياغة نداء باريس، وقال براد سميث رئيس شركة مايكروسوفت "إنها فرصة للناس أن يجتمعوا حول عدد قليل من المبادئ الأساسية مثل حماية المدنيين الأبرياء وحماية الانتخابات وحماية إتاحة الإنترنت".

ويقترح نداء باريس من أجل الثقة والأمن في الفضاء السيبراني اتخاذ بعض التدابير والخطوات، كمنع الأنشطة السيبرانية السيئة التي تهدد أو تسبب ضررا كبيرا أو عشوائيا أو نظاميا للأفراد والبنية التحتية الحيوية.

ويشدد على تعزيز القدرة على منع التدخل الخبيث من جانب جهات أجنبية تهدف إلى تقويض العمليات الانتخابية من خلال أنشطة الإنترنت.

ويؤكد على منع سرقة الملكية الفكرية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بما في ذلك الأسرار التجارية أو غيرها من المعلومات السرية بقصد توفير مزايا تنافسية للشركات، وتعزيز انتشار وتطبيق السلوك الدولي المسؤول على نطاق واسع، فضلا عن تدابير بناء الثقة في الفضاء السيبراني.

الذكاء الاصطناعي يختصر الزمن في صناعة أدوية جديدة

❏ **أونتاريو** – تمكن فريق من الباحثين الكنديين من تطوير منظومة جديدة للذكاء الاصطناعي بوسعها تسريع وتيرة ابتكار أدوية جديدة، إذ تقلل من الحاجة إلى الاختبارات المعملية المكلفة للوقت والمال.

طور باحثون بجامعة "ووترلو" الكندية منظومة جديدة للذكاء الاصطناعي يمكنها أن تسهم بشكل كبير في تسريع وتيرة ابتكار الأدوية الجديدة مع تقليل الحاجة إلى الاختبارات المعملية التي تستهلك قدرا كبيرا من المال والوقت.

ويطلق على المنظومة الجديدة التي تندرج في إطار تقنيات التعلم العميق، اسم "باتيرن تو نوليج" وتُعرف اختصارا بـ"بي تو كيه". ويمكن للمنظومة الجديدة التنبؤ بعمليات الاتصال بين المتواليات الحيوية في ثوان معدودات، وبالتالي تقلل المشكلات المعقدة التي قد تظهر خلال أبحاث الدواء.

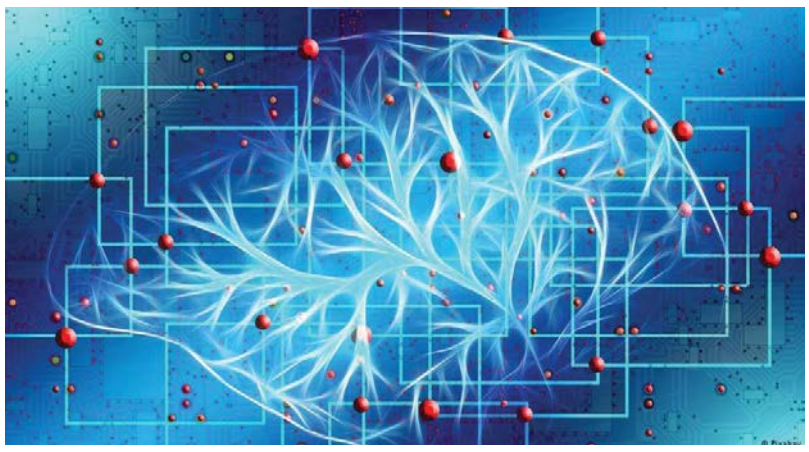

منظومة تساعد على التوصل إلى النتائج الفورية

وتستخدم منظومة "بي تو كيه" تقنيات الذكاء الاصطناعي في جمع المعلومات من خلال تحليل البيانات بدلا من الاعتماد على آليات البحث التقليدية. ونقل الموقع الإلكتروني "تيك إكسبلور" المتخصص في الأبحاث العلمية والتكنولوجيا عن الباحث أندرو وونغ المتخصص في هندسة تصميم الأنظمة الإلكترونية قوله إن "منظومة بي تو كيه يمكنها تغيير قواعد اللعبة بالنظر إلى قدرتها على فك رموز الروابط البروتينية الدقيقة داخل البيئات الكيميائية المعقدة، وبالتالي يمكنها إجراء تنبؤات دقيقة اعتمادا على البيانات المتوافرة لديها".

وأكد وونج أن "القدرة على الوصول إلى المعلومات الدقيقة بناء على نتائج علمية مثبتة ستدفع مجال الأبحاث الدوائية قدما"، مشيرا إلى أن منظومة "بي تو كيه" لديها القدرة على تغيير كيفية الاستفادة من البيانات في المستقبل. ويقول الباحثون إنه بالرغم من جمع كميات هائلة من البيانات بشأن المتواليات الحيوية، ليس استخلاص معلومات مفيدة وذات مغزى من هذه البيانات بالأمر الهين، ولكن منظومة "بي تو كيه" يمكنها مواجهة هذا التحدي من خلال فك شفرة العلاقات المعقدة داخل المعادلات الكيميائية الحيوية والتنبؤ بالارتباطات بين

> منظومة «باتيرن تو نوليج» التي تندرج في إطار تقنيات التعلم العميق تقلل المشكلات المعقدة خلال أبحاث الدواء

الأحماض الأمينية التي تتحكم في التفاعلات البروتينية.

ومن خلال استخلاص النتائج من قواعد البيانات عبر تقنيات الحوسبة السحابية، تستطيع منظومة "بي تو كيه" التنبؤ بالتفاعلات التي قد تحدث بين الأورام ذات الطبيعة البروتينية والعلاجات المختلفة لمرض السرطان. ورغم أن منظومة "بي تو كيه" مازالت في طور النماذج الأولية التجريبية، أتاح وونج وفريقه للباحثين فرصة الوصول إلى نسخة المنظومة على شبكة الإنترنت.

ويرى الباحث أنطونيو سي تو الذي شارك في ابتكار المنظومة أن "وضع هذه التقنية بين أيدي الباحثين في مجال الطب الحيوي سوف يساعد في التوصل إلى نتائج فورية، يمكن استخدامها في الاكتشافات العلمية في المستقبل".

أخبار التكنولوجيا

ثغرة في آيفون إكس تسمح بسرقة الصور

❏ اكتشف باحثان أمنيان ثغرة أمنية في هواتف آيفون تسمح للقراصنة بالوصول إلى الصور المحذوفة، وذلك بسبب ضعف الإصدار الحالي من متصفح الويب سفاري، واستغلا هذا العيب لاختراق الهاتف وأبلغا أبل بالثغرة.

وتوجد الثغرة في المحول البرمجي "جيت"، وهو برنامج يحول الملفات المصدرية أثناء تشغيل البرنامج إلى أوامر يفهمها الجهاز وينفذها بما يناسب بنية الجهاز الذي يستهدفه البرنامج.

لوحة «جي بورد» تقترح الرموز التعبيرية

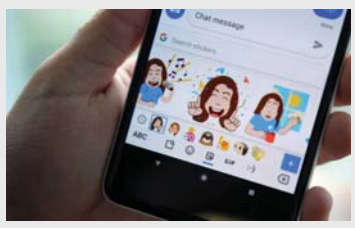

❏ أعلنت شركة غوغل أن لوحة المفاتيح "جي بورد" للهواتف الذكية يمكنها اقتراح الرموز التعبيرية والملصقات وصور المتحركة أثناء الإكمال التلقائي للنصوص.

وأوضحت الشركة الأميركية أن هذه الاقتراحات تعتمد في الأساس على تحليل النصوص، غير أن التحليل يتم على الهاتف نفسه، ولا يتطلب الاتصال بالإنترنت أو بخوادم شركة غوغل.

تطبيق يوتيوب يصل إلى نينتندو سويتش

❏ يمكن لأصحاب أجهزة نينتندو سويتش الوصول إلى منصة الفيديو يوتيوب عن طريق أجهزة الألعاب مباشرة؛ حيث قامت الشركة اليابانية بإطلاق تطبيق منصة يوتيوب التابعة لغوغل على متجرها الإلكتروني.

وبعد تثبيت تطبيق يوتيوب المجاني، فإنه يمكن للمستخدم تسجيل الدخول بحساب غوغل من أجل الوصول إلى قنوات يوتيوب، غير أن التطبيق المخصص لجهاز نينتندو سويتش لا يتيح إمكانية تنزيل مقاطع الفيديو.

فليكر تحدد مساحة التخزين المجاني

❏ أعلنت خدمة الصور فليكر عن تحديد المساحة التخزينية للحسابات المجانية بألف صورة كحد أقصى، وتُستثنى من ذلك الصور التي تم نشرها تحت ترخيص المشاع الإبداعي ، حيث سيتم الاحتفاظ بهذه الصور عندما تقوم فليكر بحذف الصور الزائدة بدءا من فبراير 2019.

وأكدت خدمة مشاركة الصور أن هذه القواعد لن تسري على نطاق الصور "فليكر كامنز"، والذي يتضمن الصور التي تم جمعها من الهيئات الحكومية.

القدرة على الاستفادة من الأكسجين خلال الجهد الشديد ترفع مستوى التحمل

الماراثونات تختبر الدرجة القصوى للتحمل

التحكم في وقود الجسم يسهل اجتياز المسافات

يتساءل الكثير من الناس عن سر قوة التحمل التي يتمتع بها الأبطال الرياضيون أو المولعون بالركض لمسافات طويلة أو خلال الماراثونات، فرغم مشقة التمارين والجهد الشديد، يصمدون إلى النهاية ويحققون أرقاما مهمة وقياسية أحيانا.

❏ **لندن** – يصنف مدربو اللياقة الركض لمسافات طويلة ضمن أفضل التدريبات التي تختبر الدرجة القصوى للتحمل، سواء كان ذلك على مستوى القدرات العضلية أو الذهنية أو التنفسية.

وقد أفاد تقرير لهيئة الإذاعة البريطانية بي.بي.سي، أن الركض لمسافات طويلة، مثل ماراثون من 246 كيلومترا، يستلزم لياقة بدنية غير عادية، لكن مهما كان التدريب شاقا، فإن نجاح أي بطل رياضي يتوقف بشكل كبير على قوته الذهنية.

> الجسم البشري لا يمكنه استنفاد الطاقة خلال العدو الماراثوني بنفس طريقة العدو القصير السريع لاختلاف سبل استنفاد الطاقة بينهما

وخلال السنوات الأخيرة، زاد الإقبال على الماراثونات فائقة الطول، فيما يعكف الباحثون والعلماء على فهم الكيفية التي يتمكن بها جسم بشري من اجتياز ظروف غاية في الصعوبة.

فكيف لإنسان أن يتحمل أمرا كهذا بما ينطوي عليه من صعوبات بدنية وذهنية؟ وما السبل التي يلجأ إليها عداؤون للإبقاء على سعيهم في المضمار ومواصلة الركض؟

يقول دين كرنازيس، أحد المتسابقين بماراثون إسبرطة، إن المرء لا يدرك مدى صعوبة الأمر إلا وقد استبد به الألم من أعلى رأسه إلى أخمص القدم، عندها لا يعول إلا على الجانب المعنوي، "إذ يشعر الرياضي بالإحباط وتتباطأ الخطى. ولكنني أمضي قدما رغم الصعاب، وحتى إن لم أقو على السرعة أواصل الحركة وليس لي إلا أن أدفع نفسي دفعا مواصلا السير".

ويشرح مارك بيرنلي الخبير الفسيولوجي بجامعة كينت الأساس العلمي وراء سرعة العداء في سباقات مختلفة بدءا من العدو لمسافات قصيرة وحتى الماراثونات الطويلة جدا. ويؤكد وجود ثلاثة عوامل يتوقف عليها نجاح العداء في اجتياز المسافات الطويلة، أولها قدرة الجسم على الاستفادة من الأكسجين خلال الجهد الشديد، وثانيها السرعة القصوى التي يمكن للعداء بلوغها دون تراكم حمض اللاكتيك في جسمه، وثالثها مدى الاستفادة القصوى من وقود الجسم قبل استنفاده.

ويضيف "بتوافر العوامل الثلاثة معا يمكن للعداء اجتياز الماراثون بالسرعة المطلوبة".

وأوضح "يستمد جسم الإنسان طاقته بإحدى طريقتين، إما عبر ما يعرف بالتمثيل الغذائي الهوائي بالاستعانة بجزيئات الأكسجين في الهواء، أو بالتمثيل اللاهوائي عبر عمليات نقل الطاقة بخلاف الأكسجين". ولا يمكن للجسم البشري استنفاد الطاقة خلال العدو الماراثوني بنفس طريقة العدو القصير السريع لاختلاف سبل استنفاد الطاقة بينهما.

وطبعا يركض عداء الماراثون الفائق بسرعة أبطأ كثيرا عن أبطال الماراثونات العادية، فالعداؤون ينتهون من الـ42 كيلومترا الأولى من السباق في غضون ثلاث إلى أربع ساعات وبعد ذلك يكون أمامهم قرابة خمسة أمثال تلك المسافة، أي خمسة ماراثونات أخرى.

ويقول بيرنلي "تعتمد أقصى درجات التحمل على الحد مما يلحق بالجسم من أضرار خلال ذلك الحدث. في سباقات الخمسة آلاف والعشرة آلاف متر عدو، كثيرا ما نتحدث عن أهمية بلوغ سرعة معينة والحفاظ عليها، أما في سباقات التحمل القصوى فالهدف الأساسي هو استكمال المضمار".

ويعني ذلك عمليا تغير السرعات بين مرحلة وأخرى في الماراثون فائق الطول بينما يسعى العداء "لمواصلة العدو بأقل جهد ممكن وبأكثر توفير للطاقة"، حسبما يقول بيرنلي.

وبالنسبة إلى الكثير من الرياضيين تمثل قدرة الذهن على التحمل المحك الرئيسي في المضمار.

وتشير أبحاث إلى أن نحو نصف مجتازي الماراثونات الفائقة يمرون بتغيرات عقلية كبيرة، إذ تقول كارلا ماين، الخبيرة النفسية الرياضية بجامعة سانت ماري بلندن، "قد يشعرون بتشوش وتخبط ما، ومع ذلك، الأمر المميز هو تلك القدرة على تنظيم إيقاعهم الداخلي".

وأضافت أن ثمة أدلة على تمتع مجتازي اختبارات التحمل القصوى بمستويات أعلى من تحمل الألم، مضيفة، "لا نعرف تحديدا ما إذا كانت قدرتهم على تحمل الألم ناتجة عن تحديهم لأنفسهم من خلال تلك الاختبارات أم أنهم يولدون بهذه القدرة".

تقول ماين إن مفتاح ذلك هو الاستعداد المسبق، بالتفكير قبل السباق في الخبرات السالفة والتعلم منها حتى يكون المرء مستعدا للتجاوب مع ما سيختبره قبل أن يحدث.

وخلال السباق نفسه، وبينما يلح عليك ذهنك بالتوقف لشدة الألم، عليك إلهاء نفسك والتفكير في أمر آخر، إذ توضح "ربما تفكر في الحاجة إلى المزيد من الغذاء، أو تفكر في كيف ستكافئ نفسك بعد انتهاء السباق".

كما تقترح الاستعانة باستراتيجيات فعالة لتنظيم الإيقاع الذهني خلال السباق، مثل الحديث التحفيزي للنفس أو الاستعانة بطرق الاسترخاء.

وترى ماين أنه أيا كان ما يختاره المتدرب من وسائل، فعليه التدرب عليها مسبقا، وهكذا حين يبدأ الشعور بالتعب يكون بمقدوره استعادة حالة أكثر استقرارا.

ويحذر مدربو اللياقة المبتدئين أو المولعين بالركض لمسافات طويلة من الإسراف والمبالغة في ممارستها على المدى الطويل لأن ذلك يمكن أن يؤدي إلى الإضرار بالجهاز القلبي الوعائي.

وتوصلت دراسة دنماركية، نشرت في المجلة العلمية الأميركية المتخصصة "جورنال أوف ذا أميركان كوليدج أوف كارديولوجي"، إلى أنه يمكن الوقاية من التعرض لهذا الخطر من خلال ممارسة الرياضة "باعتدال"، كما حذر الباحثون الذين أجروا الدراسة من الركض السريع للغاية وأكدوا أنه لا يمكن الاستفادة من فوائد هذه الرياضة إلا عند ممارستها على ذلك النحو.

ويفضل الركض لمدة ساعتين ونصف أسبوعيا تقريبا، بحيث يتم توزيعها على أكثر من ثلاث مرات أسبوعيا. وتشير العديد من الدراسات التي أجريت في هذا المجال إلى الفوائد الصحية لممارسة الركض، لا سيما بالنسبة للمصابين بأمراض القلب والأوعية الدموية، ولكن عند ممارسته بشكل معتدل.

ويقول خبراء الصحة إنه يمكن الحد من الشعور بالضغط العصبي عند المواظبة على الركض، وإنها تساعد على تقوية العضلات والوقاية من الإصابة بهشاشة العظام، ناهيك عن دورها في إنقاص الوزن، الأمر الذي يساعد على الحد من خطر الإصابة بالأمراض الناجمة عن زيادة الوزن كالسكري مثلا.

يعني ذلك أيضا أن الإصرار على مواصلة الركض، رغم الشعور بالألم والإرهاق، يؤدي إلى عواقب شديدة الخطورة. لكن الملفت أن التحكم في الطاقة والجهد والاستعانة بمدربين أكفاء يساعدان على تدريب الجسم على سرعة التعافي عند التعرض للإصابات أيا كان نوعها.

تتابع دورا بابادوبلو، جرّاحة العظام والمستشارة الطبية الرياضية بمركز إعادة التأهيل الطبي الدفاعي بهادلي كورت بالمملكة المتحدة، عدائين منذ 10 سنوات وتقول إن أغلب الإصابات تتعلق بالقروح والشد العضلي وإصابات عضلية أخرى.

ورغم التكلفة الجمة لتلك الرياضات القاسية بالنسبة للجسم، أظهرت أبحاث قدرة الجسم على تجاوز محنته بسرعة، إذ تقول بابادوبلو إن دراسة حديثة أجريت على عدائي ماراثون إسبرطة أظهرت أن دم العدائين عاد خلال أيام لحالته الطبيعية بعد أن كان أشبه بحالة من قاربوا الوفاة بعد خوضهم السباق مباشرة.

نحو نصف مجتازي الماراثونات يمرون بتغيرات عقلية كبيرة، مثل التشوش ومع ذلك، يمتلكون القدرة على تنظيم إيقاعهم الداخلي

رفع الأثقال لساعة يقوي القلب

❏ **واشنطن** – أفادت دراسة أميركية حديثة أن ممارسة رياضة رفع الأثقال لمدة ساعة أسبوعيًا، يمكن أن تحد من خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية.

الدراسة أجراها باحثون بجامعة ولاية آيوا الأميركية، ونشروا نتائجها، في العدد الأخير من دورية (مديسين أند ساينس إن سبورتس أند اكسرزايز) العلمية.

ولرصد التأثيرات العلاجية لرياضة رفع الأثقال على صحة القلب، راقب الفريق ما يقرب من 13 ألف بالغ.

ووجد الباحثون أن ممارسة رياضة رفع الأثقال لمدة ساعة أسبوعيًا خفضت خطر الإصابة بالنوبات القلبية أو السكتة الدماغية بنسبة تتراوح من 40 إلى 70 بالمئة.

وقال الدكتور دك تشول لي، قائد فريق البحث "قد يعتقد الناس أنهم بحاجة إلى قضاء الكثير من الوقت في رفع الأثقال، لكن أقل من 5 دقائق قد تكون فعالة للحفاظ على صحة القلب". وأضاف أن الدراسة أثبتت أن "ممارسة رياضة رفع الأثقال لحوالي ساعة أسبوعيًا تخفض مخاطر الإصابة بأمراض القلب والسكتة الدماغية والسكري، بالإضافة إلى الحد من ارتفاع الكوليسترول في الدم".

وأشار إلى أن "العضلات هي محطة الطاقة التي تحرق السعرات الحرارية، وبناء العضلات لا يساعد على تحريك المفاصل والعظام فقط؛ بل يساعد أيضًا في الوقاية من السمنة وتوفير فوائد طويلة الأجل لصحة الجسم". وتوصي دراسة أخرى، نشرت في مجلة الطب الرياضي، بتدريب كل مجموعة من العضلات مرتين أسبوعياً للحصول على أفضل النتائج من التمارين. وقام العلماء بمقارنة نمو العضلات لدى الأشخاص الذين يقومون بتدريب كل مجموعة عضلية لمرة أو مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع لفترة استمرت عدة شهور. وأظهرت النتائج أن الأشخاص الذين يتدربون، مرتين أسبوعياً، يحصلون على نتائج أفضل من أولئك الذين تدربوا لمرة واحدة، وازداد نمو العضلات لديهم بفضل الحفاظ على العدد الكلي للمجموعات وعدد المرات خلال أسابيع التدريب.

ويقول مؤلف الدراسة، الطبيب براد شونفيلد الأستاذ المساعد في علم الرياضة في جامعة ليمان، "يؤدي رفع الأثقال إلى نمو العضلات ويستمر ذلك لمدة 48 ساعة، وتدريب العضلات الزائد لا يزيد من حجم العضلات بشكل أسرع لذلك يجب على الرياضي أن يقوم بتمرين مجموعات العضلات نفسها كل 48 ساعة، ولا يعرف العلماء السبب الحقيقي لذلك، ومن جهة أخرى، سيتراكم النمو مع مرور الوقت، لذلك كلما قام الشباب بالتمرين بشكل منتظم سيزيد ذلك من نمو العضلات".

كما أثبتت الدراسة أن الأشخاص الذين يدربون مجموعات العضلات، لمدة ثلاث مرات أسبوعياً، يحصلون على نفس نتائج أولئك الذين يتدربون لمرتين في الأسبوع. ويمكن تقسيم التمارين خلال الأسبوع عن طريق تحديد يومين لتمرين الجزء السفلي ويومين لتمرين الجزء العلوي من الجسم.

ووفقًا لمنظمة الصحة العالمية، فإن أمراض القلب والأوعية الدموية تأتي في صدارة أسباب الوفيات في جميع أنحاء العالم، حيث إن عدد الوفيات الناجمة عنها يفوق عدد الوفيات الناجمة عن أيّ من أسباب الوفيات الأخرى.

وأضافت المنظمة أن نحو 17.3 مليون نسمة يقضون نحبهم جرّاء أمراض القلب سنويا، ما يمثل 30 بالمئة من مجموع الوفيات التي تقع في العالم كل عام، وبحلول عام 2030، من المتوقع وفاة 23 مليون شخص بسبب الأمراض القلبية سنويًا.

رياضة رفع الأثقال تحد من خطر النوبة القلبية

شروط اختيار الرياضات الدفاعية

❏ **كولن (ألمانيا)** – عند الرغبة في اختيار رياضة معينة للدفاع عن النفس ينصح المدربون بمعرفة الهدف من ممارستها أولا، واهتمامات من يمارسها، والتي تختلف من شخص لآخر.

وأشار ليو إستاس، خبير فنون الدفاع عن النفس والمحاضر بكلية التربية الرياضية بمدينة كولن الألمانية، إلى أن بعض أنواع الرياضات تهدف إلى المنافسة، بينما تعتمد أنواع أخرى نهجا شموليا، في حين أن أنواع أخرى تهدف إلى التهيئة للصراع في الشوارع، وهنا يفرق الخبير الألماني بين ثلاثة أنماط رئيسية.

الرياضات القتالية: تتمحور الرياضات القتالية حول المنافسة، وفيها يلعب رجل ضد آخر وامرأة ضد أخرى، والفائز يكون أحد الطرفين، وتعد الملاكمة هي أحد الأشكال الكلاسيكية للرياضات القتالية، وهناك ما يعرف حاليا باسم الرياضات القتالية المختلطة في الولايات المتحدة الأميركية.

وأوضح إستاس أنها تكون أكثر تعقيدا من الملاكمة، كما تسمح باستخدام الأقدام في الركل، ويعتبر الجودو بديلا جيدا لمن لا يحب هذه الوحشية؛ حيث يتم الاعتماد هنا على القوة والتقنية، وليس الضرب في الرأس.

الفنون القتالية: تمتاز الفنون القتالية باعتمادها على نهج شامل، وهي في العادة تتبع تراثا طويلا من الشرق الأقصى غالبا، ومن الأمثلة على ذلك الكونغ فو أو الأيكيدو أو الكاراتيه، ويشرح إستاس بأنه لا يتم التركيز هنا أبدا على المنافسة بل على تنمية الشخصية؛ حيث إن الاحترام والانضباط العالي هما جزء من تدريبات الفنون القتالية، وتعد هذه الرياضات مناسبة للباحثين عن التوازن للحياة المهنية بضغوطها.

> الذين يمارسون رياضة الدفاع عن النفس وتتراوح أعمارهم بين 40 و60 عاما أصبحوا أفضل حالا بعد ثلاث سنوات

الدفاع عن النفس: يهتم هذا النوع من الرياضة "بحالة الاستخدام"، وتعنى بما يلزم فعله عندما يهاجمك شخص ما في الشارع، مثل رياضة الكراف ماغا، التي تهتم بكيفية حماية النفس في مواقف معينة، وهناك أيضا أسلوب وينغ تشون وهو من أساليب الدفاع عن النفس المتلاحم، ويجمع أيضا الجوجوتسو بين عدة عناصر، وهنا يولى أيضا ودائما بالاهتمام بالإتيكيت والملابس التقليدية، ويهتم أيضا هذا النوع من الرياضات بنزع سلاح المهاجم، وهناك العديد من الأشكال الهجينة من رياضات مختلفة، لذلك نصح إستاس بتجربة عدة رياضات لتكوين الصورة الخاصة والاختيار الصحيح.

قال باحثون أميركيون إن الرجال والنساء الذين تتراوح أعمارهم بين 40 إلى 60 عاما والذين مارسوا نوعا من رياضة الدفاع عن النفس أصبحوا أفضل حالا بعد ثلاث سنوات، مقارنة بنظرائهم الذين مارسوا تمارين رياضية أكثر هدوءا.

وقال الدكتور بيتر دوريس في دراسة له بالمجلة البريطانية للطب الرياضي إن على خبراء الصحة إدراك أن "الطرق البديلة مثل التدريب على رياضة الدفاع عن النفس قد يرفع اللياقة البدنية للرجال والنساء في منتصف العمر".

المخرجون الشباب.. أداة للتغيير الثقافي والفني في المجتمعات

وصول الشباب إلى منصات التكريم بأفلام منخفضة التكلفة يعزز الثقة بقيمة الفكرة

بات المخرجون الشباب وسيلة للتغيير الثقافي والفني في الكثير من الدول العربية، لأن أفكارهم وتقنياتهم الجديدة تجعل أعمالهم تتجاوز كثيرًا التسلية والترفيه نحو التحول إلى أداة تشكيل ثقافي ومعرفي، وتخاطب أجيالاً متمردة لديها نهم للتجديد ورغبة في التحرر من موروثات الماضي، وقدرات معطلة كامنة تحتاج إلى الاكتشاف.

محمد عبدالهادي

❏ أثبت الجيل الجديد من المخرجين الشباب قدرته على التصدي لمشكلات مجتمعاته العربية، بتناول القضايا الاجتماعية والإنسانية من وجهات نظر مغايرة، وجدت طريقها لقلوب وعقول المشاهدين، بعيدًا عن اعتبارات الربح في الإنتاج التجاري، الساعي وراء المكسب المالي في المقام الأول.

ودشنت دول عربية مبادرات لمنح الشباب منصات لعرض أفلامهم المستقلة عبر مهرجانات متخصصة، واتخذت الإمارات خطوات أبعد بإنشاء سينما "عقيل" بدبي مطلع نوفمبر، كأول سينما بديلة مستقلة بمنطقة الخليج متخصصة في عرض الأفلام المستقلة المحلية والأجنبية التي نالت الجوائز وإعجاب النقاد، على حد سواء.

وتترك الأعمال السينمائية تأثيرًا على المشاهدين، خصوصا صغار السن، فقد تجبرهم على تغيير أنماط تفكيرهم أو مراجعة أسلوبهم في الحياة، وتصبح عند توظيفها بطريقة معينة، أداة لتغيير السلوك من واقع تجارب الآخرين، ووسيلة تنمية بشرية تمنح حصانة ضد الظروف الصعبة، وتخلق نقطة عميقة من التفكير، تصل إلى الحقائق الغائبة وتشرح الواقع بمنظور عقلاني.

ويمكن وصف الأعمال الشبابية بحالة ترابط بين التنمية والإبداع وتوصيل مجموعة الأفكار والمشاعر بجرعات مرئية مكثفة تجعل رسائلها أقوى بكثير من مطالبات الخبراء ومناشدات المسؤولين، كالفيلم السعودي "حمى" الذي تناول أهمية الحفاظ على المَحميات السعودية بقصة صياد سابق تحول إلى رئيس الجوالين بالمحمية، يسخر حياته لحماية الحياة الفطرية وتنوعها.

رؤى جديدة

وفي الدورة الثانية من ملتقيات "رؤية" لسينما الشباب التي احتضنها مركز الهناجر بدار الأوبرا المصرية في نهاية أكتوبر الماضي، قدم المشاركون 34 فيلمًا تسجيليًا وروائيًا قصيرًا، لم تتشابه أي فكرة بينها، عالجت بعضها قضايا معقدة كالهجرة غير الشرعية، من منطلقات إنسانية شديدة الخصوصية بمساحات زمنية تراوحت بين عشرة و30 دقيقة فقط.

وما يميز الرؤية الشبابية البحث عن زوايا جديدة لموضوعات قديمة مطروقة، كفيلم "مارشدير" للمخرجة نهي عادل، الذي لخص تغير قيم المجتمع والتمييز النوعي ضد السيدات، في صراع بين سائقين تقاطعت سيارتاهما وجها لوجه، بشارع أحادي الاتجاه، أحدهما غاضب متطاول، والثاني فتاة تدعي القوة رغم امتلائها بالخوف. ويقول المخرج المصري محمد سعدون (29 عاما)، الذي شارك في الملتقى بفيلم "عاليا"، إن دور وزارة الثقافة يتزايد في دعم السينما الشبابية عبر الدعم اللوجيستي بتسهيل العمل كتيسير الحصول على تصاريح للتصوير الخارجي من الجهات الرسمية التي مثلت عقبة أمام الشباب ودفعتهم إلى التصوير الداخلي في الغرف المغلقة، وبات التصوير في أي مكان متاحًا بمجرد موافقة الرقابة.

ويسعى سعدون عبر "عاليا" إلى إلقاء الضوء على تغير حياة الأسرة المصرية في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، ليقدم سيدة تعاني حرمانًا وفراغا وجدانيًا في غياب اهتمام أبنائها، فتنقب في ذكريات الماضي عن السعادة عائدة إلى الحب في فترة الخطوبة والجلوس أمام التلفزيون لتتخيل نفسها بديلة لبطلة مسلسل رومانسي، كوسيلة لإفراغ طاقتها السلبية والعودة إلى الاستقرار النفسي.

تصميم على التغيير

ويعتزم المركز القومي للسينما المساهمة في إنتاج الأعمال الفائزة بملتقيات "رؤية للسينما الشبابية" كوسيلة لتعزيز الفكرة وتشجيع الشباب على الاستمرار.

ويقول سعدون لـ"العرب"، إن الكثير من السينمائيين الشباب لديهم تصميم على التغيير عبر الشاشة الفضية، رغم ظروف الإنتاج الصعبة وارتفاع تكاليف المعدات، ورفض منظمي المهرجانات الإعداد الموسيقي المعتمد على تجميع الموسيقى القديمة، ومطالبتهم بموسيقى تصويرية تتطلب المزيد من التكاليف، وأخيرًا رفض غالبية النجوم الكبار المشاركة مع المواهب الشابة.

وتزايدت ثقة شباب المخرجين في إمكانية تحدي الظروف بعد التجربة الناجحة لفيلم "يوم الدين" للمخرج الشاب أبوبكر شوقي الذي تم ترشحيه لمهرجان أوسكار، وعاد بالسينما المصرية لمهرجان "كان" العريق للمرة الأولى بست سنوات، فتجربته من ضعف الإنتاج وتحدي عقبات استمرت لسنوات ورفض مشاركة النجوم الكبار تبدو مشابهة لواقعهم تمامًا.

ويرى الكثير من النقاد أن صول الشباب إلى منصات التكريم بأفلام تسجيلية وروائية قصيرة تم تصويرها بمعدات فنية وكاميرات لا تختلف إمكانياتها كثيراً عن الهواتف المحمولة، يعزز ثقة السينمائيين الشباب في قيمة الفكرة المبدعة والتلاعب بالإضاءة والمونتاج الجيد لخروج منتجات تحظى بتقدير النقاد.

معالجة السينمائيين الشباب للموضوعات مختلفة

ويعتبرون أن العمل بعيدًا عن ضغط شباك التذاكر يعطيهم مساحات للحرية لإيصال رؤيتهم دون تغيير للوصول إلى أهداف السينما الحقيقية بالتصدي لمشكلات مجتمعية في المقام الأول بعيدًا عن مواءمات المنتجين التي تتراوح بين المكسب المالي المباشر أو خدمة أهداف سياسية واقتصادية مستقبلية.

وتبدو مشكلة التوزيع أبدية أمام المخرجين الشباب لكنهم يتحايلون عليها بإلمامهم بتكنولوجيا الاتصال الحديثة في الدعاية وجذب الجمهور للعروض الخاصة، بنشر مقاطع لأفلامهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي وتدشين قنوات عبر الإنترنت، وتأسيس نوادي مشاهدة متنقلة محدودة التكاليف لا تتجاوز متطلباتها حاسبا آليا ولوحة عرض بلاستيكية واستئجار موطئ قدم بفندق أو مطعم أو حتى نادٍ اجتماعي.

ويتسم ذلك النمط بجرأة المعالجة والتطرق إلى قضايا مثيرة للجدل كالعلاقات خارج إطار الزواج من منطلق مشكلات أكبر حتى لو كانت صادمة، مثل فيلم "كل الطرق تؤدي إلى روما" إخراج حسن صالح، وتناول الهجرة غير الشرعية وروافدها المستمرة، عبر فتاة تخطط للهروب إلى إيطاليا بحثًا عن حياة أفضل، قبل أن تكتشف يوم سفرها أنها حامل من صديقها، ليبقى الخيار الصعب بين البقاء ومخاطر عدم الاعتراف بالابن أو رحلة تعني فقدان الجنين.

قدرات كامنة

يعتبر البعض من السينمائيين الشباب تحفيز القدرات الكامنة لجيلهم هدفا كعمر المشد، الذي اختار لفيلمه القصير الرابع "مجاديف"، قصة شاب في قرية فقيرة معزولة بدلتا مصر كل حياته مكرسة للعمل، فيومه يبدأ من الثانية صباحًا بصيد الأسماك من النيل ومع بسط الشمس أشعتها يزاول حرفة الزراعة، وفي آخر النهار يباشر مشروعه الخاص بتربية الدواجن والماشية في رحلة كفاح عنوانها الرضا.

وتعالج الرسائل التي يوجهها الفيلم تفضيل شباب مصر للعمل المكتبي ورفض العمل الميداني المتعب، وهي مشكلة يرددها أصحاب الأعمال من منطلق غسل أيديهم من ارتفاع معدلات البطالة أو تبرير الاستعانة بعمالة أجنبية، فبطل "مجاديف" قد يكون نموذجًا يحتذى به في الكفاح، لا يقارن بين العائد من عمله والجهد المبذول، لكن سعادته في فكرة السعي للرزق بوجه عام بصرف النظر عن النتائج.

وتخرج المشد (33 عاما) في كلية الآداب بجامعة عين شمس، ويدرس حاليًا في الجامعة الفرنسية بالقاهرة، وسبق له أن أعدّ أفلاما روائية قصيرة هي "نوم العازب" و"نسخة أصلية" و"ليمون بالنعناع" اعتمد فيها على التصوير الداخلي منخفض التكاليف، لكن "مجاديف" كان باكورة أعماله في التصوير الخارجي. ورغم انخفاض المدى الزمني للأفلام القصيرة وعدم تجاوزها عشر دقائق بمعظم الأحيان، إلا أن المجهود المبذول كبير على مستوى المعالجة الفنية للسيناريو والصورة بإيصال الرسالة بأقل عدد ممكن من الكلمات وتقديم المحتوى البصري بصورة جذّابة، في ظل استخدام أنواع أقل كفاءة من الكاميرات.

ويساعد التحمّس للفكرة المخرجين الشباب على تذليل بعض العقبات، ففي تصوير "مجاديف" عانى فريق العمل من عدم وجود تيار كهربائي بأماكن التصوير، وحالما تمت الاستعانة بمولدات كهربائية خارجية احترقت بطاريات الكاميرات ليستعين الفريق بالهواتف المحمولة في تصوير استمر لمدة 18 ساعة متواصلة في قرية لا تمتلك فنادق أو استراحات للغرباء، وهي مشكلات تبدو تافهة لأي فيلم تجاري يملك تمويلا ضخما.

ويحسب للمخرجين الشباب أنهم البديل الجاهز لانتشال السينما المصرية من عثرتها وعودة ثرائها الفني، فالأفلام التجارية لديها تمويل وتفتقد السيناريو الجيد وتعاني من ثقافة استسهال مخرجيها واعتبارهم الفيلم بضاعة يتم بيعها بالدعاية والتغليف الجيد.

وقد تكون السينما الشبابية ذاتها وسيلة حكومية للدعاية يمكن استغلالها بإنتاج أفلام تتعلق بخطط التنمية وحل المشكلات المزمنة.

ويتبنى المنتجون المصريون فلسفة خاطئة بالاستعانة بعدة نجوم مع قصة هزلية لا تعتمد على الكوميديا بل على السخرية من البشر، كالسمنة أو العيوب الجسدية، ما خلف جيوشا من الممثلين العاطلين رغم كفاءتهم، بينهم رموز سينمائية كبيرة.

ويعاني الممثلون المصريون المشاهير من ازدواجية التعامل مع الشباب، فبينما يبررون ظهورهم في أعمال درامية وسينمائية ضعيفة المستوى بغياب النصوص الجيدة واضطرارهم إلى الاختيار بين السيء والأسوأ، يرفضون التعامل مع مواهب جديدة لا تملك أعمالا سابقة.

ويقول المشد إن الجيل الجديد من السينمائيين يرفض المشاركة في أعمال لا يرضى عنها، فتسيطر عليه فكرة بناء الاسم وخلوده ويحرص في كل لقطة على إظهار المجهود الذي يبذله رغم تأكده من أن بعض أعماله لن تراها الجماهير، وأن مرور عامين على إنتاجها دون مشاركتها في أي مهرجانات قد يئدها للأبد.

ويدقق الشباب في كل محتويات عملهم الفني حتى الموسيقى لاختيار مقامات تناسب فحوى موضوعاتهم مع دمجها بالمؤثرات الصوتية قدر الإمكان لخلق تنوع في الشريط الصوتي يداعب أسماع المشاهدين.

واقع مغاير

في أوج مجد السينما المصرية، كان الممثلون الكبار يدعمون الشباب، فلم ترفض فاتن حمامة المشاركة مع المغمور خيري بشارة في "يوم حلو ويوم مر" رغم تعقيدات القصة وكآبتها كأم تخوض حربًا للإنفاق على أسرتها بعد وفاة الزوج ومجابهة الطامعين في بناتها. ويرى بعض النقاد أن الممثلين يلقون باللائمة على الطرف الأضعف في العملية الإنتاجية ويخشون غضب المنتجين القلائل بالسوق، فورش السيناريو ومعهد السينما يخرجان سنويًا كُتّابًا جيدين تظهر مشروعات تخرجهم كفاءة في الحبكة والسرد وإلمامًا بالاتجاهات الجديدة في الكتابة لكنهم يحتاجون فقط إلى فرصة.

عمر المشد:

الجيل الجديد يرفض المشاركة في أعمال فنية لا يرضى عنها، فتسيطر عليه فكرة بناء الاسم

محمد سعدون:

السينمائيون الشباب لديهم تصميم على التغيير عبر الشاشة الفضية، رغم ظروف الإنتاج الصعبة

ويطالب السينمائيون الشباب في مصر بمنحهم فرصة للظهور، ويشكون من جهل جهات حكومية بقيمة الأفلام والمسلسلات كقوى ناعمة لمواجهة مشكلات المجتمع السياسية، كالإرهاب أو تغيير عادات المجتمع ومواجهة سلبياته، ويقولون إن بند دعم السينما بالموازنة العامة للدولة الذي كان يقدر بنحو 1.1 مليون دولار تم إلغاؤه منذ ثورة 25 يناير 2011.

لا تستطيع الأعمال الشبابية مجاراة الأفلام التجارية بالتقنية والإضاءة والديكورات والكاميرات، لكنها تقترب أكثر من هموم الناس، تقدم الواقع كما هو دون تجميل لتمسك الحقيقة بيدين عاريتين بعيدًا عن القفازات، بأفكار محلية صرفة لا تعاني هوس الاقتباس الدائم من الغرب وتعتمد على الإيمان بالنص ومهارات التصوير.

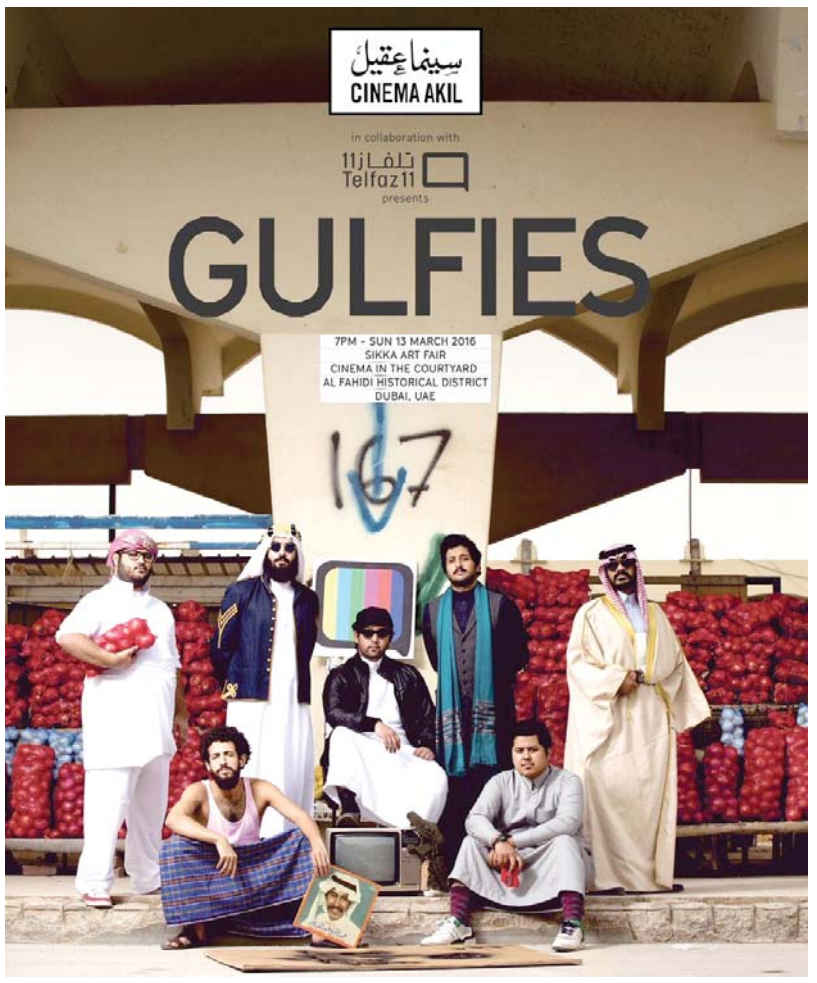

منصة لعرض أفلام الشباب في دبي

نساء عربيّات يبحثن عن منفذ للحياة في «قوارب الموت»

المرأة العربية تطرق أبواب الهجرة بحثا عن وطن بديل يرد لها الاعتبار

مخاطرة نساء من دول عربية مختلفة كتونس والمغرب ومصر بالهجرة عبر طرق غير شرعية إلى دول أوروبية تكشف أنهن على استعداد للمجازفة بأرواحهن في سبيل التخلص من واقع اقتصادي واجتماعي مرير وفي سبيل تحقيق طموحاتهن التي ضاقت بها أوطانهن.

شيرين الديدامواني/ أمنة جبران

❏ ترتبط صورة النساء المهاجرات في المجتمعات العربية، بالنابغات اللاتي لم يستطعن تحقيق طموحاتهن العلمية فلجأن إلى الهجرة نحو دول غربية، وأخريات تمت إعارتهن للعمل بإحدى الدول العربية، بعد أن تقدمن لوظائف شاغرة بها، أو بمن اخترن الهجرة تذمرا من التضييق على حرياتهن.

لكن في العقد الأخير برز انتشار نوع آخر من الهجرة ظل حكرا على الرجال، يعرف بـ"الهجرة غير الشرعية" أو "السرية" وأحيانا "غير النظامية"، يعني دخول المهاجرات بشكل غير شرعي دون أوراق ثبوتية، أو عبور الحدود بشكل قانوني والبقاء بعد انتهاء المدة المصرح بها في التأشيرة الممنوحة.

ورغم خطورة التجربة لم تتردد نساء بتونس في امتطاء قوارب الهجرة غير الشرعية هربا من ظروف معيشية صعبة ازدادت سوءا منذ اندلاع انتفاضة يناير 2011 وبسبب تداعيات فترة الانتقال الديمقراطي على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

وتزايدت معدلات الهجرة غير الشرعية في تونس، منذ ثورة يناير مستغلة الغياب الأمني آنذاك، ورغم أنها سرعان ما تراجعت بعد تشديد السلطات الخناق على منظمي هذه الهجرة غير القانونية إلا أن قوارب الموت مازالت تغري الشباب التونسي حتى أنها لم تعد حكرا على الذكور بل اجتذبت النساء أيضا.

تونسيات على القوارب السرية

شهدت سواحل تونس حادثتي غرق مأساويتين على الأقل هذا العام أدتا إلى وفاة أكثر من 80 مهاجرا قرب سواحل جزيرة قرقنة في يونيو الماضي، ووفاة ثمانية آخرين قرب جزيرة جربة جنوبا في أغسطس الماضي.

وهذه أكبر كارثة تشهدها عمليات الهجرة غير الشرعية عبر سواحل تونس وتأتي بعد كارثة مشابهة في أكتوبر الماضي بسواحل قرقنة عندما غرق مركب مهاجرين إثر اصطدامه بخافرة عسكرية خلال عملية مطاردة.

وكان من ضمن ضحايا كارثة قرقنة نساء من بينهن حوامل، ويعتقد خبراء أن اليأس الذي أصابهن في أوطانهم بلغ ببعض النساء أن يرغبن في وضع مولود جديد في الأراضي الأوروبية ليسهل عليهن الحصول على وثائق إقامة على أمل أن يمنحن أطفالهن واقعا أفضل، وحتى هذه الآمال تصطدم بقيود قانونية مشددة في أوروبا.

وقبل حادثة قرقنة المأساوية تفطنت السلطات التونسية إلى أن تونسيات تسللن بطريقة غير شرعية إلى أوروبا، بعد إحباط نحو 164 محاولة للهجرة السرية (خلال الأشهر التسعة الأولى من عام 2017، من بين المهاجرين 1300 تونسي)، بينما تمكن 2700 آخرون من الوصول إلى السواحل الإيطالية، كما انتشر في وسائل إعلام آنذاك فيديو لسيدتين تونسيتين تتحدثان عن هجرة النساء التونسيات بطريقة غير شرعية إلى أوروبا.

وفي مقطع نشرته صفحة "مجلة ميم" على فيسبوك تحدثت خديجة عن حلمها بالهجرة إلى أوروبا وخاصة فرنسا، هربا من الظروف التي وصفتها بـ"القاسية" في تونس والتهميش الشديد لأبناء الأحياء الشعبية.

وكانت وزارة الداخلية التونسية قد كشفت في أكتوبر عام 2017 أن نسبة مشاركة النساء في الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا وخاصة إيطاليا قد ارتفعت إلى خمسة بالمئة بعد أن كانت لا تتجاوز واحدا بالمئة في 2016.

وأوضح رئيس المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية مسعود الرمضاني أن "نسبة مشاركة النساء التونسيات في الهجرة غير الشرعية ضئيلة رغم استمرار الظاهرة".

ووفقا للمنتدى، تشارك التونسيات بنسبة 4 بالمئة في عمليات الهجرة غير النظامية، في حين ترتفع نسبة مجموع النساء من مختلف الجنسيات إلى قرابة الـ60 بالمئة حسب المفوّضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة.

وبين الرمضاني لـ"العرب" أن"الواقع المعيشي الصعب لم يحجب نساء ينتمين إلى مجتمع محافظ من الهجرة بطرق غير نظامية".

ولفت إلى أن "التونسيات يعانين من ارتفاع البطالة بشكل مضاعف مقارنة بالذكور، إذ أن أكثر من 30 بالمئة من النساء يشتكين من قلة فرص العمل وانعدامها الأمر الذي يحرضهن على مغامرة خطرة".

وتلفت الهيئات الأممية والمنظمات الحقوقية إلى أن النساء في المنطقة العربية يواجهن مجموعة من الضغوط تحدد أين ومتى يمكنهن العمل، ما يتسبب في ضيق المجال المتاح من الوظائف أمامهن ويجعلهن يفكرن في البحث عن آفاق أرحب بعيدا عن أوطانهن.

وأشار الطيب الطويلي المختص التونسي في علم الاجتماع لـ"العرب" إلى أن "المرأة لا تركب قوارب الموت إلا في وجود خطر اقتصادي أو اجتماعي حقيقي محدق بها، ذلك أن العوامل الدافعة بالإناث إلى الهجرة تختلف عن الذكور، باعتبار أن الذكر يبحث عن ظروف اقتصادية واجتماعية أفضل، وقد يكون التفكك الأسري أو الصعوبة في الاندماج الاجتماعي دافعا بالذكور إلى ركوب الخطر بحثا عن أرض جديدة لتحقيق الأحلام. أما الأنثى فغالبا لا تركب خطرا بهذا الحجم إلا بعد اعتبارها أن الحياة في مجتمعها صارت مستحيلة بالفعل وأن المجازفة والمخاطرة أمر لا بد منه. أو عندما يكون النسيج الأسري متمزقا بغياب زوجها حيث نسجل عددا هاما من النساء اللاتي يهاجرن للالتحاق بأزواجهن".

ويلفت الطويلي إلى أن "تسجيل المرأة التونسية لـ4 بالمئة فقط من نسبة المشاركة في ركوب قوارب الموت يشير إلى أنها جديرة بمكانتها الاجتماعية المرموقة التي راكمتها منذ سنين عديدة وبوضعها السوسيو- ثقافي داخل بلدها والمتطور عن بنات جنسها من بلدان أخرى".

وأضاف أن "ارتفاع نسبة المهاجرات غير الشرعيات في قوارب الموت أو انخفاضه يجب أن نعتبره مؤشرا حقيقيا دالا على نسبة خطورة الوضع الأمني والاقتصادي والاجتماعي في البلد، فكلما زادت نسبة المهاجرات كلما وجب التفطن إلى أن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية شارفت على وضع خطير وجب معالجته، فالمرأة التونسية لا تختار 'الحرقة' إلا إذا كان محيطها يحترق فعلا".

هجرة المرأة المغربية

تونس ليست البلد الوحيد الذي ظهرت فيه هجرة النساء بطرق غير شرعية فالمغرب البلد المغاربي المجاور يعاني أيضا من هذه الظاهرة، وليست البطالة والتهميش اللتين تطبعان حياة بعض الشباب والشابات السبب الوحيد وراء تنامي الهجرة السرية بالمغرب، بل هناك عوامل أخرى كالانبهار بأوروبا التي ترى فيها الكثيرات أرض الأحلام والسعادة،

البحث عن الحلم الضائع في الضفة الأخرى

وهذا الحلم جعل من إحدى الفتيات ضحايا قوارب الموت تقر في مقطع فيديو مباشر على فيسبوك مؤخرا، أنها "إذا غادرت إلى إسبانيا لن تعود ففي إسبانيا كل شيء موجود".

وقال نائب رئيس المركز المغربي للشباب والتحولات الديمقراطية، حسام هاب، لـ"العرب" إن "هجرة المرأة المغربية إلى أوروبا عبر قوارب الموت ليست بالظاهرة الجديدة في المجتمع المغربي، بل كانت موجودة وإن بنسب أقل خلال موجات 'الحريك' التي عرفها المغرب خلال التسعينات، لكن الجديد هذه المرة في الظاهرة هو انتشارها الواسع إعلاميا بسبب رواج شبكات التواصل الاجتماعي في المغرب والتي أضحت توثق عبر بث مباشر للحظات هجرة المغاربة نحو الفردوس الأوروبي".

ورغم جهود السلطات المغربية لمكافحة الظاهرة إلا أن المواقع الاجتماعية قدمت فرصة للتواصل بين المهربين والباحثين عن الهجرة، عبر صفحات وغروبات مفتوحة للعموم وأخرى مغلقة، تقدّم كلها معلومات عن طرق وأساليب التهريب التي تسمح بالوصول إلى أوروبا.

وشدد هاب على ضرورة التعامل مع إشكالية هجرة الشباب وخاصة العنصر النسوي باعتبارها ظاهرة اجتماعية ناجمة عن خلل وجب إصلاحه، ويجب أن يتم ذلك وفق استراتيجية اجتماعية واقتصادية وتربوية متكاملة تشرك كل الفاعلين وتراعي مصلحة كل الأطراف. وأشار إلى أن الزيادة الديموغرافية للشباب في الهيكل العمري السكاني بالمغرب ستكون نتيجتها حتما ارتفاع احتياجاتهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، بالنظر إلى أن المرحلة العمرية الشابة هي المرحلة الأكثر تأثيرا في تكوين الاتجاهات والقيم السلوكية والمدركات الاجتماعية، وبالتالي سترتفع معدلات لجوء المرأة إلى الهجرة إذا لم يستوعب الطلب الاقتصادي في الأفق القريب النمو الديموغرافي.

وبعيدا عن المغرب فقد تسللت النساء في مصر إلى قوارب الموت، منهن هاربات من تسلط ذكوري، وبعضهن مهاجرات بمفردهن وأخريات بصحبة أزواجهن، وبعضهن حملن أطفالا على الأكتاف أو أجنة في الأرحام.

وكانت بداية كشف إقبال المصريات على الهجرة غير الشرعية في سبتمبر 2016، عندما غرق مركب "رشيد" بالقرب من سواحل محافظة البحيرة، وإعلان وزارة الصحة العثور على جثث لفتيات في عقدهن الثاني من محافظات مختلفة، فيما نجت 10 نساء.

لكن سبقت هذه الحادثة، حادثة مماثلة قبل ثلاثة أشهر حين عثرت القوات البحرية المصرية على 9 جثث متحللة بينها جثة سيدة مصرية، كما غرق مركب كان متجها إلى سواحل أوروبا، وانتشلت القوات البحرية 12 شخصا، بينهم 3 سيدات.

تذكرة موت مصرية

تدفع مجازفة النساء بسلامتهن في قوارب الهجرة، إلى التساؤل هل وصل الحال بالمرأة إلى الاستقواء على طبيعتها الأنثوية والتفريط في حياتها بهذه السهولة؟ إجابات النساء المهاجرات تختلف من امرأة إلى أخرى بسبب اختلاف المبرر للإقدام على مغامرة قد تكون عواقبها إما الموت أو الفقد وإما السجن، ومع اختلافها فهي بحاجة إلى دراسة عميقة غابت عن جميع المراكز البحثية في مصر.

أمل وجيه، وهي سيدة مصرية ثلاثينية، تعيش حاليا مع زوجها (47عاما) في إيطاليا بعد وصولها إليها عبر هجرة غير شرعية، كلفتها الرحلة حوالي 2248 دولارا، وخلال اتصال هاتفي مع "العرب" تروي قصتها مع قوارب الموت التي تقول إنها اختارت أن تمطيها هربا من مرارة الواقع.

وأشارت إلى أن فتيات كثيرات يعشن في مناطق شعبية وقرى فقيرة نشأن في كنف مجتمع يقبع في مخيلته أن كل أنثى هي الست "أمينة" جارية لـ"سي السيد" في الفيلم المصري "بين القصرين"، وهي شخصية تخضع للفكر الذكوري بكل ما يحمله من تسلط.

نشأت أمل في "الزاوية الحمراء"، وهي منطقة شعبية بوسط القاهرة، وأدركت أنه لا حقوق ولا كرامة للمرأة في منطقتها، فلم تسلم يوما من التحرش اللفظي أو الجسدي، وعندما تزوجت كان سبب سعادتها التخلص من العنوسة. وبعد أربعة أشهر تركها الزوج في رحلة هجرة غير نظامية للعمل بمجال السياحة في إيطاليا، وبعدها بأيام فاجأها بزواجه من إيطالية حتى لا يتم ترحيله، حينها راودتها فكرة السفر إليه وعزمت على الالتحاق به عندما تأكدت أنها تحمل جنينا بين أحشائها.

ولم تكن خطوة السفر فقط تحت تأثير العاطفة بل كان السفر للفتاة أمنية تخالجها كلما رأت احتفاء أهالي المنطقة بالقادمات من دول الخليج محملات بالهدايا للأقارب والجيران، في حين أنها كانت تعاني من ظرف مادي صعب. لم تبال حاملة الشهادة الجامعية بما سيلحق بها وبطفلها، فهو أقل ضررا من نظرات الشفقة أو التشفي في عيون المحيطين بها، حيث سافرت على متن مركب استقلته من ميناء الإسكندرية حمل على ظهره 250 فردا من جنسيات مختلفة. تشير أمل إلى أن ما طمأنها هو وجود أخريات على المركب، فهناك نساء بصحبة أزواجهن، وأيضا سيدة هربت من حكم بالطاعة وأخرى من السجينات قضت عقوبتها وعندما غادرت السجن لم تحتمل النظرة المجتمعية وغدر الزوج، وما لفت نظر أمل وجود خمس فتيات في العشرينات أو أقل، بشرتهن سوداء، علمت بأنهن في طريقهن لصديقات تعرفن عليهن من خلال فيسبوك ووفرن فرص عمل لهن بمدينة صقلية.

لا تتذكر أمل عدد الأيام التي قضتها على المركب، لشدة الألم والدوار اللذين ألما بها طوال الرحلة، لكن ما زال عالقا بأذنها صرير الرياح وهدير الأمواج التي تنفض المركب بين فينة وأخرى لتلطمه فتطرحهم أرضا، قائلة إن الرحلة بالنسبة لنساء كثيرات كانت "تذكرة موت"، حيث استحضرت عنوانا قرأته لمشروع تخرج اختاره فريق طلابي بقسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة عين شمس، في إطار حملة أطلقت لمعالجة الظاهرة، لكن بالنسبة لها فهي "تذكرة موت من أجل الحياة" وللنجاة من الواقع البائس الذي كانت فيه.

ورغم القصص المؤلمة لم تتحول هجرة المصريات بطرق غير شرعية حتى الآن إلى ظاهرة بعدُ طبقا لتصريح لوران دي بويك، مسؤول برامج المنظمة الدولية للهجرة في مصر، كما لم يذكر عدد المهاجرات لصعوبة ذلك بسبب طبيعة هذا النوع من التحركات التي تجري خارج القنوات النظامية.

وأدت الإجراءات التي اتخذتها الحكومة المصرية لمكافحة الظاهرة إلى تراجع معدلاتها بصورة كبيرة، لكن هناك تخوفات من عودتها، أمام توقعات بأن تشهد السنوات المقبلة ارتفاعا في نسبة النساء المهاجرات على قوارب الموت، نتيجة التدهور الاقتصادي والعزوف عن الزواج والاتكالية الذكورية.

وأوضحت هناء عشماوي، أستاذة علم الاجتماع، لـ"العرب" أنه رغم إصدار الحكومة القانون 82 عام 2016 المتعلق بالهجرة غير الشرعية والاتجار بالبشر، والتشديدات الأمنية، وتحريم رجال الدين لها باعتبارها محاولة انتحار، كل هذا الحزم لم يثن النساء على امتطاء قوارب الموت كما لم يكترثن لاحتمال موتهن غرقا أو المعاناة التي ستنتظرهن.

ودللت على ذلك بأن محاكمة 50 شخصا منذ أسابيع بتهمة القتل العمد بأحكام تتراوح ما بين 3 و25 سنة، لتسببهم في غرق مركب "رشيد" لم يكن رادعا لتكرار المحاولة، فقد أعلنت البحرية الليبية أن قوات حرس السواحل أنقذت 16 مهاجرا غير نظامي، بينما اعتبر أكثر من 100 شخص في عداد المفقودين، بينهم رضيع مصري في إشارة إلى أسرة مصرية كاملة، أفرادها من النساء.

وتقول إحدى الفتيات من قرية برج مغيزل بمحافظة كفر الشيخ في شمال مصر لـ"العرب" إن "المخاطر في عرض البحر لن تثني رغبتي الدفينة للوصول إلى شواطئ اليونان والالتحاق بمن أحب حال توفر الفرصة المناسبة".

وتريد الفتاة التي درست علم النفس الالتحاق بمن تحب بعد أن سافر منذ 4 سنوات إلى اليونان، لكنه لم يستطع إلى الآن توفير متطلبات زواجهما، وبسبب ذلك فسخت خطبتها، ثم وافق والدها على زواجها من رجل آخر وتحولت إلى ما يشبه سلعة تباع لمن يدفع أكثر. وبينت أن هذا حال الكثير من صديقاتها اللاتي ينتظرن الفرصة المناسبة للهروب من قيود المجتمع، والانتقال إلى دول أخرى حتى إن كانت الوسيلة قوارب متهالكة، وأردفت بقولها "ركوب المجهول بتذكرة موت، ليس أشد قسوة من اغتراب داخلي في مجتمع لا يرى في المرأة إلا جسدا لإرضاء الغرائز وإنجاب الأطفال".

وتكشف تجارب العربيات الراغبات في الهجرة عن حقيقة مهمة، وهي أن المرأة اليوم على استعداد للمخاطرة من أجل تحقيق طموحها، وهذا بدوره يبرهن على أن حركة النساء من الدول التي فشلت في توفير حياة كريمة لهن، إلى الدول المتقدمة، هي حركة لا مناص منها.

شارك في إعداد التقرير:
محمد بن امحمد العلوي

الطيب الطويلي:
4 بالمئة هي نسبة مشاركة التونسية في ركوب قوارب الموت وهي تشير إلى أنها جديرة بمكانتها الاجتماعية المرموقة

مسعود الرمضاني:
أكثر من 30 بالمئة من النساء في تونس يشتكين من قلة فرص العمل وانعدامها الأمر الذي يحرضهن على الهجرة غير الشرعية

حسام باه:
توثيق لحظات الهجرة نحو «الفردوس الأوروبي» عبر بث مباشر ساهم في تحفيز مغربيات على الهجرة غير النظامية

هل يلعب عمر الحماة دورا مؤثرا في علاقتها بكنتها

طريقة التعامل والبناء النفسي يحكمان العلاقة بين الحماة والكنة

بقيت علاقة الصراع والتنافر قائمة بين الحماة والكنة بالرغم من تطور المجتمعات العربية وتغيّر نمط المعيشة داخل العائلة واستقلالية غالبية الأبناء في السكن بعد الزواج، لكن هناك من يرى أن عمر الحماة لديه تأثير على طبيعة علاقتها بكنتها وعلى مجرى حياة أولادها الزوجية، فقد يتيح لها صغر سنها فرصة الاقتراب من الكنة، إن كانت خمسينية مثلا، وإن كانت أكبر فقد يكون سببا للمنافسة بينهما.

سعاد محفوظ

سند أم عبء

❏ **القاهرة** – تشترك الحماة والكنة في الارتباط بنفس الشخص الذي تعتبره الحماة مهما كبر في السن ابنها، الذي لديها رابطة غريزية وعاطفية به تميزها عن بقية النساء من حوله، وهو نفسه الزوج الذي تعتبر الكنة أنه شريكها في الحياة وفي بناء أسرتهما وحياتهما المستقلة عن عائلتها وعائلته. هذا الاشتراك يجعل العلاقة بين الطرفين خاضعة للعديد من المعايير التي إما تجعلها علاقة عائلية طيبة وإما تصبغها بطابع التوتر والصراع الدائم.

وتعتبر الكثير من السيدات أن عمر الحماة له دور وتأثير على طبيعة العلاقة، لأن الحماة في عمر الخمسين تختلف بالضرورة عن مثيلتها في عمر السبعين أو الثمانين سنة بحكم التجربة في الحياة والخبرة والقوة والقدرة على السيطرة وغيرها.

وتقول علياء (45 عاما) إن حماتها قد بلغت السبعين من عمرها "أعتبرها أمي الثانية، فهي طيبة وتعاملني كابنتها وترعى أولادي وتساعدني في توفير طلبات البيت وعندما تحدث مشكلة بيني وبين زوجي تقف في صفي ضده.. وهذا نادرا ما يحدث من قبل الحموات رغم أنه ابنها الوحيد".

> لا تأثير لعمر الحماة، فسواء كانت صغيرة السن أو كبيرة، فالشخصية هي الأساس والبناء النفسي هو الذي يتحكم في علاقاتها وفي ردود أفعالها، وليست السن

أما وفاء (23 عاما) فتقول "حماتي صغيرة في السن (45 عاما) ولا تعمل، لكنها تهتم بنفسها وأناقتها وجمالها جدا فتبدو كما لو أنها في الثلاثين. أشعر دائما أنها منافسة لي فهي تهتم بمظهرها.. تجدد لون شعرها وتسريحته وتواكب الموضة، ما يجعلني موضع نقد بالنسبة لها لأنني بسيطة في مظهري، وتدخلها المستمر في حياتي جعلني لا أطيقها، فتسريحة شعري من وجهة نظرها لا تناسب وجهي، وأنا نحيفة جدا ويجب أن أزيد في الوزن، ولا أعرف كيف أختار الألوان أو أنظم بيتي". وتتابع "هجومها المستمر جعلنا في تصادم دائم، وأثر على حالتي النفسية وعلى حالة الوفاق بيني وبين زوجي وبعد وفاة زوجها أصبحت تستدر عطف زوجي بحجة أنها وحيدة وليس لها سند غيره.. ما جعلنا نترك بيتنا تلقائيا لنقضي معظم أيام الأسبوع معها.. وأمام زوجي تمثل دور الطيبة وفور انصرافه للعمل تعود إلى طبيعتها المتسلطة. وبالطبع حين أقص على زوجي أيّ واقعة حدثت في غيابه يستنكرها ويتهمني بالافتراء فتصبح هي الضحية وأنا الجاني".

أما منى (28 عاما) فتحكي عن حماتها التي تبلغ خمسين عاما قائلة، "علاقتي مع حماتي على أحسن ما يكون فعلى الرغم من قوة شخصيتها وحبها للتحكم في أفراد أسرتها فهي طيبة وأراها دائما مشغولة في علاقتها مع الأصدقاء والأهل، ولذلك علاقتي بها حيادية، فلديها من المشاغل ما يملأ حياتها حيث لا تترك لها أي وقت لخلق مشاكل أو لتحمل أعباء زائدة مثل التدخل في مشاكلي".

وتحكي حنان (28 عاما) عن تجربتها فتقول "منذ بداية تعرفي على حماتي التي تبلغ سبعة وخمسين عاما، وهي تشعرني بحبها لي ولا تبخل علي بنصائحها.

وبعد الزواج كانت تساعدني كثيرا في الاهتمام بشؤون بيتي وبعد الإنجاب شجعتني على سرعة العودة إلى عملي بإصرارها على تحمل مسؤولية طفلتي الرضيعة واستمر تعاونها مع طفلتي الثانية ومازالت نهرا من العطاء المتجدد الذي لا ينضب". ويقول أستاذ الطب النفسي بجامعة قناة السويس إسماعيل يوسف "هناك فرق بين حماة الزوجة وحماة الزوج لأن هناك فرقا في التعامل في العلاقتين وفي الغالب حماة الزوجة ومشاكلها مع الكنة قضية قديمة وتاريخية تحدث عنها التراث الشعبي وضرب بها الأمثال".

ويوضح أن الحماة ترى أنها ربت ذكرا أي من هو أعلى من الأنثى ثم تأتي أنثى ثانية لتخطفه منها ويحدث للذكر الزوج استقطاب من زوجته وأسرتها وقد يترك أمه أو يستمع لكلام زوجته. ولا تأثير لعمر الحماة، فسواء كانت صغيرة السن أو كبيرة، فالشخصية هي الأساس والبناء النفسي هو الذي يتحكم في علاقاتها وفي ردود أفعالها وليست السن، فقد تكون سنها صغيرة إلا أنها متفهمة ومتعاونة وقد تكون كبيرة ولكنها متسلطة وفظة.

وتكمن المشكلة فعلا في الطرفين: الزوجة والحماة؛ فقد تكون الحماة مظلومة وزوجة الابن سيئة ومتسلطة، أي لديها حب السيطرة، وعندما يكون الزوج ضعيف الشخصية قد تقطع زوجته علاقته بأمه، والأم عامة تكون في الموقف الأضعف لأن الزوجة تستطيع أن تسيطر على الموقف سواء بكسب الزوج أو بكسب ود حماتها، وبإمكان العلاقة أن تستمر بنجاح إذا أحسن التصرف فردٌ واحد سواء كان الزوج أو الزوجة أو الحماة، ولكن قد تزداد مشكلة الزوجة صعوبة إذا اتفق الزوج مع أمه ضدها، وتكون مهمة الكنة هنا أصعب ولكن بإمكانها كسبها إذا استمالت أحد الطرفين.

ويضيف يوسف إذا صنفنا الحموات تبعا للسن فإن الحماة في سن الخمسين إلى الـ65 سنة من المرجح أن تكون أفضل في التعامل، لأن التعامل معها أسهل بحكم التقارب في السن مع الكنة، أما السن الكبيرة فوق السبعين فإن التعامل معها يكون أصعب لأنه في مرحلة الشيخوخة تحدث ردة في الشخصية، وتبدأ سمات الطفولة في الظهور وتريد الأم وقتها من ابنها أن يرعاها قبل الجميع وقد تختلق المشاكل لأتفه الأسباب.

وأحيانا تصبح الحماة مصدر قلق ومتاعب للزوجة ولكن إذا تفهمت الزوجة متاعب التقدم في العمر فإنها سوف تساعد الابن على تحمل أمه وهذا واجبها تجاه زوجها وواجبها للحفاظ على أسرتها.

أما إذا كانت الحماة صغيرة في السن؛ أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات، ففي هذه الحالة تكون إما عاملة أو ربة بيت، ولديها مشاغلها ومسؤوليتها التي تمنعها من التدخل في حياة ابنها، ومن الممكن أن تتفهم المشاكل التي يتعرض لها الابن وزوجته أو على الأقل لديها الحد الأدنى من الوعي وتحاول أن تكون الحماة لطيفة، وهي غالبا مشغولة بأسرتها ترعى أولادها ولا يوجد لديها وقت لإثارة مشاكل أو للتدخل في شؤون زوجة ابنها.

التعصب الرياضي وتداعياته على المنظومة الأخلاقية

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ في كل مرة نكتشف أن الانخرام الأخلاقي تتصاعد وتيرته بشكل مفزع، فبعد جرائم القتل والاغتصاب والتحيّل الشنيعة والتي يقف العقل عندها عاجزا عن الفهم والإدراك، تطالعنا فصول أخرى من انتشار هذه الظاهرة لا تقل بشاعة.

الصادم فعلا أن تتحوّل كرة القدم من لعبة مسلية ذات بعد تثقيفي وحضاري وأداة من أدوات التلاقح الحضاري والانصهار الإيجابي بين الأمم والشعوب إلى مدعاة للكراهية والتلاسن المقيت بألفاظ نابية من التجريح والشتم.

من المفروض أن تكون مقابلة النهائي في أي مسابقة محلية أو إقليمية أو قارية أو عالمية، عرسا كرويا يحمل إلى جانب التسلية والترفيه فيه بعدا تثقيفيا يسمو بقيم التسامح والتحابب والتآخي من منطلق إنساني بحت، لا دخل للحسابات السياسية أو الفكرية أو العقائدية أو الأيديولوجية فيه. ولكن للأسف الشديد أضحت هذه اللقاءات الرياضية مناسبات لبث الحقد والضغينة والشتم والتجريح من خلال توظيف ذلك بطريقة متعصبة لفريق أو شعب أو أمة أو سياسة أو أيديولوجيا.

نتذكر جيدا ما حدث في لقاء جمع منتخبي مصر والجزائر وما انجرّ عن ذلك من تشنج وصل إلى حدّ فتور العلاقات بين البلدين، كما نستحضر مقابلة النهائي لكأس رابطة الأبطال الأفريقية التي أقيم الذهاب في مصر في الـ2 من نوفمبر والإياب في تونس في الـ9 من نوفمبر الجاري. هاتان المقابلتان شهدتا قبلهما وبعدهما مشاحنات كبيرة واتهامات من الجانبين بالتأثير على الحكام.

ليس الإشكال في الوله بفريق ما وتشجيعه باستمرار والفرح بنجاحاته والحزن لكبواته، ولكن الإشكال يكمن في التعصب المفرط الذي يقود إلى العنف اللفظي والمادي أحيانا. ونلاحظ أن للأسر دورا جوهريا في الموضوع بما أن الآباء المتعصبين خاصة لنواديهم يؤثرون على أطفالهم ويربونهم بوعي على التعصب لهذا الفريق أو ذاك، وكم من زوجة اشتكت، خفية وعلنا، من تعصب زوجها واستخفافه بأحوال أسرته لا لشيء إلا ليتفرج على مقابلة يخوضها فريقه المفضل مهما كانت قيمتها.

فكيف لا يكون أطفاله أشدّ منه تعصبا؟ وكيف نلومهم على تعصّبهم إذا كان ذلك من ضمن المسار التربوي الذي تلقوه في عائلاتهم وعلى يد آبائهم وأمهاتهم؟

ما أذكى بالتأكيد هذا الصراع المحموم وسائل التواصل الاجتماعي التي سهّلت انتشار التلاسن الفيسبوكي والذي يتطور في تصاعد سريع ليمسّ بجوهر النقاش والجدال والحوار المبني على الاحترام المتبادل رغم اختلاف الرؤى والميولات.

تدخل جهات سياسية على خط المناكفة لاستثمار الزخم الجماهيري للعبة كرة القدم قد تكون لتسجيل مواقف سياسية من طرف ما، كما حدث في ملعب رادس بتونس في نهائي البطولة الأفريقية برفع صورة محمد مرسي في تعبير عن تأييد حركة الإخوان المسلمين في مصر ورفض ما يسمونه بـ"انقلاب السيسي"، ومن التعليقات في هذا المجال "انتصرت الثورة على الانقلاب".

الأمر لا يتعدى مقابلة كرة قدم تدوم تسعين دقيقة وتدخل طي التاريخ، ولذلك فالتوظيف السياسي لمثل هذه المقابلات لا يعدو كونه انتهازية سياسية تسعى للتحشيد وربما زرع الفتنة بين أبناء الشعب الواحد أو بين الشعوب الشقيقة والصديقة.

عملية التجييش والتحشيد التي تسبق المقابلات يتولد عنها نشوب عنف إما بين مناصري الفريقين فيتبادلون الشتائم والسباب ثم الرشق بالقوارير والمواد الصلبة وإما الاشتباك بالأيدي ما يفرز فوضى عارمة، وقد تحدث المشاحنات بين أنصار الفريق الواحد، فيتدخل رجال الأمن والشرطة وقد يضطرون لتفريق الجماهير باستعمال العنف أو يسلط عليهم العنف من طرف الجماهير. فيقع توقيف البعض من الجماهير وتقلق عائلاتهم وتعيش مرحلة من التشنج والانتظار وقد يتطور الأمر ليصبح قضايا عدلية منشورة في المحاكم.

من المفروض أن لعبة كرة القدم أو أي رياضة أخرى، جسدية كانت أو فكرية، مظهر ثقافي يضطلع بمهام ترفيهية وتثقيفية صلب العائلة والمجتمع، ولكن -بفعل التعصب- يقع الانحراف عن هذا الهدف السامي فتنحرف بذلك المنظومة الأخلاقية برمتها، فيصبح من الصعب على من لم يتعوّد سماع الألفاظ النابية والسلوكيات الشاذة والعنف أن يسمح لنفسه أو لأحد أفراد عائلته بالذهاب إلى الملاعب والتمتع بمشاهدة مقابلات في كرة القدم. الغريب أنني لم أستطع أن أكمل مشاهدة النهائي بين الأهلي المصري والترجي التونسي في المقهى وليس في الملعب لما بدر من بعض الشبان من صياح وكلام خارج عن النطاق وسب وشتم حتى وصل الأمر إلى سب الجلالة.

السؤال المطروح وبإلحاح: كيف يمكن تنقية الأجواء في الملاعب وعلى صفحات وسائل التواصل الاجتماعي لنبذ التعصب الذي يقود إلى أمر في غاية الخطورة؛ وهو العنف اللفظي الذي انتشر في كل الأوساط الشبابية بمن فيهم بعض الفتيات، مع التنسيب طبعا للظاهرة.

لا بدّ حسب اعتقادنا من مجهود وطني عام وشامل يمتدّ من المدارس إلى الثانويات إلى الجامعات إلى دور الثقافة والشباب إلى المؤسسات الإعلامية والفنية، لزرع ثقافة الاختلاف وثقافة التعايش السلمي وثقافة احترام الآخر، مع الابتعاد عن التوظيف السياسي الرخيص لهذه المناسبات.

طبق اليوم

باذنجان باللحمة المفرومة في الفرن

* **المقادير:**
- 3 حبات من الباذنجان
- 5 حبات طماطم
- حبة بصل
- حبتان من الفلفل
- ملح حسب الذوق مع بهارات مشكلة ومكعب من المرقة.
- القليل من البقدونس للزينة
- زيت للقلي
- 1 كيلوغرام لحمة مفرومة
- 2 حبات بطاطا حسب الرغبة

* **طريقة الإعداد:**
- ينظف الباذنجان
- يقطع إلى شرائح طولية أو دائرية ثم يرش بالملح ويترك ليتشربه.
- يقلى الباذنجان في الزيت عميقا ثم يوضع في طبق الفرن.
- يفرم البصل، ويقلى في قليل من الزيت حتى يذبل ويصبح ذهبي اللون.
- يضاف اللحم المفروم والملح إلى البصل
- يضاف إلى الخليط مكعب المرقة والبهارات المشكلة.
- يوضع الخليط بعد أن ينضج اللحم في نفس الطبق مع الباذنجان.
- تقطع الطماطم والفلفل ثمّ يضافان إلى بقية المكونات في الطبق.
- يمكن توزيع المكونات في شكل طبقات أو مزجها مع إضافة البطاطا في الطبق.
- يوضع الطبق في الفرن حوالي نصف ساعة
- يخرج الطبق من الفرن يترك إلى أن يبرد قليلا.
- يوزع المحتوى على صحون التقديم ثم تزين بالبقدونس.

موضة

موضة اللعبة باربي تدخل عالم المقاسات الكبيرة

❏ **نيويورك** – بمناسبة عيد ميلادها الستين، انتدبت شركة باربي متعاونة جديدة حاولت إدخال الحياة على تصاميم ملابس اللعبة باربي وجعلها مقبولة ومناسبة للنساء وبجميع المقاسات.

وتعمل المصممة كواحدة من أكبر المروجين للملابس المستوحاة من الطراز القديم مع شركة باربي الأم ماتي على الطراز الأنثوي لوضع تصاميم ولوكات تشبه أكثر ما يمكن شكل الدمية باربي. وخلال هذه العملية، اهتمت الشركة أيضا بما يثيره النقاد حول شكل باربي لكونها على بنية الساعة الرملية المصنوعة من البلاستيك والتي تحاكي الجسم النحيف واقترحت الشركة تصاميم جديدة لأزياء باربي من المقاسات الصغيرة إلى الكبيرة اكس4.

وقامت العارضات المرتديات لملابس باربي بعرض ملابسهن وفي أيديهن اللعبة باربي وقد كسيت بنفس الزي، وظهرت عارضات بدينات مرتديات أزياء باربي في مقاسات كبيرة الحجم.

وتسعى الشركة إلى الترويج عبر الإنترنت وفي متاجرها حول العالم لأزياء باربي في جميع المقاسات والأحجام من 0 إلى 6 في العام المقبل.

من الرجل الثاني إلى صائد دوري أبطال أفريقيا

معين الشعباني أصغر من قاد الترجي للتربع على العرش القاري

قررت إدارة نادي الترجي التونسي، برئاسة حمدي المدب، تثبيت معين الشعباني مديرا فنيا للفريق، بعدما كان مدربا مؤقتا بعد التتويج بلقب دوري أبطال أفريقيا. الترجي استطاع أن يفوز على الأهلي المصري، في إياب نهائي دوري أبطال أفريقيا، ليتوج بالأميرة السمراء الثالثة في تاريخه.

مراد بالحاج عمارة
صحافي تونسي

❑ **تونس** – يواصل أحباء الترجي التونسي تشجيع فريقهم بعد تتويجه بدوري أبطال أفريقيا، إثر الفوز على الأهلي المصري. ووراء التتويج يقف مدرب شاب، هو أصغر من قاد فريق باب سويقة إلى هذا اللقب الأفريقي، معين الشعباني الذي سيذكره الترجي طويلا، لأن هذه البطولة تزامنت مع احتفالات النادي بمئويته. ونجح الشعباني في أول تجربة له كمدير فني للترجي التونسي، وقاد الفريق إلى التربع على عرش الكرة الأفريقية، والحصول على لقب دوري الأبطال بعد غياب. وراهن حمدي المدب رئيس الترجي على الشعباني، بعدما قررت إدارة النادي إقالة المدرب خالد بن يحيى في توقيت صعب.

وكسب المدب الرهان، بما أن معين الشعباني، المساعد السابق لبن يحيى، أهّل الترجي إلى النهائي بعد مباراة مثيرة إيابا مع بطل أنغولا، ثم نجح في كسر النحس الذي رافق فريقه في ملعب رادس أمام الأهلي المصري، في النهائي.

وبات الشعباني (37 عاما)، أصغر مدرب يقود الترجي إلى اللقب، وأصغر مدرب محلي يفوز بدوري الأبطال مع فريق تونسي. وقاد المدرب فوزي البنزرتي، الترجي إلى لقبه الأفريقي الأول، سنة 1994، حينما كان عمره 44 عاما، أما اللقب الثاني ففاز به فريق باب سويقة، مع المدرب نبيل معلول، سنة 2011، وكان سن الأخير آنذاك 48 عاما.

وأكد الشعباني في تصريحات صحافية أن هذا التتويج القاري يعني له الكثير، ويعتقد أنه لا يمكن أن يتمنى بداية أفضل من ذلك، بالفوز بلقب انتظره الترجيون طويلا، وهذا اللقب سيبقى في ذاكرة كل أفراد العائلة الترجية، باعتباره تزامن مع احتفالات الفريق بمئويته.

> إدارة نادي الترجي منحت امتيازات جديدة لتدريب الفريق التونسي خلال الفترة المقبلة، حيث سيستعد في الأيام المقبلة لكأس العالم للأندية التي ستقام في الإمارات

وحول توليه مهمة تدريب الترجي خاصة وأن أول مباراة له كانت أمام بريميرو دي أوغستو في إياب نصف النهائي، قال الشعباني إن قرار رئيس الترجي حمدي المدب كان شجاعا وجريئا، بأن يضع ثقته في مدرب شاب، ومن يريد النجاح في ميدان التدريب عليه ألا يخاف، ووجه شكره لرئيس الترجي الذي وثق به، وكان هو -المدرب- في مستوى هذه الثقة.

كما وجه الشعباني شكره لجمهور الترجي الرياضي الذي كان رائعا في رادس، وكان جمهورا مسؤولا، وهو الذي ساعد الفريق على اعتلاء منصة التتويج. وأيضا أهدى اللقب للمدرب خالد بن يحيى الذي ساهم في هذا التتويج، وشكر كل التونسيين الذين كانوا حقا وراء الترجي في نهائي خارق للعادة.

وتنتظر المدرب الشاب وفريقه الترجي المشاركة في مونديال الأندية، وهذا الموعد العالمي يتمنى كل لاعب وكل مدرب الحضور فيه، ولذلك أكد الشعباني أنه سيحرص خلاله على تشريف تونس والترجي الذي يبقى فريقا كبيرا على جميع المستويات، ومن المتوقع أن يكون فريق باب سويقة في مستوى الحدث، ويؤكد من جديد جدارته بالتربع على عرش الكرة الأفريقية.

ومنحت إدارة نادي الترجي، امتيازات جديدة لتدريب الفريق التونسي خلال الفترة المقبلة، حيث سيستعد في الأيام المقبلة لكأس العالم للأندية التي ستقام في الإمارات.

وواصل التونسي معين الشعباني، المدير الفني لنادي الترجي، سيطرة المدربين المحليين على بطولة دوري أبطال أفريقيا في السنوات الثلاث الأخيرة. في عام 2016، تمكن الجنوب أفريقي بيتسو موسيماني من قيادة صن داونز إلى تحقيق لقب البطولة بعد الفوز على الزمالك المصري.

وفي العام الماضي استطاع المغربي الحسين عموتة، الحصول على لقب الأميرة الأفريقية مع الوداد المغربي بعد الفوز على الأهلي في النهائي. الجدير بالذكر أن تلك هي المرة الثالثة في تاريخ الترجي التي يحصل فيها على الأميرة الأفريقية بعد 1994 و2011.

وتصدر معين الشعباني عن جدارة المشهد الرياضي العربي والقاري. ولا يملك الشعباني أي خبرات في منصب المدير الفني، الذي تولاه منذ أسابيع، خلفا للمدرب خالد بن يحيى. وعمل معين الشعباني مساعدا على مدار موسمين في الترجي، حتى نجح في حصد اللقب القاري مع الفريق التونسي. وتحول الشعباني من الظل إلى منصة التتويج باللقب القاري، ليعيد إلى الأذهان تجارب التحول من دور الرجل الثاني وحصد اللقب القاري.

أمثلة شهيرة

من أشهر الأمثلة في هذا الصدد المدرب الإيطالي روبرتو دي ماتيو، الذي أعلن اعتزاله عام 2002 ثم عمل مدربا لنادي ميلتون دونز ثم قاد وست بروميتش ألبيون، قبل أن يعمل مساعدا للمدرب أندريه فيلاش بواش، ثم تولى منصب المدير الفني للبلوز في مارس 2012.

وصنع دي ماتيو المفاجأة بقيادة تشيلسي لإحراز لقب دوري أبطال أوروبا عام 2012 على حساب بايرن ميونخ الألماني. ولم يكن دي ماتيو من المدربين أصحاب الاسم اللامع، والغريب أنه عاد إلى الظل مجددا بعد رحيله عن تشيلسي.

من جانبه أبدع الفرنسي زين الدين زيدان، المدير الفني السابق لريال مدريد الإسباني، بعد أن تخلص من دور الرجل الثاني مع الإيطالي كارلو أنشيلوتي، وقاد الملكي إلى السيطرة على لقب دوري أبطال أوروبا.

وتوج الملكي مع زيدان كمدرب مساعد بجوار أنشيلوتي بلقب التشامبيونزليغ عام 2014، ثم قاد الفريق كمدير فني لحصد 3 ألقاب متتالية في دوري الأبطال أعوام 2016 و2017 و2018.

وتفوق المدرب يواكيم لوف بشكل واضح، في منصب المدير الفني لمنتخب ألمانيا، بعد أن عمل مدربا مساعدا ليورغن كلينسمان، الذي فشل في حصد لقب مونديال 2006. ونجح لوف في حصد مونديال 2014 وكأس القارات عام 2017، حين تولى منصب المدير الفني لمنتخب المانشافت.

على المستوى الأفريقي، نجد تجربة مميزة بطلها حسام البدري الذي عمل في منصب الرجل الثاني مع مانويل جوزيه لفترة طويلة، وحصد معه لقب دوري أبطال أفريقيا أعوام 2005 و2006 و2008. ومع تولي حسام البدري مسؤولية قيادة الأهلي كمدير فني في الولاية الثانية، حصد لقب دوري أبطال أفريقيا عام 2012.

وأكمل محمد يوسف، المدرب العام الحالي للأهلي، بطولة دوري أبطال أفريقيا عام 2013، بعد رحيل حسام البدري إلى أهلي طرابلس الليبي. ونجح محمد يوسف في حسم لقب دوري الأبطال عام 2013، بعد أن تولى منصب المدير الفني لأول مرة مع النادي الأهلي.

بدايته كانت مع أصناف الترجي عام 1994 في سن الـ13، وترد مع كل أصناف الشبان إلى حدود آخر سنة 1999 حين التحق بالفريق الأول لنادي باب سويقة حيث قضى داخل أسواره ثماني سنوات كاملة. كانت سنوات كلها تتويجات.

بعد ذلك انتقل إلى نادي أنقرة في تركيا، لكنه لم ينه العقد الذي يربطه بالفريق التركي والذي كان يمتد لثلاث سنوات وحصل طلاق بالتراضي لأسباب مادية.

ثم بعد ذلك رجع إلى الدوري التونسي لكن من بوابة نادي حمام الأنف، بعد ذلك تحول للاحتراف ضمن صفوف القادسية الكويتي. وفي سنة 2014 قرر اعتزال اللعب والدخول ضمن أعضاء الإطار الفني لفريق حمام الأنف مع المدرب الفرنسي جيرارد بوشار الذي لم يكمل الموسم ليسلم المهمة للمدرب معين الشعباني. بعد ذلك قرر الشعباني العودة إلى فريقه الأم الترجي التونسي كمدرب مساعد لعمار السويح، ثم مع المدرب المخضرم فوزي البنزرتي، ثم مع المنذر الكبير وبعد ذلك مع المدرب خالد بن يحيى. وأخيرا تولى قيادة فريق الترجي كمدرب أول لتكون بداية مسيرته مع لقب دوري أبطال أفريقيا.

في عمر الـ23 سنة مر المدرب الشاب معين الشعباني بأزمة صحية كادت تحرمه من ممارسة كرة القدم، لكن حبه للعبة وقوة شخصيته وإصراره كلها عوامل ساعدته على المضي قدما في عالم الساحرة المستديرة، ليمر الأخير من لاعب إلى مدرب وصولا إلى تتويجه باللقب القاري وتكبر طموحاته للفترة القادمة.

لم تكن جماهير الترجي التونسي تشعر بتفاؤل لما يمكن أن يقدمه الفريق تحت قيادة مدربه السابق خالد بن يحيى رغم كونه أحد أبناء النادي المخلصين، وجاء تذبذب المستوى والنتائج محليا وقاريا ليطيح به من قيادة فريق الدم والذهب، ويحل محله مساعده معين الشعباني. وبعد أن تولى الشعباني المهمة بصفة رسمية وبشكل مؤقت، قاد الفريق إلى التربع على العرش الأفريقي، ليصبح أمام الاختبار الأصعب في الأيام القادمة.

رهان صعب

بدأ معين الشعباني سريعا بالتفكير في الاستحقاقات الكبيرة القادمة وأولها مونديال الأندية في شهر ديسمبر، وذلك بتجهيز الفريق على جميع المستويات. ويبقى أهم رهان صعب أمام هذا المدرب الشاب كيفية الحفاظ على الرصيد البشري الذي يتوفر لديه، وهذا ما أكده الشعباني عندما رفض رحيل فرانك كوم لاعب الوسط خلال فترة الانتقالات الشتوية في شهر يناير المقبل. وتمسك معين باستمرار فرانك كوم لحاجته الشديدة إليه في وسط ملعب الترجي التونسي بعد الفوز على الأهلي في نهائي دوري أبطال أفريقيا. ويأتي رفض الشعباني رغم إصرار النادي الأهلي على التعاقد مع فرانك كوم لتدعيم خط الوسط في شهر يناير.

في المقابل بدأ نادي الأهلي المصري برئاسة محمود الخطيب، أولى خطواته في طريق دعم الفريق الأول بصفقات مميزة، خلال فترة الانتقالات الشتوية المقبلة. وكشف مصدر من داخل مجلس إدارة الأهلي، أن لجنة التعاقدات بالنادي فتحت خط مفاوضات مع الكاميروني فرانك كوم لاعب الترجي التونسي، وناديه؛ من أجل التعاقد معه في يناير المقبل.

معين الشعباني يسير على درب الكبار

ويسعى الأهلي لدعم خط وسط الفريق بلاعب أفريقي لديه الخبرة في التعامل مع المباريات المصيرية، بجانب تعويض كثرة الغيابات في صفوف الفريق؛ بسبب تعدد الإصابات.

ورصد الأهلي مليونا ونصف المليون دولار لضم فرانك، إلا أن المفاوضات المبدئية بين الطرفين شهدت عدم ترحيب اللاعب بالرحيل في الوقت الحالي، كما أن الترجي يرفض التخلي عن نجومه قبل مونديال الأندية. ولن تستسلم إدارة القلعة الحمراء بشأن صفقة انضمام اللاعب الكاميروني، وفي حالة عدم نجاح المفاوضات، فسوف يحول النادي وجهته إلى الإيفواري فوسيني كوليبالي لاعب الترجي صاحب الـ29 عاما.

وتجدر الإشارة إلى أنه بدأ العد التنازلي لانطلاق مونديال الأندية، مع تبقي أقل من شهر على افتتاح الحدث العالمي، حيث سيكون جمهور وعشاق كرة القدم في شتى أنحاء العالم على موعد مميز مع البطولة، التي ستقام منافساتها في أبوظبي والعين. وتنطلق البطولة يوم 12 ديسمبر، بمواجهة تجمع بين فريقي العين الإماراتي، ووليلينغتون النيوزلندي بطل أوقيانوسيا، على أرضية ملعب هزاع بن زايد بمدينة العين.

وتتبع هذه المباراة 7 لقاءات مثيرة أخرى تشارك فيها نخبة من الفرق حاملة ألقاب البطولات الكروية القارية، إلى جانب العين الإماراتي المضيف، وسيتوج الفريق الفائز عقب المباراة النهائية التي ستقام يوم 22 ديسمبر، في ملعب مدينة زايد الرياضية.

ويكتمل عقد الأندية المشاركة في كأس العالم للأندية يوم 25 نوفمبر الجاري، بعد التعرف على هوية بطل أميركا الجنوبية (كونميبول) سواء بوكا جونيورز الأرجنتيني أو مواطنه ريفير بليت.

وينضم الفائز منهما إلى كل من ريال مدريد الإسباني وغوادالاخارا المكسيكي ووليلينغتون النيوزيلندي والترجي الرياضي التونسي وكاشيما أنتلرز الياباني والعين الإماراتي.

إنكلترا تسعى للانتقام من كرواتيا في دوري الأمم الأوروبية

هولندا تقسو على فرنسا وترسل ألمانيا إلى المستوى الثاني

يسعى مدرب إنكلترا غاريث ساوثغيت إلى إنهاء "العام الرائع" لمنتخب بلاده بذكرى الانتقام من كرواتيا، وصيفة بطلة العالم، وبلوغ المربع الذهبي لمسابقة دوري الأمم الأوروبية في كرة القدم، عندما يستضيفها الأحد على ملعب "ويمبلي" في العاصمة لندن ضمن الجولة الرابعة والأخيرة من منافسات المجموعة الرابعة من المستوى الأول.

لقاء بأكثر من هدف

❑ **لندن** – فاجأ المنتخب الإنكليزي الشاب الجميع الصيف الماضي في المونديال الروسي عندما بلغ الدور نصف النهائي للحدث العالمي للمرة الأولى في 28 عاما، وعندما خرج على يد كرواتيا بالذات بعدما تقدمت بهدف كيران تريبيير قبل أن يعادل إيفان بيريسيتش في الشوط الثاني ويقتنص ماريو ماندزوكيتش هدف الفوز في الوقت الإضافي.

وصنع مدرب إنكلترا غاريث ساوثغيت البالغ من العمر 48 عاما، تغييرا جذريا في تركيبة منتخب "الأسود الثلاثة"، بمنحه الثقة للاعبين الشبان والدفع بهم بشكل أساسي، وتمكن بنتائجه اللافتة من إعادة اهتمام الجماهير بالمنتخب الوطني بعدما تراجع بسبب النتائج المخيّبة، إضافة إلى اتخاذ الاتحاد الإنكليزي للعبة قرار الرهان عليه لمواصلة ما بدأ به، ومنحه عقدا جديدا حتى 2022 براتب مضاعف تقريبا (3.9 ملايون دولار سنويا).

> بلجيكا تحتاج إلى تعادل فقط لبلوغ المربع الذهبي لدوري الأمم الأوروبية، عندما تحل ضيفة على سويسرا، الأحد، في الجولة الرابعة والأخيرة من المجموعة الثانية

ويجد المنتخب الإنكليزي نفسه أمام ضرورة الفوز على كرواتيا الأحد على ملعب "ويمبلي" في العاصمة لندن لبلوغ المربع الذهبي للمسابقة القارية الحديثة (دوري الأمم الأوروبية في كرة القدم)، وسنحت الفرصة للإنكليز للثأر من الكرات في الجولة الثانية من المسابقة في أكتوبر الماضي في زغرب، بيد أن المواجهة انتهت بالتعادل السلبي.

وتتقاسم إنكلترا وكرواتيا المركز الثاني في المجموعة الرابعة برصيد أربع نقاط لكل منهما وبفارق نقطتين خلف إسبانيا المتصدرة، والتي أنهت مبارياتها الأربع في البطولة.

ويدرك المنتخبان جيّدا أن الفوز هو جواز سفرهما إلى الدور نصف النهائي، وأن التعادل سيمنح بطاقة المجموعة للإسبان وسيؤدي إلى هبوط أحدهما إلى المستوى الثاني.

ويتأهل متصدر كل مجموعة من المجموعات الأربع في المستوى الأول إلى نهائيات تقام بين الخامس من يونيو المقبل والتاسع منه، وتخوض المنتخبات الأربعة مباراتي نصف نهائي، ويتأهل الفائزان لخوض مباراة نهائية، بينما يلتقي المنتخبان الخاسران في مباراة لتحديد المركز الثالث.

واستعدت إنكلترا جيّدا لمواجهة الكروات من خلال الفوز الكبير على الولايات المتحدة (3–0) ودّيا الخميس في تكريم "الولد الذهبي" وهدافها التاريخي واين روني (53 هدفا) الذي خاض مباراته الأخيرة (120) بألوان منتخب "الأسود الثلاثة".

ودفع ساوثغيت ضد الولايات المتحدة بتشكيلة أقل خبرة من المعتاد، بلاعبين جدد يدافعون عن ألوان المنتخب للمرة الأولى مثل لويس دانك (برايتون)، وكالوم ويلسون (بورنموث) وجايدون سانشو (بوروسيا دورتموند الألماني) وجميعهم استغلوا الفرصة وتألقوا بشكل لافت، لكن ساوثغيت سيلجأ إلى لاعبي الخبرة هاري كاين وجوردان هندرسون وكايل ووكر رحيم ستيرلنغ لمواجهة كرواتيا.

وتابع ساوثغيت "كانت أمامنا 48 ساعة للتحضير لمواجهة كرواتيا، لذلك كان واحدا من الأسباب التي دفعتنا إلى اللعب بهذا الفريق الشاب".

وأوضح "نعرف إلى حد كبير كل شيء عن كرواتيا، والأهم من ذلك رغبتهم، سيأتون بصفوف مكتملة إلى ويمبلي، لديهم لاعبون كبار سيحاولون رفع هذا التحدي وعلينا نحن أيضا أن نستمتع بهذا التحدي".

ويغيب لاعب وسط برشلونة الإسباني إيفان راكيتيتش عن مباراة الأحد بسبب الإصابة في المباراة أمام إسبانيا. وتدخل كرواتيا المباراة بمعنويات عالية بعد فوزها الثمين على ضيفتها إسبانيا (3 – 2) الخميس بثنائية مدافع باير ليفركوزن الألماني الشاب تين يدفاي بينها هدف الفوز في الدقيقة الثالثة الأخيرة من الوقت بدل الضائع.

وشدّد يدفاي في تصريح لموقع الاتحاد الأوروبي للعبة على أن منتخب بلاده واثق من تعميق جراح الإنكليز، بعدما حرمهم من بلوغ المباراة النهائية لكأس العالم للمرة الأولى منذ تتويجهم بلقب 1966 على أرضهم.

وفي المجموعة الثانية، تحتاج بلجيكا إلى التعادل عندما تحل ضيفة على سويسرا، الأحد، ضمن الجولة الرابعة الأخيرة لبلوغ المربع الذهبي. وواصل المنتخب البلجيكي عروضه الرائعة التي أبهر بها المراقبين في المونديال الروسي عندما بلغ دور الأربعة قبل أن يخرج على يد فرنسا التي توّجت باللقب لاحقا، وحقق العلامة الكاملة في مبارياته الثلاث التي خاضها حتى الآن في دوري الأمم.

ويبدو المنتخب البلجيكي الذي أنهى المونديال في المركز الثالث بأفضل نتيجة له في تاريخ العرس العالمي، مرشحا فوق العادة للظفر ببطاقة المجموعة بالنظر إلى ترسانته المدججة بالنجوم على رأسها صانع ألعاب تشيلسي الإنكليزي إدين هازارد، لكن سويسرا ستحاول استغلال عاملي الأرض والجمهور لاقتناص فوز غال يمنحها بطاقة المجموعة.

وتتصدر بلجيكا المجموعة برصيد 9 نقاط محققة ثلاثة انتصارات في المسابقة، بفارق 3 نقاط أمام سويسرا التي تحتاج إلى الفوز بهدف وحيد لبلوغ نصف النهائي بفضل المواجهات المباشرة. وخسرت سويسرا أمام بلجيكا (2–1) في الجولة الثانية.

وأكدت هولندا أنها استعادت بريقها السابق بقيادة مدربها الجديد رونالد كومان، وأرسلت ألمانيا إلى المستوى الثاني من دوري الأمم الأوروبية بعدما ألحقت بفرنسا بطلة العالم هزيمتها الأولى في آخر 16 مباراة بالفوز عليها (2–0)، الجمعة، في روتردام.

وبعدما كانت إلى حد ما خارج حسابات التأهل إلى الدور نصف النهائي من المستوى الأول لهذه البطولة القارية الجديدة، بخسارتها مباراتها الأولى في المجموعة الأولى أمام فرنسا بالذات (2–1)، انتفضت هولندا بالفوز الكبير على ألمانيا (3–0)، ثم حققت فوزها الأول على "الديوك" منذ الدور الأول لكأس أوروبا 2008 (4–1).

وتدين هولندا بفوزها إلى لاعب وسط ليفربول الإنكليزي جورجينيو فينالدوم وومفيس ديباي اللذين سجلا الهدفين في الدقيقتين 44 و"6+90" من ركلة جزاء في مباراة بدا خلالها أبطال مونديال روسيا 2018 بعيدين عن مستواهم المعهود.

وأصبح التأهل إلى الدور نصف النهائي في يد هولندا التي غابت عن نهائيات مونديال روسيا الصيف الماضي، إذ رفعت رصيدها إلى 6 نقاط في المركز الثاني بفارق نقطة خلف فرنسا، لكنها تملك مباراة إضافية تخوضها الاثنين ضد ألمانيا في غيلسنكيرشن، والتعادل فيها سيكون كافيا للتأهل بفضل الهدف الذي سجلته خارج ملعبها في مرمى أبطال العالم.

كرويف سلّم الإرث

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❑ الطريق الجادة المؤدية إلى الفلاح لا يسلكها سوى الأذكياء، الممر الضيق قد يزيد ضيقا أمام أصحاب القلوب الضعيفة، لكن من آمن بالجرأة واتخذ الحكمة والموعظة سلاحه الدائم سينجو بلا شك من كل الشرور ويتجاوز كل المطبات.

ثمّة قصة دغدغت فؤاد صبي مولع بالتهام الكتب وقراءة أساطير الأزمنة الغابرة، تلك القصة تتحدث عن رجل ذكي حكم شعبه لمدة أربعين سنة، ساد خلاله العدل وانتشر الحب ورغد العيش بين جميع أفراد الرعية.

كان الذكاء الوقاد لهذا الحاكم مدعاة فخر بين الأمم، لكن حين أزفت الساعة وحان موعد الرحيل عن هذه الدنيا، ترك الحاكم الحكيم شعبه عرضة للمخاطر والأهوال، فالكل طمع في الاستيلاء على العرش، والكل حاول أن يستحوذ على الكرسي، لكن دون أي تعقل.

تكالبت الجماعة على السلطة، ففقد هذا القوم مكامن القوة وتدهور وضعهم وساءت سمعتهم، ولم ينجح أي ممن قادتهم الأقدار بخلافة الحاكم الرشيد في تسيير دواليب هذه الرعية، وساد الفقر وانتشر البؤس والشقاء.

كان في تلك الحقبة شاب يعاين الوضع الجديد بكثير من التأمل والصبر، لقد آثر الصمت والهدوء وتمعن في البحث عن أسباب الخروج من هذه الأزمة، كان لديه البعض من الحكمة التي ورثها عن الحاكم الحكيم، إذ كان في طفولته أحد تلامذته النجباء، فذلك الحاكم كان لا يتورع عن تقديم دروس في الفلسفة والحكمة لأبناء قومه.

مرت السنوات، ولعبت الأقدار مجددا لعبتها ليجد هذا الشاب الذي بات أكثر نضجا نفسه حاكما جديدا وسط قومه، لم يتحيّر أو يتعثر، فالأسلوب القويم للحاكم القديم الذي كان له في السابق أفضل مريد، منحه البراعة والقدرة على إعادة عقارب الزمن إلى الوراء، فحوّل الواقع الصعب الأليم إلى عالم تسوده الحياة الرغيدة من جديد.

قصة ظلت راسخة في الذهن، وغبار السنوات الطويلة كاد أن يتلفها قبل أن يأتي مدرب يتقد ذكاء لينفض هذا الغبار المتراكم ويحيل أساطير الزمن الغابر إلى واقع ملموس يعيش على وقعه منتخب هولندا الآن.

ما أشبه رونالد كومان بذلك الشاب المقتدر، فما فعله المدرب الحالي لمنتخب "الطواحين" قد يكون استنساخا لما حصل في السابق، لقد تعلم كومان أصول الحكمة والذكاء الكروي بعد أن تتلمذ على يدي الراحل يوهان كرويف، لينجح اليوم في إعادة "الطواحين" للدوران.

> الأمر الأكثر متعة في مسيرة رونالد كومن يكمن في أنه تتلمذ على يد الراحل يوهان كرويف، وقد تشبع بكل أصول اللعبة بتفاصيلها المغربة زمن الكرة الشاملة

لمَن لا يعرف جيدا كومان، فإن مسيرته الرياضية تثبت أنه كان أحد أفضل اللاعبين الذين أنجبتهم بلاد "الأراضي المنخفضة"، لقد شكل بمعية فان باستن وخوليت وريكارد جيلا ذهبيا للمنتخب "البرتغالي" في الثمانيات والتسعينات من القرن الماضي.

كان مدافعا صلبا يتميز بتسديداته المتقنة والقوية للغاية، كان لاعبا عالميا حقّ له الانتماء لبرشلونة، سطع نجمه في نهائي ضمن دوري أبطال أوروبا سنة 1992 بعد أن سجل هدفا "خرافيا" قاد به برشلونة للحصول على أول لقب في هذه البطولة.

بيد أن الأمر الأكثر متعة في مسيرة كومان يكمن في أنه تتلمذ على يد يوهان كرويف، لقد تشبع بكل أصول اللعبة بتفاصيلها المغربة زمن الكرة الشاملة.

كان تلميذا نجيبا اختزل كل معاني الذكاء وحاول إتقان اللعبة مع المدرب الحكيم، كان أحد رموز برشلونة في حقبة ابن بلده، كان أحد الأعمدة التي ارتكز عليها كرويف كي يطوّر أسلوب لعبة "البارسا" ويرسخ طريقة "التيكي تاكا" التي باتت أسلوب عيش ونمط حياة في "البلوغرانا".

فكيف لكومان الذي عاصر كرويف سنوات طويلة ألا أن يتعلم وينجح في تلقين حكم وأفكار هذا المدرب؟ كيف له ألا يستغل طول هذه الفترة التي قضاها تحت إمرة هذا المدرب ولا يرث عنه ولو القليل من الذكاء الوقاد والحسّ التدريبي المرهف؟

صحيح أن كومان لم يجد طريق النجاح سريعا في عالم التدريب، صحيح أن أغلب تجاربه لم تكن مميزة سواء مع فالنسيا أو أياكس أو بنفيكا، لكنه لم يتخل أبدا عن أسلوبه الذي ورثه عن كرويف.

لقد انتظر وصابر كثيرا تماما مثل ذلك الشاب اليافع في قصة الأزمنة الغابرة، إلى أن حانت فرصته كي يخلف كل من سبقوه على رأس المنتخب الهولندي الذي عاش طيلة السنوات الأربع الماضية فترة انهيار وركود تذكرنا بما حدث لقوم ذلك الشاب اليافع.

فهذا المنتخب الهولندي عانى الكثير من الهزات والسقطات، لقد فشل في الوصول إلى نهائيات أمم أوروبا 2016، قبل أن يحصد الفشل ذاته في سباق التأهل إلى مونديال 2018، لقد مر بأسوأ فتراته بعد أن غادره عدد كبير من اللاعبين الأفذاذ وآخرهم أريين روبن.

بدا الحمل ثقيلا، بدا إنقاذ المنتخب الهولندي من المأزق صعبا، لكن ليس بمستحيل على مدرب تتلمذ على يدي كرويف وتسلم منه الإرث، مسابقة وحيدة ومباريات قليلة أعادت البريق لذلك اللون البرتقالي المتوهج، فالمنتخب الهولندي خاض منذ قدوم كومان مباريات صعبة، لكنه نجح باقتدار وكانت الموقعة الأخيرة ضد المنتخب الفرنسي بطل العالم بحق بمثابة الشهادة لمنح كومان الأحقية كي يقود ثورة جديدة.

والثابت أن من ورث حكمة وذكاء كرويف جدير بأن يبث السعادة من جديد تماما مثل شاب الزمن الغابر.

التأجيل يرهق الدوري المصري

عماد أنور

❑ **القاهرة** – أثار الحديث عن إلغاء مسابقة الدوري المصري الممتاز لهذا الموسم جدلا واسعا، وكشف عن أزمة حقيقية تعيشها لجنة المسابقات في اتحاد كرة القدم، سببها إقامة المباريات المؤجلة، لأن أربعة فرق فقط خاضت مبارياتها كاملة، بعد مرور 14 جولة من عمر الدوري، في الوقت ذاته خاض فريقا الأهلي والمصري أقل من 10 مباريات، إذ لعب الأول 6 مباريات والثاني 9 مباريات بسبب ارتباطاتهما بالبطولات القارية والعربية.

وأعلنت لجنة المسابقات تأجيل لقاء القمة بين الأهلي والزمالك (قطبا الكرة المصرية)، الذي كان مقررا يوم 10 ديسمبر المقبل، في الجولة 17 من ختام الدور الأول للدوري، إضافة إلى تأجيل لقاء الأهلي والإسماعيلي في الجولة 18، في حين كشفت اللجنة مواعيد بعض المواجهات المؤجلة للأهلي والزمالك.

وقال رئيس لجنة المسابقات عامر حسين لـ"العرب"، إنه تعمّد تحديد موعد الجولتين 16 و17، مع خوض الأهلي لبعض مبارياته المؤجلة، تجنبا لأن يلعب فريق واحد فقط وتظل الفرق الأخرى في راحة، لذلك سيخوض الأهلي عددا من مبارياته المؤجلة، بالتوازي مع خوض الفرق الأخرى لمبارياتها. وفسّر حسين تأجيل القمة، قائلا "إن طرفي اللقاء يرتبطان بخوض مباريات لهما بدوري الأبطال والكونفيدرالية في ديسمبر المقبل".

وأكد أن الفريقان سيلتقيان حينما يكونان قد خاضا عددا من المباريات يكون متقاربا، وجاء هذا الاقتراح لتلافي غضب مرتضى منصور رئيس نادي الزمالك، الذي أعلن من قبل أن فريقه لن يخوض مباراة القمة، إلا بعد أن يلعب منافسه كافة مبارياته المؤجلة.

وازداد جدول مباريات هذا الموسم ارتباكا، بسبب مشاركة أربعة فرق في البطولات الأفريقية، واستمرت مشاركة اثنين منها إلى الأدوار النهائية، فقد وصل الأهلي إلى نهائي دور الأبطال، قبل أن يخسر اللقب على يد الترجي التونسي، بينما ودّع المصري الكنفيدرالية من الدور نصف النهائي، على يد فريق فيتا كلوب الكونغولي، ما تسبب في تأجيل عدد كبير من المباريات.

قمة الأهلي والزمالك تنتظر موعدا جديدا

نمور وأسود ضحايا آخر صيحات السيلفي في فرنسا

تحاول السلطات الفرنسية إنقاذ الحيوانات، لا سيما المفترسة، من براثن عشاق التقاط الصور الشخصية "السيلفي" ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، لأن ذلك يعرّض صحة هذه الحيوانات للخطر.

❏ **باريس** – من آخر الصيحات نشر صور على مواقع التواصل الاجتماعي إلى جانب نمر أو شبل، لكن هذه الممارسات الرائجة تنامت بشدة في فرنسا لدرجة أن الشرطة ضبطت ستة حيوانات من هذا النوع في خلال سنة أغلبها في وضع صحّي مزر.

وضبط رجال شرطة الاثنين الماضي، رجلا في سيارة لامبورغيني خضراء في جادة شانزليزيه بباريس يلتقط صورة سيلفي مع شبل ممدّد على مقعد الراكب.

وقال الرجل في بادئ الأمر إنّ ما في سيّارته هرّ، قبل أن يوضع في السجن على ذمّة التحقيق بتهمة "اقتناء نوع حيواني غير محمي" و"القيادة من دون رخصة".

ولا يجوز لأيّ شخص في فرنسا اقتناء حيوانات بريّة من دون تصريح من البلدية وشهادة كفاءة.

واكتفى الرجل البالغ من العمر 33 عاما بالقول للشرطة، إن الحيوان المسمّى بوتين ملك "لأحد الأصدقاء"، بحسب ما أفاد مصدر مطلع على التحقيق.

واستخدم شاب ثلاثيني يؤكد أنه "يعشق الحيوانات" العذر نفسه قبل أن يحكم عليه بالسجن ستة أشهر مع النفاذ في نهاية أكتوبر الماضي بالقرب من باريس.

وكان هذا الشاب قد نشر عدّة تسجيلات مصوّرة على مواقع التواصل الاجتماعي لشبل في شهره الثاني يلاعب رجلا يتجوّل في الشوارع. ثم طرح الحيوان للبيع مقابل 10 آلاف يورو.

وأفاد أرنو لوم، المحقق المفوض من جمعية "فونداسيون 30 مليون دامي"، التي كانت طرفا مدنيا في المحاكمة في قضية

إبهار الآخرين يكلف الحيوانات حياتها

شانزليزيه، "تزداد البلاغات بشأن أشخاص يتصوّرون مع سنوريات صغيرة".

وأضاف "رفعت عدّة بلاغات في هذا الشأن"، مذكرا بأن السلطات الفرنسية ضبطت خلال الأشهر الأخيرة شبلين ونمرا صغيرا ووشقا. ورجّح أن "تأتي الأشبال من فرق سيرك وأن تباع صغار الحيوانات بطريقة غير شرعية، لكن لا أدلة حتى الآن في هذا الخصوص".

وعثرت الجمارك في مرسيليا (جنوب شرق) على لبوة صغيرة لا يتخطى عمرها الشهرين في قفص صغير في مرآب. وقال صاحب الموقع إنه أخذ الحيوان بناء على طلب من المالكين السابقين.

ولفت لوم إلى أن "الناس يقتنون هذه الحيوانات لإبهار الآخرين وهم لا يعلمون كيف يعتنون بها"، مشيرا إلى أن بعض الحيوانات في وضع صحي مقلق.

وأوضح "كان يعاني من التجفاف وقد قطع ذنبه"، مشيرا إلى أن اللبوة الصغيرة في مرسيليا "لم يكن لديها الكثير من الوبر وكان يخشى من أن تنفق".

والأمر سيان بالنسبة إلى شبل عثر عليه في شقة بالقرب من باريس سنة 2017. وكان الحيوان الملقب بـ"كينغ"، "في وضع مزر ويعاني من سحبه من أمه قبل الأوان وتغذية غير مناسبة".

وقد أعيد إلى محمية في جنوب أفريقيا "حيث يمضي أياما سعيدة"، بحسب خدمة الإسعاف في باريس التي أشارت في أواخر أغسطس الماضي إلى أن الحيوان "لا يزال تحت وقع الصدمة"، لكنه يتكيّف مع بيئته الجديدة.

صباح العرب

عدلي صادق

محفزات الصراع وفكرة التسامح

❏ تترافق فعاليات إحياء دولة الإمارات ذكرى مرور قرن على ولادة الشيخ زايد؛ مع تظهير مفهوم التسامح ودواعيه الإنسانية والتركيز عليه. وقد خُصصت للتسامح وزارة ترعى هذه القيمة الرفيعة، ببرنامج وطني يقوم على أركان سبعة، من بينها الدين الإسلامي الحنيف، وإرث الشيخ زايد نفسه، ودستور دولة الإمارات، وأخلاق المجتمع والمواثيق الدولية المشفوعة بوقائع التاريخ، وفطرة الإنسان، والقيم التي تشترك فيها الأمم. وواضح أن الغاية من هذا التوجه هي تعزيز بعض المحددات الثقافية التي من شأنها دحض التمييز والعنصرية والكراهية وتجريم ازدراء الأديان ومقدسات الشعوب. وهذه محددات من شأنها مكافحة طوفان البغضاء المستشري في العالم بكل تجلياته وأقبحها الاستعلاء وإثارة النعرات، حتى بدا الآخر، الذي تدعو كل الأديان والفلسفات إلى تقبله؛ ذئبا في ناظر مسمّمي المناخات الصحية للتعايش بين البشر.

قد تبدو المهمة سهلة ويمكن إنجازها بكلام مُرسل دون مراكمة العناصر الضرورية لضمان بلوغ مقاصدها. لكنها في الواقع تحتاج إلى علم وعمل. فالتعصب هو الجرثومة المضادة التي تكمن وراء الحروب والقلاقل والأطماع الإقليمية والمطامح اللامشروعة. والأرجح أن هذه الجرثومة، في العالم الإسلامي، موروثة من الفقه الظلامي الرديء الذي أنتجته العصور الوسطى، وما تخللها من حروب دينية، يصعب على الإنسان، بمنطق نتائجها، أن يكون متسامحا. واللافت أن بعض بؤر الصراع الذي تشعله الأصوليات، وتتخذ لنفسها أغطية سياسية وحقوقية، و"جهادية" عند المسلمين، أو توراتية عند اليهود، أو صليبية عند الأصوليين المسيحيين؛ هي في الواقع مدفوعة بأحقاد تاريخية لا عقلانية، لدى من يدبّرونها ويستغلون الجهلة لإشعالها والاحتراق بنارها.

لقد نشأ مفهوم التسامح في أوروبا في عصر الأنوار والأنسنة، وكان ردا على الصراع الدامي في القارة، ما جعل المفكرين والفلاسفة يتوصلون إلى نتيجة مفادها أن التعصب الديني هو المحفز الأبرز للحروب الأهلية والتمزق الاجتماعي. والمسألة كلها كانت تتعلق آنذاك بالتطاحن بين الكاثوليكية والبروتستانتية، رغم قدم التسامح في العقيدة المسيحية!

حمل الإسلام، بعد المسيحية، معاني الدعوة إلى التسامح في القرآن الكريم. لكن التطبيقات التي اعتمدها مسيحيون ومسلمون نافذون على مر التاريخ هي التي حادت عن قيمة التسامح، وأدت إلى سفك الدماء في سياقات الصراعات البينية. فقد أنتج المسيحيون الإمبريالية التي لم تعرف الرحمة، وخاض المسلمون حروبا مريرة وتقاتلوا وتصارعوا للهيمنة على الممالك الصغرى وتصارعوا مذهبيا.

الأصولية اليهودية، تموّهت، ابتداء، بالعلمانية، ثم استحوذت على دولتها العلمانية التي تأسست بالقتل وسفك الدماء وتشريد الناس، أصولية فاقعة شديدة الجفاء لفكرة التسامح، علما وأن القوى التي واجهتها منذ البدايات، لم تكن أصولية، وإنما ذات منحى قومي أو وطني، ولم ترتكب جريمة الغزو ولا جرما تاريخيا يتطلب تسامحا أو عفوا. فمن ارتكب الجرائم بحق اليهود، هم الذين شنوا الحروب على بعضهم بعضا في القارة القديمة.

لدى الإمارات قراءة ترى أن خلفيات المخاطر التي تتهدد المشرق العربي، هي التعصّب ورفض قبول الآخر ومحاولات إقصائه والسيطرة على أرضه مقدراته وشعوبه!

رسالة آنيا روبيك لبلدها المحافظ: التربية الجنسية مهمة

❏ **وارسو** – تحب عارضة الأزياء البولندية آنيا روبيك التحدث بتحرر عن الجنس، وهو أمر نادر في بلدها المحافظ.

وقالت روبيك (35 عاما) إن "الجنس مازال من المحرمات، حتى بين البالغين". وترغب عارضة الأزياء الشابة في تغيير كل ذلك من خلال كتابها الجديد الذي يتمحور حول التربية والتثقيف الجنسي.

ويتناول كتاب "sexedpl" موضوعات مثل منع الحمل والجنس بالتراضي والشذوذ الجنسي، بالإضافة إلى أنه يجيب عن تساؤلات يخشى الشباب والبالغون -على حد سواء- من طرحها في الدولة ذات الغالبية الكاثوليكية.

وأضافت روبيك، التي عملت من قبل لعرض أزياء لعلامات تجارية شهيرة مثل "شانيل" و"غوتشي" و"ديور"، أن "أغلب المراهقين لا يسمعون سوى معلومات مغلوطة أثناء التثقيف الجنسي في المدرسة"، ومن بينها أن موانع الحمل تسبب العقم والسرطان.

ويشار إلى أن التثقيف الجنسي في بولندا التي يتبع أكثر من 90 بالمئة من سكانها المذهب الكاثوليكي، خاضع بدرجة كبيرة للمعتقدات المحافظة للكنيسة. وتعترف روبيك بأنها تصاب بـ"الذعر"، بسبب ما تجده في محتوى الكتب المدرسية ببولندا.

ويعتبر كتابها بديلا معاصرا. ومن المقرر أن يكون في متناول أكبر عدد ممكن من الناس.

كما أنه يحظى بتصميم عصري، حيث أنه "لا يجب أن يتسبب في حرج بالنسبة للطلاب".

ورحّب القائمون على أمور الثقافة الجنسية بمبادرة روبيك. وأفادت ألكساندرا جوزيفوسكا، التي تعمل مؤسستها الخيرية "بونتون" على توجيه النصح للشباب في المدارس إضافة إلى توفيرها خطا هاتفيا لتقديم المساعدة، بأن "أي شيء يحدث في هذا المجال له قيمة كبيرة".

وبحسب ما تنص عليه وزارة التعليم في العاصمة وارسو، تُعرف التربية والتثقيف الجنسي في بولندا باسم "تربية الحياة الأسرية". وغالبا ما يتولى أمر هذا المقرر التعليمي كاهن أو راهبة.

وأضافت جوزيفوسكا أن معظم الكتب المدرسية مكتوبة من جانب من يطلق عليهم الخبراء القريبون بالفعل من الكنيسة، متابعة "نعمل كدولة كاثوليكية، تخضع فيها القيم الأسرية للحماية، ولكن هذا يعني أن وسائل منع الحمل يتم تصويرها على أنها خطر".

وقامت واحدة من الخبراء التابعين لوزارة التعليم في حكومة حزب القانون والعدالة الوطني المحافظ، وتدعى يورسزولا دودزياك، بإحداث ضجة، عندما زعمت أنه من الممكن أن تتسبب حبوب منع الحمل في الوفاة.

وأشارت جوزيفوسكا إلى أن الطلبة عادة ما يلجأون إلى الإنترنت للحصول على المعلومات المتعلقة بالجنس، بسبب عدم وجود أشخاص يمكنهم التحدث إليهم، ويكون أول ما يعثرون عليه هو المواد الإباحية، مضيفة "لقد تربوا على ذلك".

وأعرب الخبراء عن أسفهم إزاء أوجه القصور في التثقيف الجنسي ببولندا.

وفي الوقت الراهن تحول الاحتجاجات التي يقوم بها البولنديون ضد حظر الإجهاض في البلاد دون اتخاذ الحكومة أي إجراءات جديدة. وكانت روبيك شاركت في هذه الاحتجاجات واستلهمت منها تأليف كتابها. وكانت قد بدأت في عام 2017، حملة ناجحة تشتمل على مقاطع فيديو قصيرة تحدث فيها المشاهير البولنديون عن تجاربهم الجنسية الخاصة، مثل زيارتهم الأولى إلى طبيب أمراض النساء، أو استخدام الواقي الذكري.

وقالت روبيك، التي لم تقدم وزارة التعليم أي تعليق رسمي بشأنها، "لقد كان الأمر بالنسبة إلي، علامة لكي استمر".

ويشار إلى أن كتاب روبيك يتسبب في حالة من الذعر بالنسبة لأولئك الذين ينتمون إلى الدوائر المتشددة للغاية، الذين يقولون إنه يحث الأطفال على ممارسة الجنس، بينما تقول العارضة البولندية "لا نريد أن نخيفكم أيها الشباب، فالجنس يجب أن يكون متعة أيضا"، مؤكدة أنه لكي يكون ذلك ممكنا، فإن المعرفة الجنسية لها أهمية قصوى.

ديركي يرصد تدريب أطفال سوريا على العنف

❏ **برلين** – يضحك بضعة أطفال وهم يلعبون في ساحة مغبرة بإحدى قرى شمال سوريا، لكن ما يلهون به ليس لعبة من ألعاب الأطفال بل هو تدريب على قسوة القلب استعدادا لحياة العنف المقبلة.

وتعد لعبة قتل الدجاج من أقسى مشاهد الفيلم الوثائقي "عن الآباء والأبناء" للمخرج السوري طلال ديركي، الذي يتتبّع خطوات نموّ التشدّد الديني في سوريا في ظلّ الحرب التي تعصف بها منذ سنوات.

وأقام ديركي على مدى أكثر من عامين مع عائلة متشدّدة في شمال سوريا، موجّها عدسته بشكل أساسي إلى الأطفال، راصدا تدرّجهم في طريق العنف.

ونتج عن تلك الرحلة الفيلم الوثائقي الفريد من نوعه "عن الآباء والأبناء" الذي يُدخل المُشاهد في 98 دقيقة إلى الحياة اليومية لعائلات المقاتلين الإسلاميين المتشددين في سوريا، في ذروة صعودهم الذي يصفه المخرج بأنه كابوس.

ويصوّر الفيلم التحوّل المرعب لطفلين بريئين إلى مقاتلين متشدّدين.

وأكد ديركي أن "هذا الفيلم يجعلك تفهم كيف يعمل العقل.. العنف موجود في كل شيء، في اللغة والتعليم، في كل لحظة".

أكبر بطاقة بريدية تتشكل من التغير المناخي

❏ **يونغفراو يوخ (سويسرا)** – بُسطت أكبر بطاقة بريدية في العالم، بحسب موسوعة غينيس للأرقام القياسية، على جبل جليد في سويسرا للفت الانتباه إلى مشكلة التغيّر المناخي، وهي مؤلفة من 125 ألف بطاقة بريدية مصحوبة برسائل أرسلها أطفال وشباب من كافة أنحاء العالم.

وقد علّقت البطاقة على جبل أليتش (الجنوب) على علوّ يتخطى 3400 متر، تمهيدا لمؤتمر الأطراف الرابع والعشرين المزمع انعقاده في ديسمبر المقبل في بولندا.

وكتب على البطاقة الممتدّة على 2500 متر مربع "أوقفوا التغيّر المناخي 1.5° درجة مئوية" و"نحن المستقبل، أعطونا فرصة".

وأعلن القائمون على الحملة أن نسخة من هذه البطاقة سترسل للمشاركين في المؤتمر المناخي من أعلى مكتب بريد في أوروبا.

ويقول علماء سويسريون إن جبل أليتش، أكبر الجبال الجليدية في غرب أوروبا، يذوب بوتيرة لم يسبق لها مثيل، وهذا الذوبان جعل الجبل موقعا لهذا الحدث، ويأمل الناشطون في مجال مكافحة التغير المناخي أن يقنعوا المزيد من الشباب بالمشاركة في السيطرة على ارتفاع درجة حرارة الأرض.